*

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

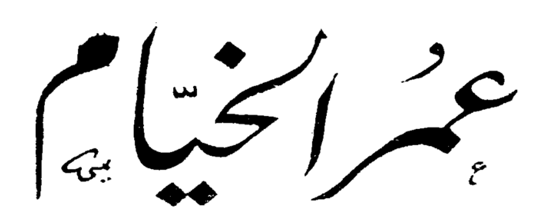
Call No. ص - خیام / ۹۲۸۶۹۱۵۱ Accession No. ۱۲۸۵۲

Author العراف، احمد حامد

Title عمر خیام ۱۹۳۱ء

This book should be returned on or before the date last marked below.

*



عصره . سيرته . ادبه . فلسفته . رباعياته

تأليف وترجمة

المحامي

احمد حامد الصراف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بنفقة : نعمان الاعظمي
صاحب المكتبة العربية ببغداد

مطبعة دارالسلام

١٣٥٠ هـ — ١٩٣١

*

اهداء الكتاب

الى السادة البهاليل ابناء عبد شمس والى دمشق الجميلة التي عطفت على اهدي كتابي

احمد حامد الصراف



شیخی بزن فاحشه گفتا مستی،
هر لحظه بدام دگری پابستی؛
گفتا شیخا هر آنچه گوئی هستم.
اما تو چنانچه مینمائی هستی؟

قال شیخ لفاحشة: انت سکری وفی کل لحظة متعلقة بشخص. فقالت ایها الشیخ ان الذی قلته فیّ صحیح. لکنك أأنت انت کما تظهر للناس؟

مقدمة المؤلف

غياث الدين ابو الفتح عمر بن ابراهيم الخيّام هو احد النابغين في الشرق ، ولد في نيسابور في اواسط القرن الخامس هـ وتوفي فيها في اوائل القرن السادس هـ وكان رجلاً ذكي الفؤاد ، حاد الذهن ، عصبي المزاج ، متشائماً ، يحمل بين جنبيه نفساً ثائرة متمردة على الحياة وما فيها من عقائد وتقاليد ونظم ، وقد درس العلوم الشائعة في عصره فاتقنها ، وبرز بالفلسفة والفلك والرياضيات والطبيعيات ، وقد الف رسائل وكتباً جليلة في مختلف العلوم دلت على صفاء ذهن ، وسعة اطلاع ، ومع انه كان نابغة المفكرين في عصره ، مقرباً من الملوك محترماً من الامرآء فانه لم يشتهر اشتهاراً متناسباً مع مكانته العالية كاشتهاره بعدوفاته خصوصاً في القرون المتأخرة وبين الفرنجة على الاخص . وعلة اشتهاره هي رباعياته التي اختفت اجيالاً ثم طلعت اخيراً كما تطلع الشمس من وراء السحب ، وذلك ان الشاعر الأنكليزي المبدع « فتيز گرالد » كان اول من لفت انظار الغربيين اليها فنقلها الى الانكليزية باسلوب رائع جميل ، وحلّت الترجمة محلاً عالياً من قلوب الانكليز والاميركان ، وبذلك ذاع صيته وشاع اسمه في الغرب ، وكان الخيام غير معروف عند العرب الا القليل منهم ممن اطلع على الأدب الفارسي ، واول من تصدى الى تقديمه اليهم الأديب اللبناني وديع البستاني ولم يكن الخيام المع عبقرية من ابي العلاء ، والمتنبي ، وابن الرومي ، وابي نؤاس ، وحافظ ، وسعدي ، والخاقاني ، والنظامي ، ولكن الخيام اسعد

منهم حظاً اذ اتيح له من اشاد بادبه والدنيا حظوظ وقسم . واذا افتخر الفرس بالخيام فللعرب حق ونصيب بالافتخار به ، لأنه تفقه بدينهم واعتز بسلطانهم، وتأدب بآدابهم ،وتهذب بعلومهم، فهو ربيب عبقريتهم، وثقافتهم وان شعره العربي وتآليفه بالعربية اسطع دليل على ما ادعيه ، ومع ذلك فقد انجبت الجزيرة افذاذاً من الشعراء والفلاسفة والمفكرين وحسب العرب فخراً ان منهم المعرى الذى كان قدوة للخيام فى الشعر والتصوير وامامه بالفلسفة والتفكير ، وعلى كل فكلاهما مفخرة من مفاخر الشرق والمسلمين ، والعرب ، وكلاهما حكيم ، وكلاهما عظيم .

الكتاب

وهذا الكتاب الذى اقدمه الى القرآء هو مختصر كتاب وضعته في نيف والف صفحة فى درس حياة الخيام وادبه وقد تصدى لطبع الكتاب المختصر صديقنا نعمان افندى الأعظمى صاحب المكتبة العربية الذى خدم النهضة الادبية بطبع انفس الآثار .

ولا اكابر فادعى بانى احسنت فى البحث واجدت فى الترجمة وانما اقول هذا كل ما قدرت عليه . وقد عرضت الكتاب والترجمة على حبر العراق وعالمه الأستاذ فهمى بك المدرّس فاستحسن البحث والترجمة ، وحسبي فخراً انى خدمت شاعر العرب وفيلسوفهم شيخ المعرة بمقارنته بالخيام ، والله يشهد انى اديت الأمانة ، فلم اتعصب لأحد بالباطل ، وآثرت الحياد خدمة للحقيقة . ولست مؤملاً ان اسمع ثناء ومن ألف فقد استهدف ومع ذلك فحسب المقل جهده .

فى دمشق

وقد اسعدنى الحظ بزيارة دمشق فى صيف سنة ١٩٣٠ م فتكنت طيلة بقائى فى مدينة العطر والشعر مشمولاً بعطف ابنائها الطيبين ، وقد نعمت عدة شهور فى المدينة التى انعمت عليها يد الله المحسنة بجلائل الآلاء مكرماً بين ابناء العم وقد هون على لطف اولئك المهذبين لوعة الشوق وألم الحنين الى وادى الرافدين الى الوطن الحزين . ولم اشعر فى دمشق بوحشة الغربة وهل بغداد ودمشق الا كجناحى النسر الصاعد اذا هيض احدهما خفض الآخر ، وهل ابناء بغداد الا ابناء دمشق ؟

وقد نلت الشرف العظيم بالقاء محاضرة فى المجمع العلمى يوم ٦ حزيران ١٩٣٠ فى المقارنة بين الشاعرين الحكيمين المعرى والخيام ، وانا فخور اذ كنت اول من انتصف للمعرى ، وقد تنازل اعيان المدينة الفاضلة فاستحسنوا المحاضرة ، وكان من دلائل تقديرهم ان اقترح رئيس المجمع العلمى منحى وساماً علمياً ، فانعمت الحكومة السورية علىّ به ، وانى لقاء ما لاقيته من اكرام وحفاوة من ابناء دمشق وفى مقدمتهم علامة دمشق وحبرها الجليل محمد كرد على بك رئيس المجمع العلمى ، ونائبه الجليل الأستاذ المغربى ، والألمعيان الشاعران شفيق جبرى وخليل مردم ، والكاتب العبقرى معروف الارناووط وغيرهم من الفضلاء اهديت كتابى اليهم وحسبي بذلك اظهاراً لشعورى . م



*　　　　*

می خوردن وشاد بودن آیین منست :
فارغ بودن ز کفر ودین دین منست ؛
گفتم بعروس دهر کابین تو چیست ؟
گفتا دل خرّم تو کابین منست .

عادتی ان اشرب الحمیّا واسرّ بها . ودینی ان اهجر الکفر والدین
قلت لعروس الدهر ما هو صداقك ؟ قالت قلبك الجذلان صداق .

القســــــم الاول

عصره . سيرته . ادبه . فلسفته

*

مدينة الاحزان

اقصد بمدينة الاحزان « كربلاء » (١) تلك المدينة الشهيرة فى التاريخ وقد عرفت وذاع صيتها بين المسلمين بمأساتها التأريخية التى ما دون تاريخ الانسانية حادثة افجع من حادثتها المؤلمة . وقد كان من سوء حظ العرب والاسلام وقوع تلك الفاجعة التي سببت الويلات الكثيرة والمصائب الجمة لما حصل لابى عبد الله الحسين وآله من القتل والتنكيل والعذاب والاسر وقد ولدت تلك المأساة الواناً من الاحقاد والضغائن فى القلوب واوجدت الشقاق والاختلاف بين العرب والمسلمين وما زلنا نحن الاحفاد نقاسى الامرين ونعاني من نتائج هذه الوقعة ما نعاني ونحن القاتلون ونحن المقتولون .

---

(١) اختلف فى لفظة « كربلاء » فقيل انها منحوتة من كلمة « كوربابل » وهى مجموعة قرى بابلية منها نينوى والغاضرية وكربله والنواويس والحائر وهو موضع القبر الى رواق البقعة الشريفة ، وقيل انها مركبة من (كرب) اى حرم و (ايل) الله ومعناها (حرم الله) وهناك اقوال كثيرة لا تخرج عن دائرة الاحتمال والظن .

وتبعد كربلاء الحالية عن بغداد ٦٤ ميلا وهى مدينة واسعة كثيرة الرياض والغياض ، تحيط بها عرائس النخيل ، وفى جنانها الوان واصناف من الفاكهة اللذيذة . وهى الى ذلك ذات شوارع مستقيمة وابنية فخمة وعمارات جميلة .

وقد اصبحت كربلاء بعد ذلك المصاب الجلل مزاراً مقدساً يؤمه المسلمون من كل صوب وحدب ولا اغالى اذا قلت انها المدينة التى يحج اليها فى كل عام مائة الف فارسى ونصف هذا العدد او اكثر من الأقوام الاخرى كالهنود والافغان والتركمان وغيرهم ولا يقنع هؤلاء الزوار وفيهم العالم والطبعى والعامل بالمكوث فيها بضعة ايام بل فيهم من يفضل البقاء فيها اعواماً طويلة. ومنهم من ينقل اليها تجارته واعماله متخذاً اياها موطناً ثانياً له، وعلى مرور الايام غمرتها العجمة واصبح كل من ولد او سكن فيها يتكلم الفارسية و يلم بها على اختلاف لهجاتها.

وقد شاءت ارادة الله ان اشم نسيم الحياة فى هذه المدينة التى لاينقطع فيها النواح والبكاء والعويل لحظة واحدة فهى جديرة بان تسمى «مدينة الاحزان»

* * *

بى بى جان

ولما علا بي شبابي واستوت قامتى وجدت انى اتكلم الفارسية العامية مثل سائر الصبية من اهل المدينة بيد انى وجدت فى بيت الى عجوزاً شمطاء فارسية قد طحنتها كلاكل الايام وتركت الحوادث فى وجهها غضوناً وفى سحنتها شحوباً ينم عن ألم عميق وقد أشعلت المصائب رأسها شيباً كأن بياضه صفحة قلبها الطيب الودود ووجدت كل من فى البيت يحفظ لها حباً كثيراً ويحترمها احتراماً عظيماً فكانت

« بي بي جان » الآمرة الناهية في طول البيت وعرضه بل كانت ربة الدار وقهرمانة البيت تؤدب الصغير وترشد الكبير وتحنو على من فيه كأنهم فلذات كبدها غير اني كنت اجهل علاقة هذه الفارسية ببيت والدي وقد حدثتني امي عنها حديثاً شجيا اقصه عليك :

كانت « بي بي جان » زوج سري فارسي من مدينة شيراز وهي من حفيدات « فتح علي شاه » الملك القاجاري وقد هجر زوجها مدينة شيراز وشد الرحال الى كربلاء زائراً فطاب له العيش فيها فاصبح بها مقيما الا انه ما عتم ان ابتلي بالافيون فاجتاحت هـــذه الآفة امواله حتى قضت على الدانق الاخير فهجره اعوانه وتركه خدامه فاملق مثقلا بالديون الى ان هاجمته الاوجاع والامراض ثم حفر له الضنى حفرة طمه فيها فكان اثراً بعد عين فبقيت بي بي جان الاميرة البائسة وحيدة فريدة لا ركن لها تأوي اليه ، ولا والد يحميها ولا شقيق تعتمد عليه ، وقد عضها الحزن وآلمها الفقر والذل فوقعت مريضة . ولما بلغ جدي ما جرى لها — وكان خطيب المدينة وواعظها — هزته مروءته العربية فجاء اليها بمن حملها الى بيته واحضر لها الاطباء وبذل في سبيل نجاتها المجهود الى ان عادت اليها العافيـــة وشفيت من مرضها وقوى جسدها فجعلها مربية لاولاده وبناته فكان يجلها ويحسن معاملتها ويوصي بها خيراً متبعا القول المأثور « ارحموا عزيز قوم ذل » وكانت بي بي جان على جانب عظيم من الفضل والادب والاخلاق . ناسكة زاهـــدة لبيبة فطنة . وكانت تجيد النظم والانشاء في الفارسية وتستظهر اروع الشعر واحسنه وكانت

تلم بتراجم الشعراء ونكاتهم وتحفظ الشيء الكثير من الامثال الفارسية والعربية فتولت تعليم امي واخوانها واخواتها وقد ادركتها ولم يبق فى فمها الا ناب وقد انحنى ظهرها وضعف بصرها . وكنا اذا اجتمعنا فى غرفتها ليالى الشتاء للسمر حدثتنا حديثا لذيذاً عن نكات الشعراء والادباء من الفرس والعرب الى ان يتغشانا النعاس فتصرفنا عندئذ واحداً اثر واحد وتشيعه الى مضجعه .

وقد توفاها الله فى صيف سنة ١٩١٩ فشيعناها بالعبرات والحسرات تغمدها الله برحمته .

اول عهدى بالخيام

أسطورة

فى احدى ليالى الشتاء عام ١٩١٧ م اجتمعنا فى غرفة المرحومة صغاراً وكباراً وهى تدير علينا اكواب الشاى وتسقينا من حديثها الجميل ماهو احلى من رحيق الراح ، فابتهجت النفوس وطربت الارواح ، وقد أمسكت غليونها الطويل — وما زلت محتفظاً به — تبلع دخانه وتمتصه كما يمتص الطفل ثدى امه وقالت، وعلى فمها ابتسامة تشف عن نفس كريمة وقلب طهور ،

احدثكم الليلة عن احد القلندرية واسمه عمر الخيام . قالت : —

صعد ذات يوم على قمة الجبل واخذ معه ابريقاً مترعاً بالمشعشعة وبينما كان يحسو الكؤوس هبت ريح شديدة فحطمت ابريقه فانسكبت الخمرة

فهاجت ثائرته وغضب غضباً شديداً فخاطب الله بهذه الرباعية :

ابريق مى مرا شكستى ربي
بر من در عيش وابستى ربي
بر خاك فكندي مي گلگون مرا
خاكم بدهن مگر تومستى ربي

اى — حطمت يا آلهي ابريق خمرى واوصـــدت باب الطرب فى وجهى، وسكبت على الارض خمرتي اللاز وردية . تراب بفمي فهل انت سكران مثلي ؟ !!

ولما اتم انشاد هذه الرباعية اسود وجهه على الفور حتى لكأنه فحمة ففرعت ابنته وقالت له يا ابتـــاه قـد اسود وجهك وناولته مرآة فلما نظر الى وجهه فى المرأة والفاه اسود فاحماً بكى بكاءاً شديداً وندم على ما فرط فى جنب الله وعلم ان الله قد غضب عليه فاستغفر الله عن هفوة اللسان بهذه الرباعية :

نا كرده گنه در جهان كيست بگو
وانكس كه گنه نكردجون زيست بگو
من بدكنم وتوبد مكافات دهى
بس فرق ميان من وتو جيست بگو

اى — يا آلهي قل من الذى لم يرتكب خطاءً وكيف عاش انسان ولم يرتكب خطأً — اوذنبا — أنا اعمل سوءاً وانت تجازيني بسوء مثله اذاً ما الفرق بيني وبينك ؟

ولما انتهى من انشاد هـذا الرباعي عاد وجهه كما كان اولا .

* * *

بهذا حدثتني « زن اغا » (١) عن عمر الخيام قبل اثنى عشرة سنة وانا يومئذ فتى يافع وقد بعثت في هذه الاسطورة اللذيذة رغبة الاطلاع على شعره ومعرفة شخصه فطلبت اليها ان تدرسني ديوانه فرفضت طلبي زاعمة ان في شعره مالا يتفق مع الشرع ، فالححت عليها الحاحاً شديداً فأخذت تدرسني رباعياته وفي مـدة لم تتجاوز الشهرين استظهرت جميع رباعياته فوقفت على دقيق معانيها وعميق مغازيها فملت اليه كل الميل وشعرت بلذة نفسية من دراسة شعره وفي سنة ١٩٢١م فاتحني صديقي الشاعر المبدع السيد محمد الهاشمي بترجمـة الرباعيات فترجمت له مايقرب من ٣٠٠ رباعية وقدمتها في قوالب عربية نفيسة مع المحافظة على الروعة والجلال والانسجام غير اننا لم نوفق لطبع الكتاب فانفرد كل بمـا لديه فاخذت يومئذ ادرس ادب الخيام وحياته على الطريقة العصرية فانتجت هذا الكتاب الذي اقدمه الى قارئيه بيد مرتعشة يهزها الحياء والخجل .

---

(١) وكان هذا لقبها

*

من هو عمر الخيام؟

الوثائق التاريخية التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه

من اقدم الوثائق التاريخية التي وردت فيها اخبار عمر الخيام وحوادثه كتاب « جهار مقاله — اربع مقالات » لمؤلفه احمد بن عمر بن علي النظامي العروضي السمرقندي الذي تتلمذ لعمر الخيام وزار قبره في سنة ٥٣٠ هـ وقد قيل له ان استاذه توفى منذ اربع سنوات.

— ١ —

النظامي

والنظامي هذا ذكر في المقالة الثالثة التي افردها لاخبار الفلكيين ما ترجمته (١) :—

في سنة ٥٠٦ هـ في مدينة « بلخ » وفي صرح « امير بو سعد جره » حظيت بخدمة الاستاذ عمر الخيام والامام المظفر الاسفزاري (٢) وفي

(١) جهار مقاله ص ٦٢ — ٦٤

(٢) هو الفيلسوف ابو حاتم المظفر الاسفزاري كان معاصراً للفيلسوف عمر الخيام وبينهما مناظرات ولكن المظفر عنه بعيد والغالب على المظفر علوم الهيئة وعلم الانتقال والحيل وكان مرزوقاً بالمستفيدين على خلاف طبيعة الخيامي وللمظفر تصانيف كثيرة في الرياضيات والاثار العلوية وغير ذلك (تاريخ حكماء الاسلام في خزانة المجمع العلمي العربي في دمشق)

اثناء الحديث سمعت حجة الحق اى —عمر الخيام— ؛ يقول انى اذا مت فان قبرى سيكون فى مكان تهب عليه نسائم الشمال وينتثر عليه الزهر والورد .

وقد تملكنى العجب من قوله لانى كنت اعلم ان خياماً لا يتكلم الا عن رو ية وفى سنة ٥٣٠ هـ دخلت نيسابور فبلغنى ان التراب قد اخفى ذلك العظيم منذ اربع سنوات وترك العالم السفلى يتيما . ولما كان له حق التعليم ذهبت لزيارة قبره يوم الجمعة ومعى رجل ليدلنى على قبره فاخذنى الرجل الى مزار (حيره) ولما وصلنا التفت الى اليسار فالفيت قبر عمر الخيام بجانب جدار حديقة مهجورة وقد احاطت بقبره اشجار المشمش المنورة وكان الزهر يتساقط على قبره حتى اخفى قبره وقد ذكرت ماقاله لى فى بلخ فبكيت ولم اجد فى هذا العالم نظيره اسكنه الله تبارك وتعالى جناته بمنه وكرمه .

— ٢ —

البيهقى

هو الشيخ الامام ظهير الدين ابو الحسن ابن الامام ابي القاسم البيهقى (١) المتوفى فى حدود ٥٧٠ هجرية فقد ذكر فى كتابه (حكماء الاسلام) (٢) مانصه : —

---

(١) بيهق بلدة من نواحى نيسابور

(٢) ظفر بهذا الكتاب الجليل علامة دمشق الاستاذ الكبير السيد محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق فى احدى مكتبات اوروبا الكبرى فصوره واهداه الى المجمع واضاف بذلك حسنة اخرى الى حسناته الجمة ادام الله حياته .

ولقد دخلت على الامام — اى عمر الخيام — فى خدمة والدى فسألنى معنى هذا البيت فى الحماسة :

ولا يرعون اكناف الهوينى　　　اذا حلوا ولا ارض الهدون

فقلت له: الهوينى اسم تصغير كالثريا والحميا ومعناه أنهم من عزهم وجرأتهم لايرعون النواحى التى اباحتها المسالمة ووطأتها المهادنة ولكن النواحى المتحاماة.

ثم سألنى عن أنواع الخطوط القوسية. فقلت: أنواع الخطوط القوسية اربعة منها محيط دائرة ومنها قوس اعظم من نصف دائرة. فقال لوالدى: « شنشنة أعرفها من أخزم » !

وحكى لى ختنه الامام محمد البغدادى انه كان يتخلل بخلال من ذهب ويتأمل فى كتاب (الشفاء) ولما وصل الى فصل الواحد والكثير قال لى: اطلب الاصحاب لانى اريد ان اوصى. ولما اجتمعوا طفق يصلى وأعرض عن غيره، ولما سجد كان يقول فى سجوده « اللهم انى عرفتك على مبلغ امكانى فاغفر لى فان معرفتى اياك وسيلتى اليك » ثم قضى نحبه. وكان آخر نظمه هذا الرباعى :

سير آمدم اى خداى از هستى خويش
از تنك دلى واز تهى دستى خويش
از نيست جو هست ميكنى بيرون آر
زين نيستيم بحرمت هستى خويش (١)

(١) لم يذكر البيهقى هذا الرباعى فى كتابه « حكماء الاسلام » وانما ذكره ...

مللت يا إلهي وجودي ومن ضيق صدري وفراغ يدي يا من يجعل من العدم وجوداً اخرجني من عدمي بحرمة وجودك :

— ٣ —

خاقاني

وبعد جهار مقاله ورد اسمه في اشعار خاقاني الشيرواني الذي توفي سنة ٥٩٥ ه فقد قال في بعض قصائده

زان عقل بدو گفته كه اى عمر عثمان
هم عمر خيـــامي وهم عمر خطاب

— ٤ —

الرازي

وجاء ذكره في كتاب مرصاد العباد لمؤلفه الشيخ نجم الدين ابي بكر

واضع حواشي جهار مقاله راجع ص ١٢٨ — ٢١٩ وفي رواية اخرى انه انشد هذا الرباعي ومات

يا رب خردم درخور اسباب تو نيست
واندیشهٔ من بجز مناجات تو نيست
من ذات ترا بواجبى كى دانم
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تو نيست

يا ربي ان عقلي قاصر عن معرفة اسبابك وما تفكيري الا مناجاة لك انا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعلم ذاتك غير ذاتك

ذكر هذه الرواية حسين دانش في كتابه (سر امدان سخن) ص ١٨٧ نقلا عن كتاب (نزهة الارواح) للشهرزوري .

الرازى سنة ٦٢٠ ﻫ ما ترجمته : « وما الحكمة فى جعل هـــذه الروح العلوية النورانيـة فى قالب سفلى أظلم متخذ من التراب ؟ ثم ما السبب فى التفريق بين الروح والجسد وقطع العلاقة بينهما ؟ لِمَ تتلاشى هذه الصورة وهذا الشكل ؟ وما السبب فى نشر جسد الانسان فى المحشر مرة اخرى ؟

اجل ، ان الذى خرج من زمرة (كالانعام بل هم اضل سبيلا) ووصل الى المرتبة الانسانية وخلص من قوله (و يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وسلك بذوق وشوق عظيمين الطريق الحسن — علم ان ثمر النظر والقدم هو الايمان والعرفان .

ان الفيلسوف الدهرى الطبيعى محروم هذين المقامين حتى ان احد الفضلاء وهو المشهور بحكمته وكياسته (عمر الخيام) قـــد تاه فى بيداء الضلال بقوله :

در دائرهٔ كامدن و رفتن ماست
آنرا نه بدايت نه نهايت پيداست
كس مي نزند دمى درين عالم راست
كاين آمدن از كجا ور فتن بكجاست

ان الدائرة التى فيها نجئ ونذهب ليست بذات بداية ونهاية ، لا احد يستطيع ان يقول من اين هذا المجئ والى اين هذا الذهاب .

— ٥ —

الشهرزورى

ويلى هؤلاء الشهرزورى شمس الدين محمد بن محمود فقد ذكر عمر الخيام فى

كتابه « نزهة الارواح وروضة الافراح » الذى الفه بين سنة ٥٨٦–٦١١هـ (١)

فقال : عمر الخيام نيشابوري الاثار والميلاد كان تلوا بي على ابن سينا في اجزاء علوم الحكمة الا انه كان سيء الخلق ضيق العطن . تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فاملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت، وله ضنة بالتصنيف، والتعليم وله مختصر في الطبيعيات ورسالة في الوجود ورسالة في الكون والتكليف ، وكان عالماً بالفقه واللغة والتواريخ .

ودخل الامام عمر يوماً على شهاب الاسلام الوزير عبد الرزاق وكان عنده امام القراء ابو الحسن الغزالى وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية فقال الوزير : على الخبير سقطنا ، فسئل الامام عمر عن ذلك فذكر وجود اختلاف القراء وعلل كلام كل واحد منهما وذكر الشواذ وعللها وفضل وجهاً واحداً . فقال الغزالى « كثر الله في العلماء مثلك ، اجعلني من بعض اهلك وارض عني ، فاني ما ظننت احداً من القراء في الدنيا يحفظ ذلك ويعرفه فضلا عن واحد من الحكماء » وأما اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها .

ودخل حجة الاسلام الغزالى عليه وسأله عن تعيين جزء من اجزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء ، فطول الخيامي الكلام وابتدأ من الحركة من مقولة كذا ، وضن بالخوض في محل النزاع وكان من دأب ذلك الشيخ المطاع حتى اذن الظهر فقال الغزالى: جاء الحق

---

(١) پروفسور ساخاو في مقدمة الاثار الباقية لابي الريحان البيروني ص ٥٦

وزهق الباطل . وكان السلطان ملكشاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك بخارا يعظمه غاية التعظيم ويجلس الامام معه على سريره .

ودخل على السلطان سنجر وهو صبي (١) قد اصابه جدري فلما خرج ساله الوزير كيف داويته وباي شيء عالجته ؟ فقال عمر : الصبي مخوف . فرفع خادم حبشي ذلك الى السلطان ، فلما شفي السلطان أبغضه .

وحكى انه كان يتخلل بخلال من ذهب وكان يتأمل الالهيات من الشفاء فلما وصل الى فصل الواحد والكثير وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب ، ولما صلى العشاء سجد وكان يقول فى سجوده « اللهم تعلم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لى وان معرفتي اياك وسيلتي اليك » ومات رحمه الله تعالى

وقد ذكر له شعراً فى العربية سنذكره فى بحث (اشعاره العربيه)

— ٦ —

ابن الاثير

وقد جاء ذكره فى كتاب كامل التواريخ لابن الاثير المؤلف سنة ٦٢٨ هـ فقد ذكر فى ذيل حوادث سنة ٤٢٧ هـ مانصه :

« وفيها جمع نظام الملك والسلطان ملكشاه جماعة من اعيان المنجمين وجعلوا النيروز اول نقطة من الحمل وكان النيروز قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت وصار مافعله السلطان مبدأ التقاويم : وفيها ايضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى

(١) راجع كتاب جهار مقاله لمؤلفه تلميذ خيام (العروضى السمرقندى)

عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامي وابو المظفر الاستفزاري وميمون بن النجيب الواسطي وغيرهم (١) وخرج عليه من الاموال شيء عظيم و بقي الرصد دائراً الى ان مات السلطان سنة ٤٨٥ ﻫ فبطل بعد موته »

— ٧ —

القفطي

وممن ذكره من مؤرخي العرب الوزير جمال الدين ابو الحسن على ابن القاضي الاشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦ﻫ قال :

« امام خراسان ، وعلامة الزمان ، يعلم علم يونان ، و يحث على طلب الواحد الديان، بتطهير الحركات البدنية، لتنزيه النفس الانسانية ، ويأمر بالتزام السياسة المدنية، حسب القواعد اليونانية، وقد وقف متأخر والصوفية على شيء من ظواهر شعره فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم، وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للاغلال جوامع ، ولما قدح اهل زمانه ، في دينه واظهروا ما اسره من مكنونه ، خشي على دمه ، وامسك من عنان لسانه وقلمه ، وحج متاقاة لا تقية ، وابدى اسراراً من السرار غير نقية ، ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته في العلم القديم، فسد دونهم الباب سد النادم لا سد النديم، ورجع من حجه الى بلده يروح الى محل العبادة ويغدو ، و يكتم اسراره ولا بد ان تبدو، وكان عديم القرين في علم النجوم ، والحكمة ، وبه يضرب المثل في هذه الانواع لو رزق

(١) قال مؤلف « سرامدان سخن » ان الذين عهد اليهم بناء الرصد كانوا ثمانية من الفلكيين ومنهم عمر الخيام ولم يذكر المصدر الذي نقل منه هذا الخبر

العصمة ، و له شعر طائر تظهر خفياته على خوافيه ، وتكدر عرق قصده كدر خافيه . فنه :

اذا رضيت نفسي بميسور بلغة ... يحصلها بالكد كفي وساعدي
امنت تصاريف الحوادث كلها ... فكن يازماني موعدي اوموعدي
اليس قضى الافلاك من دورها بان ... تعيد الى نحس جميع المساعد
فيانفس صبراً عن مقيلك انما ... تخر ذراها بانقضاض القواعد
ولي فوق هام النيرين منازل ... وفوق مناط الفرقدين مصاعدي
متى مادنت دنياك كانت بعيدة ... فواعجبي من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحيـــاة منية ... فسيان حالا كل ساع وقاعد (١)

— ٨ —

القزويني

وممن ذكره من المؤرخين زكريا بن محمد بن محمود القزويني صاحب كتاب آثار البلاد واخبار العباد الذى الفه سنة ٦٧٤ ه قال فى بحثه عن نيشابور « ينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيماً عارفا بجميع انواع الحكمة سيما النوع الرياضي وكان في عهد السلطان ملكشاه السلجوقي . سلم اليه مالاً كثيراً ليشتري به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك . وحكي انه نزل ببعض الربط فوجد اهلها شاكين من كثرة الطير ووقوع ذرقها وتنجس ثيابهم بها فاتخذ تمثال الطير من الطين ونصبه على شرافة من شرافات الموضع فانقطع الطير عنها .

(١) راجع اخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي طبع ليبسيك ص ٢٤٣ — ٢٤٤

وحكي ان بعض الفقهاء كان يمشي اليه كل يوم قبل طلوع الشمس ويقرأ عليه درساً من الحكمة فاذا حضر عند الناس ذكره بالسوء فأمر عمر باحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم فى داره فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس أمرهم بدق الطبول والنفخ فى البوقات فجاءه الناس من كل صوب ،فقال عمر: ياأهل نيشابور ! هذا عالمكم يأتيني كل يوم فى هذا الوقت ويأخذ مني العلم ، يذكرني عندكم بما تعلمون فان كنت انا كما يقول فلأى شيء يأخذ علمي والا فلأى شيء يذكر الاستاذ بسوء ؟ (١)

— ٩ —

رشيد الدين

ومن الذين ذكروه رشيد الدين بن فضل الله المتوفى سنة ٧١٨ ه صاحب كتاب جامع التواريخ قال ما ترجمته :

ان اسباب العداوة والنفرة التي كانت بين سيدنا حسن الصباح وعمر الخيام ونظام الملك انهم كانوا فى مدرسة واحدة وكان بينهم صفاء واخاء وصداقة عظيمة كما يحدث بين ابناء المدارس حتى وصلت الصداقة الى اوجها واتفقوا على الاخاء والمحبة ثم اتفقوا على ان من ينال منهم رتبة علية يساعد الاخرين وبحسب الاتفاق اتفق ان وزر نظام الملك وزيرا كما هو مذكور فى تاريخ آل سلجوق فذهب اليه عمر الخيام وذكره بالعهود والمواثيق فى ايام الصبا . فتذكر نظام الملك الحقوق القديمة وقال له : وليتك نيسابور ونواحيها !

---

(١) اثار البلاد واخبار العباد طبع ووستفليه ص ٢١٨

وكان عمر حكيماً عظيماً فاضلاً عاقلاً فقال : « ليس لى طاقة بالسياسة وأمر العوام ونهيهم فأعطنى راتباً شهرياً بحسب الوظيفة » . فأعطاه نظام الملك عشرة آلاف دينار فى السنة من دخل نيسابور المحروسة بدون نقص ولا انقطـــاع ..... وكذلك سيدنا حسن الصباح ذهب من الرى الى نظام الملك ليحظى بخدمته ، وقال له : « الكريم اذا وعد وفى » فقال له نظام الملك « اختر بين ولاية الرى واصفهان » وكان سيدنا ذا همة عالية فلم يقنع بذلك ولم يرض به وكان يتوقع ان يشاركه بالوزارة . فقال له نظام الملك : كن ملازماً لحضرة السلطان مدة .

ان نظام الملك كان يعلم ان حسن الصباح كان طالباً لأن يحل محله فى الوزارة والرتبة فكان يتحذر منه ، وبعد سنين استوحش السلطان من نظام الملك ورفع الحساب من عهدته » .

— ١٠ —

الابرقوهى

وممن ذكره مؤلف « فردوس التواريخ » وهو مولانا خسرو الابرقوهى سنة ٨٠٨ هـ قال ما تعريبه : — « خيام — وهو عمر بن ابراهيم الخيام — كان ذا باع طويل فى العلوم الخاصة ، وفى علم النجوم ، وله رسائل ذائعة الصيت واشعار لا نظير لها ، ومن اشعاره :

هر ذره كه در روى زمينى بودست
خورشيد رخى زهره جبينى بودست

گرد ازرخ نازنین بآزرم فشان
کان هم رخ وزلف نازنینی بودست

ان كل ذرة على وجه البسيطة هى وجه جميلة حسناء ، ياهذا انفض الغبار برفق فان هذا التراب كان وجه زهراء الجبين .

—١١—

حمد الله المستوفى القزوينى

وممن ذكره المؤرخ حمدالله المستوفى القزويني فى كتابه الذى أتمه فى سنة ٧٣٠ هـ (١) قال ما تعريبه :

« عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعاً من اكثر العلوم ولاسيما علم النجوم وبرز فيه على من كان فى عصره ، وكان من ندماء السلطان ملكشاه السلجوقى . له رسائل جيدة وشعر بديع ، ومن شعره هذه الرباعية :

هر ذره که بر روی زمینی بوده‌است
خورشید رخی زهره جبینی بوده‌است
گرد ازرخ آستین بآزرم فشان
کان هم رخ خوب نازنینی بوده‌است

اى — ان كل ذرة على وجه الارض هى وجه زهراء الجبين ، ياهذا انفض التراب من اردانك بأدب لان ذلك ايضاً وجه جميلة فتانة .

(١) تأريخ گزيدة نقلاعن كتاب (عمر الخيام) لرضا توفيق وحسين دانش

خوأندمير

قال صاحب كتاب روضة الصفا (ج ٤ ص ٦١) الشيخ مير خند وهو من علمآء القرن الثامن للهجرة :

« قال الاستاذ نظام الملك أفاض الله عليه شآبيب الغفران : كان الشيخ موفق النيسابوري روح الله روحــــه من كبار علماء خراسان ، وكان محترماً يتبرك به وقـد تجاوز من العمر الخامسة والثمانين ، وكان مشتهراً عنه أن من يتعلم عنده القرآن والحديث من التلاميذ ينالون الرتب العالية فعلى ذلك أرسلني أبي اليه مع الفقيه عبد الصمد للتعلم ، فذهبنا من طوس الى نيسابور للتشرف بباب مجلســه العظيم والتعلم ، فشرعت في الاستفادة والتعلم عليه ، وكانت له عناية بي وقـد أحببته واحترمته كثيراً ، وبقيت عنده أربع سنين ، واتفق أن رأيت عند مقدمي اليه تلميذين ذكيين أحدهما عمر الخيام والآخر الملعون حسن بن الصباح وكان على جانب عظيم من الذكآء ، وبعد قليل ارتبطنا بروابط الصداقة الخالصة فكانا يأتيان عندي بعد الدرس فنتدارس ونتذاكر فيــه ، وكان عمر من نيسابور ، وحسن صباح الذي اسم أبيه على من الري ، وكان أبوه رجلا سيء المذهب خبيث العقيدة ، وكان يقيم في الري ، وكان اذ ذاك ابو مسلم المروزي والياً على الري وهو معروف بحسن العقيدة والاخلاق الفاضلة ، وكان حسن يعادي عادات أهل السنة ويظهر مفاسدهم ، ولـكنه كان يدعي اذا حضر عند

أبي مسلم أنه برىء من بعض تلك الاراء ويحلف الايمان على ذلك . ولما كان الامـــام موفق النيسابورى امام اهل السنة والجماعة فى نيسابور جاءه ذلك الملعون (حسن) وشرع فى الدرس عليه دافعاً لشبهة الرفض التى اتهم بها بطريقة الزهدواختار العزلة ، وكان تارةتروى عنه كلمات تدل على الالحاد والاعتزال ، وتارة يتهم بالكفر والمروق والزندقة ، وكان ينتسب الى العرب ويدعى انه من حمير من آل صباح وان والده من الكوفة أتى الى قم ومنها الى الرى ، وكان أهل خراسان — ولاسيما أهل طوس — يكذبونه فى ذلك ويقولون ان ابا حسن هو أحد قروي خراسان . قال نظام الملك — فقال لنا حسن يوماً: كلنا تلاميذ للامام موفق النيسابورى وسننال الرفعة والحظوة فمن يكون منا مظهراً لهذا الفيض ، ولابد ان يكون احد منا فماذا سيعمل لاخويه الباقيين ؟ فقلنا له: ليكن كيفما تريد ! فقال: يلزم ان نتعاهد على ان كل من يصيب ذلك منا يشارك اخويه الآخرين ولا يكتفى بمنفعة نفســه . فقلنا : نعم فليكن ذلك ، وثبتنا على تعهدنا ، فمضت السنون على هذه الحادثة وسافرت من خراسان الى ما وراء جيجون وغزنه وكابل ، وبقيت مدة فى غزنه وكابل ولما عدت خولنى السلطان الب ارسلان وظيفة خطيرة فجاءنى عمر الخيام وقضيت ما تعهدنا به من حسن الوفاء والقيام بالمراسم له واكرمته واعززته وقلت له بعد ذلك: يلزم ان يكون مثلك من اهل الكمال ملازماً لمجلس السلطان وقلت له: سأذكر فضلك للسلطان واذكر حالك وعلمك فأجعل لك مكانة فى نفسه حتى تكون مثلى. فقال لى الحكيم الخيام: ان عرقك

الشريف ونفسك الكريمة وطينتك الطيبة وهمتك العالية التى أظهرت بها هـــذه المطالب دعتنى اليك والافان رجلا ضعيفاً مثلى لا يكون مظهراً لتواضع وزير المشرق والمغرب ، ولا ريب فى ان هذه التلطفات صادرة عن صدق لاعن تكلف وهى قليلة بالنظر الى مكانك وعلو شأنك لكن أياديك متكاثرة على، ولو قضيت عمرى بشكرك لما وفيت حق هذه المكرمة التى تفضلت بها على، وانى اتمنى ان اكون ابداً فى موضع العبودية لدى مقامك ، وان ما امرت به يجب ان لا تكون عاقبته الكفران والجحود، والان انزوى جالساً فى باب دولتك ومشتغلا بنشر العلم والفوائد والدعاء بالعمر الطويل لك . قال نظام الملك : وأصر الخيام على هذا الكلام لأنى أعلم انه كان يتكلم بما فى ضميره بدون تكلف فعينت له كل عام ١٢٠٠ دينار من املاك نيسابور ينفقها على معاشه ولكنه رجع بعد ذلك الى موطنه وأتم الفنون خصوصاً فن الهيئة ووصل فى هذا الفن الى درجة رفيعة جداً . وفى عهد الملك العظيم ملك شاه جاء الخيام الى مرو وأخذ فى تدريس علم الحكمة وكان مظهر عناية السلطان ووصل مقاماً كان فيه من كبار العلماء والحكماء .

—١٣—

زوكوفسكى

ومن الوثائق التى عثر عليها المستشرق « زوكوفسكى »ماورد فى تاريخ الألفى الذى كتب فى سنة ١٠٠٠هـ وهو مختصر « نزهـــة الارواح » للشهرزورى ، وقد ذكر له رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ وهى :

ای رفته وباز آمده بل هم کشته
نـــامت زمیان نا مها کم کشته
نا خن همه جمع أمده وسم کشته
ریش از بس کون در آمده دم کشته

یامن ذهب وجاء وصار ، بل هم كالانعام او أضل سبيلا ، لقد ضاع اسمك بين الاسماء واجتمعت أظافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك فى عجزك وصارت ذيلا .



تحقيق ما جاء فى هذه الوثائق

الآن - وقد انتهينا من استقصاء أهم الوثائق التأريخية عن عمر الخيام وما جرى له من الحوادث فى حياته وما كان يعتقده فيه معاصروه — يقضى البحث العلمى أن ننظر فيها نظرة انتقاد عامة فهو قد لايجوز قبول هذه الوثائق برمتها، وقد يبعث الشك فى صحتها، وقد ينكر ما جاء فيها. فتحتم علينا أن ننقد هذه الوثائق من الوجهة التأريخية ونزن ما جاءنا عنه من انباء الحوادث والوقائع حتى نستخلص الحقيقة بطريقة التعليل المستندة الى الاستقراء قياساً او اجتهاداً. فان ما أسند الى هذا الحكيم من غرائب الاخبار ومـــا عزى اليه من عجائب الحوادث يدفـــع الى الارتياب فى صحتها اذ سدلت على حياة الرجل غلالة من الغموض والابهام. فان ما كان عليه الخيام من مكانة رفيعة ومنزلة سامية ومن فضل وادب وتفكير صحيح يعارض ما ورد عنه وربما كان ما يقصه علينا المؤرخون من قبيل ما يلفق عن العظماء والمفكرين من الاخبـــار التى تختلق عادة اعظاماً لاقدارهم او حطاً لها.

ولست اجد فى نفسى — وقد بحثت طويلا فى تحقيق هذه الوثائق — ميلا الى الاعتقاد بسلامتها من شوائب الكذب والافتراء مستثنياً ما كتبه عنه تلميذه «النظامى» الذى درس عليه العلوم الشائعة فى عصره، والبيهقى الذى تحدث اليه مرة واحدة فى قضايا لغوية وفلكية.

وبعد فلنلق نظرتنا الى هذه الوثائق ....

رواية البيهقي — أما البيهقي فقد حدثنا عن كيفية وفاة الخيام فقال: « حكى لي ختنه الامام محمد البغدادى انه كان يتخلل بخلال من ذهب ويتأمل «كتاب الشفاء» ولما وصل الى فصل الواحد والكثير قال لى اطلب الاصحاب لأنني أريد أن أوصى ، ولما اجتمعوا طفق يصلى وأعرض عن غيره ، ولما سجد كان يقول فى سجوده « اللهم اني عرفتك على مبلغ امكاني فاغفر لى فان معرفتي اياك وسيلتي اليك » ثم قضى نحبه.

فالذى يتأمل فى هذا الخبر لا يتردد فى الحكم على عدم صحته. فاننا نجهل شخصية ختنه كما نجهل اصحابه ، ولم نسمع ولم نقرأ عن وفاة انسان على الصورة التى توفى فيها عمر الخيام ، فاذا كان يراد بذلك انه كان من أصحاب الكرامات والمعجزات ؟؟! فان الانبياء الذين يفضلون خياماً بما لهم من منزلة قدسية عند الله أولى وأجدر منه بهذه الميتة السهلة من غير معاناة ألم ومرض. واذا كان يراد بهذه الحكاية اظهار فضله والاشادة بزهده وورعه فماذا تكون قيمة هذه ازاء الشهادات القاسية التى طعنت في دينه وعقيدته؟ وكيف يمكن التوفيق بين هذا الادعاء العجيب وبين قول الشيخ نجم الدين الرازى صاحب كتاب مرصاد العباد الذى زعم أن خياماً كان من الفلاسفة الدهريين الطبيعيين وانه قد تاه فى بيداء الضلال. ؟وقول القفطى فى كتابه « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » : ولما قدح اهل زمانه فى دينه ، وأظهروا ما أسره من مكنونه ، خشى على دمه وأمسك من عنان لسانه وقلمه، وحج متاقاة لا تقية ، وأبدى اسراراً من السرار غير نقية؟ »

على أن رحمة الله تسع أوزار الورى ولعل الله قد غفر للخيام فى آخر ساعة من حياته بعد أن قضى دهراً طويلا يدعو الناس الى معاقرة بنت الحان،سفهاً رأى من يعتقد بالحشر والنشر ، ولله خوارق العادات ؟ !

على أنني لاأتردد فى الحكم على هذه القصة المضحكة بأنها أسطورة اختلقها الناس .

رواية الشيخ ميرخوند — وأما الشيخ ميرخوند فقد نقل فى كتابه (روضة الصفا) وصايا نظام الملك الوزير وفيها خبر اجتماعه فى صغره مع عمر الخيام والحسن الصباح فى مدرسة واحدة . وقد توقف اكثر العلماء الباحثين فى قبول هذه الرواية واعتبروا هذا الخبر اسطورة ، وحجتهم فى ذلك أن نظام الملك ولد سنة ٤٠٨ هـ وقد ثبت أن وفاة عمر الخيام كانت سنة ٥١٧ هـ ووفاة الحسن الصباح سنة ٥١٨ هـ فعلى هذا يقتضى أن يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح ١٢٠ سنة وهو احتمال ضعيف وعلى هذا نفى اكثر العلماء والمشتغلين فى هذا الموضوع اجتماع هؤلاء الثلاثة لتعذر المقاربة بين اعمارهم (١)

ولست اميل الى تكذيبها بتاتاً لأني لااستبعد وقوع ذلك وقد يجوز ان يعيش الانسان ١٢٠ سنة لكن الذي يدفع الباحث الى الارتياب فى هذا الخبر هو شئ واحد ، وهو أننا لوفرضنا أن عمر الخيام قد عاش هذا العمر اتفاقاً فهل يجوز لنا ان نفرض بأن الحسن الصباح قد عمر

---

(١) وممن ذكرهذا المستشرق الفرنسي لويز ماسنيون فى اثناء زيارته بغداد منذ اكثر من عامين ، وقد ضمنا واياه مجلس كان فيه الاستاذان الاثرى وعز الدين علم الدين .

بقدر ماعمر الخيام اتفاقاً أيضاً ؟ فى هذه الحالة أقف ازاء هذه القصــــة موقف المتردد الذى يشك تارة ويوقن اخرى .

رواية زكريا بن محمد بن محمود القزوينى — . أما زكريا القزوينى فقد روى فى كتابه آثار البلاد واخبار العباد قصة غريبة عزاها الى عمر الخيام وتتلخص فى أن أحد الفقهاء كان يقرأ عليه درساً فى الحكمة كل يوم قبل طلوع الشمس فاذا حضر عند الناس ذكر الخيام بالسوء فأمر الخيام باحضار جمع من الطبالين والبوقيين وخبأهم فى داره فلما جاء الفقيه على عادته أمرهم الخيام بضرب الطبول، فجاءته الناس ، فقال الخيام : ياأهل نيشابور هذا عالمكم يأتينى كل يوم فى هذا الوقت ويأخذ عنى العــــلم ويذكرنى عندكم بما تعلمون فسبب بذلك فضيحة للفقيه ، الى آخر القصة

. هذا مارواه القزوينى ونحن نعلم بأن عمر الخيام كان يجلس فى سرير واحد مع ملكشاه السلجوقى ، وكان ملك بخارى يعظمه كثيراً ، وقد علم الفلسفة فى نيشابور و بنى فيها الارصاد وكانت له منزلة رفيعة حتى ان الامام الغزالى قال له حين مواجهته له : اجعلنى من بعض اهلك فهل من المعقول أن يسف الخيام هذا الاسفاف الذى يترفع عنه الفتية لينتقم من شانئه بهذه الوسيلة المضحكة .

رواية المستشرق زوكوفسكى — وأما المستشرق زوكوفسكى فقد زعم انه عثر فى تاريخ الالفى الذى كتب فى سنة ١٠٠٠ هـ على رباعية استدل بها على قوله بالتناسخ. وهذه الرواية لايعتد بها ايضاً لان من يهاجم عقيدة البعث بعد الموت فى اكثر رباعياته لايمكن أن يعتقد بمذهب التناسخ الذى هو رأى الاقوام المنحطة فى التفكير .

مقام الخيام في الاداب الحديثة

— ١ —

الرباعيات في اللغات الاجنبية

لم يترك عمر الخيام بعده من الآثار غير رباعياته وبضع رسائل في الفلسفة والطبيعيات والجبر والكيمياء . وقد وقف المتأخرون على رباعياته فوجدوا فيها من الحلاوة والروعة وبعد التفكير ما أثار في نفوسهم الاعجاب الشديد بها ، فافتتنوا بها اى افتنان وتهافتوا على ترجمتها الى اللغات نثراً ونظما . واستظهروها وتحاوروا بها في مجالسهم وأنديتهم . والذين تولوا الاشادة بذكر عمر الخيام ورباعياته واذاعة صيته هم بعض الافذاذ من المستشرقين الذين يعود اليهم الفضل في بعث اسمه واعلاء شأنه ولولا هؤلاء الفطاحل لبقي الخيام خامل الذكر مجهولا عند الناس . ولست اريد ان ابحث في السبب الذي ساق هؤلاء الى الاعتناء والرغبة فيها وانما يكفي ان اقول ان المعاني الجليلة التي تضمنتها الرباعيات صادفت هوى في القلوب على اختلاف المشارب ولاءمت الاذواق والطباع فليس في الرباعيات تلك المسحة الشعرية الآرية والخيال الوسيع وانما تجلى فيها الذوق الانساني العام فكان خيام لمن ترجم عن احساس الناس وعبر عن شعورهم وشكوكهم وتخيلاتهم وآمالهم وآلامهم وباح بمكنوناتهم ودخائلهم .

هذا هو السر الذى اورث الميل اليه فى الناس . وها نحن اولاء نذكر أسماء الرجال الذين عنوا برباعياته .

* * *

اول من عرف الخيام من الفرنجة العلامة (توماس هايد Thomas Hayde) استاذ اللغتين العربية والعبرانية فى جامعة اكسفرد ومؤلف تاريخ اديان البرثيين والميديين ، وقد بحث فى شعر عمر الخيام وترجمه سنة ١٧٠٠م . ثم جاء من بعده فزكرلد Vitzgerald وهو اول من اشاد بذكر الخيام ورفع ذكره ومقامه فنظم فلسفته بالانكليزية رباعيات ضمنها روح الرباعيات الفارسية فخلد اسمه برباعياته التى صادفت قبولا عظيما من الانكليز والاميركان وهى آية فى السلاسة والرقة والاعجاز . وترجمة فزكرلد هى المشهورة المتداولة بين الناس .

واليك نموذجاً من نظمه : —

1

Awake for Morning in
the Bowl of Night
Has flung the Stone that
puts the Stars to Flight :
And Lo! the Hunter of
the East has caught
The Sultan's Turret in a
Noose of Light.

2

Dreaming when Dawn's Left
Hand was in the Sky
I heard a Voice within the
Tavern cry .
, Awake, my Little ones,
and fil the cup
,Bef re Life,s Liquor in its
Cup be dry

3

And, as the Cock crew, those
who stood before
The Tavern shouted-' Open
then the Door !
' You know how little
while we have to stay,
' And,once departed,may
return no more .

وفى سنة ١٨١٨م ترجم المستشرق النمساوى هـــامر برغستـــل Hammar Purgstal خمسا وعشرين رباعية ونشرها فى كتابه تأريخ الدولة العثمانية مدعياً أن هذه الرباعيات مخالفة للدين الاسلامى .

وفى سنة ١٨٥٧م ترجم المستشرق غرسن دوتاسى Gorcin de Tassy عشر رباعيات .

وفى القرن التاســع عشر ترجم المستشرق الســير كور أوزلى Sir Gore Ouseley رباعيتين وكان سفيراً فى طهران وتوفى سنة ١٨٤٤م .

وفى سنة ١٨٩٨ م ترجم المستشرق أدورد هـــيرن الرباعيات

الى الانكليزية نثراً معتمداً على النسخة التى اعتمدهـــا فز كرلد وبين ما راعاه هذا من الاصل فى ترجمته ومالم يراعه .

وترجمها الى الفرنسية نثراً المسيو نقولا Nicolas الذى كان مستخدماً فى السفارة الفرنسية فى طهران ، وقد ترجم هذا كل ما اشتملت عليه النسخة التى طبعت فى بمبى، ومن رأيه أن الخيـام شاعر صوفى مشغول بالعشق الالهى سكران بالخمرة المقدسة وشبهه بحافظ الشيرازى .

وترجمها الى الانكليزية كل من ونسفلد Whinfield وهالن Hallen وهرسن Hirson وريشرد لكلين Richard Le galliaun لكنهم لم يبلغوا الشأو الذى بلغه فزكرلد .

وقد ترجمها الى الفرنسية المسيو ت . هنرى T. Henry .

ومن الذين كتبوا عنه المستشرق الانكليزى الاستاذ العلامة دينسن روس Denison Ross .

وممن تتبع سيرته المستشرق والنتين زوكوفسكى Valantin Zhukovski فكتب باللغة الروسية أشـــياء ترجمها عن دينسن روس .

وبحث المستر براون E.G.Brown استاذ اللغتين العربية والفارسية فى كمبرج بحثاً مفيداً عن فلسفته وسيرته .

وممن بحث فى فلسفته الاستاذ جاكسن jackson الاميركى

وبحث المستشرق برتلمى ديربلو Bar-helmgd' Herblot المتوفى سنة ١٦٩٥م فى كتابه «المكتبة الشرقية» عن الخيام .

* * *

الرباعيات فى اللغة العربية

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً الشاعر الرقيق وديع البستاني فترجم اربعين رباعياً من الانكليزية من نظم الشـــاعر فزكرلد . وهذا لم يترجم الرباعـــيات بنصها وفصها وانما درسها درســـاً عميقاً حتى اذا تشبعت روحـــه بآراء الخيـــام أخرجها فى قوالب شعرية هى من نتاج قريحته وفيض شاعريته فجاءت بعيـــدة عن الاصل ولكن عليها مسحة من شاعرية خيام . والبستاني بترجمته أبعدها عن الاصل اكثر الا أن له فضل الاولية فى لفت انظار العرب الى رباعيات الخيام

وفى ترجمته من الرقة والاحساس والسلاسة والروعة الشعرية مايفتن اللب ويهيج الشجو . واليك نموذجاً من ترجمته :—

بت فى حانتى ضجيع المدام　　　وقبيل انهزام جنح الظلام

راعني هاتف دوى فى المقام

صارخاً بالنيام : حتى الى ما　　　فارشفوها وودعوا الاياما

قبلما تجرعون كاس حمام　　　راحها علقم أسيـــغ شرابا

* * *

وربيع الحياة عهد الصباء　　　وحياتي كهذه الصهباء

مرها الحلو فهى طبي ودائي

وببلخ او نيسبور سأقضى فدعونى بعض اللبانة أقضى
ودعوني اسقى المدام دعوني قبلما يدهم المشيب الشبابا

* * *

ومقامي غصن مظال بقفر ورغيفان مع زجاجة خمر
كل زادي والاهل ديوان شعر
وحبيب بهواه قلبي المعنى بشجى يذيبني يتغنى
هكذا اسكن القفار وحيداً وارى هذه القصور خرابا

* * *

وأعقب البستانى الأديب المصرى السيد محمد السباعى فأخرج الى العربية مائة رباعي ورباعياً وقد ترجمها أيضاً عن الانكليزية البعيدة عن الاصل الفارسى وهى من حيث السبك والسلاسة والرقة والروعة دون ترجمة البستاني لان فيها من الالفاظ المهجورة والتعابير الثقيلة على الاسماع مايعافه الذوق ويمجه السمع ولهذا لم تشتهر كاشتهار ترجمة البستانى . وقد صدر النظم بهذا البيتين :

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خلس
سل سيف الفجر من غمد الدجى وتعرى الصبح من ثوب الغلس

وهذان البيتان من نظم الشاعر العربي (ابن وكيع) ولهما ثالث وهو قوله:

وانجلى عن حلل فضية نالها من ظلم الليل دنس

ولم يشأ السباعى ان يشير الى اسم ابن وكيع تحتهما وانما أغار على قوله فسباه ، وكان مقضياً عليه اجتناب هذا العاب .

واليك الان نموذجاً من ترجمته -

غرد الطير فنبه من نعس وأدر كأسك فالوقت خاس
سل سيف الفجر من غمد الغلس وانبرى فى الشرق رام أرسلا
اسهم الانوار فى هام القلاع

* * *

صاح بي فى النوم طيف هاتها نملأ الأكواب من ياقوتها
قبلما تنضب فى كاساتها خمرة الروح وترتد الى
منبع فى الغيب مجهول البقاع

* * *

واول من نقل الرباعيات الى العربية نظماً فى العراق الشاعر الاديب السيد محمد الهاشمي. وقد توليت ترجمتها من الفارسية نثراً وتولى نظمها فى العربية، فجاءت الترجمة طبقاً للاصل الفارسى وآية فى الرقة والسلاسة، وهى اصح ترجمة ظهرت الى الان فى العالم العربي. ومنها :

يا الهى اذا جنيت فأثمى يا الهى على شبابي وجسمى
وعلى نفسى الحزينة جرمي انا جان رجوت عفواً وصفحاً
منك قد غره رضاك فجارا

* * *

جيئتى فى الدنيا اذى واضطراب وبقائي تحير وارتياب
وبقسر يكون منى ذهاب اى قصد من جيئة وبقاء
وذهاب ؟ قد ضلت الالباب !

* * *

بيد مصحف وكأس بأخرى تارة بالحلال اتي ومرا
بحرام آنى فأحمـــل وزرا لست تحت السماء بالكافر الحـ
ـر ولا كنت كامل الاسلام

* * *

يا الهى أوعــــدتنى بعذاب انا منه فى حيرة واضطراب
اين قل ياربي مكان العذاب حيثما كنت لا عذاب فاني
هو ؟ اذ انتم بكل مكان

* * *

ثم أعقبه الاستاذ الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى فترجم الرباعيات من الاصل الفارسى رباعية رباعية نثراً ثم نظما، شيئاً بعد شيء، واختار منها مائة وثلاثين رباعية. فمن ترجمته :

أنا ان لم أحس السلافة يوماً كان للهم فى فؤادى دبيب
قيل لى تب فقلت ان كان ربي لم يشأ توبتي فكيف أتوب

* * *

لعبوا بالتراب دهراً الى ان جبلوا منه فى النهاية طينى
أنا ما ان أكون أحسن منى فمن الكور هكذا أفرغونى

* * *

يا يد الماشطات حسناء روداً مشبهاً وجهها من الحسن زهرا
الغبـــار انفضيه عنه برفق فلقد كان وجه حسناء أخرى

* * *

اما فى مصر فاول من نقلها عن الفارسية شاعر الشباب أحمد رامي ، وقد طبعت الترجمة عام ١٩٢٤ م، ولم اطلع عليها الا عام ١٩٢٠ م،وقـــد درستها بامعان فاذا هى دون ترجمة الزهاوى والهاشمي بكثير.فمن ترجمته :

سمعت صوتاً هاتفاً فى السحر   نادى من القبو غفاة البشر
هبوا املأوا كأس الطلا قبل ان   تفعم كأس العمر كف القدر

* * *

أحس فى نفسى دبيب الفناء   ولم أصب الا الاسى والشقاء
واحسرتا ان حان حينى ولم   يتح لفكرى حل لغز القضاء

* * *

أفق وصب الخمر انعم بهـــا   واكشف خفايا النفس من حجبها
وروِ اوصـــالى بها قبلما   يصاغ دنـــ الخمر من تربها

* * *

— ٣ —

الرباعيات فى اللغة التركية

واول من ترجم الرباعيات الى التركية هو المرحوم المعلم فيضى ولم يترجم اكثر من مئة رباعى .

ثم أعقبه « مستجابي زاده عصمت » وهو أحد أدباء الأتراك

ثم عبدالله جودت الاديب التركى الكبير، وقد اشتهرت ترجمته اكثر من غيرها ، ومن ترجمته :

باشمده یاناں حسرتکه تاج دیرم
راهکده دوشوب اولمه یه معراج دیرم
هم شاعر ازاده وهم بندهٔ حسن
به کوکلمه شاهنشه محتـــاج دیرم

ثم جاء الفيلسوف الشاعر رضا توفيق بك وألف كتاباً بالاشتراك مع الاديب المحقق حسين دانش، وهو أنفس كتاب ظهر في اللغـة التركية في رباعيات الخيام .

ونشر قبـــل مدة من الزمن الاديب حافظ عبدالقادر الازمـيرى رسالة صغيرة تضمنت ترجمه مختصرة لعمر الخيام .

وترجم الشاعر التركي الشاب رفعت احمد بك اربعين رباعياً فوفق كثيراً

وآخر من نقلها الى التركية الاديب التركى الفاضـل حسين رفعت بك وقد ترجم (١٥٨٠) رباعية فاجاد كل الاجادة فى النقـــل وحافظ على روعة الاصل الا انه استعان كثيراً بالالفاظ الفارسية وهو النقص الوحيد الذى يؤاخذ عليه . فمن ترجمته :

بر سحر وقتی ندا کلدی بزم میکده دن
دیدی : ای رند خرابات نه دور ورسك یاهو ؟
قالق که لبریز ایده لم (می) ایله پیمانه لری
او لمادن بوش قافامز خاك سیهله مملو

* * *

بوكيجه ساغر كلرنك ايله بن
دلى تنشيط ايده يم تابصباح
عقل ودينى بوشايوب اوج كره
ايده يم باده بى نزويج ونكاح

— ٤ —

الرباعيات فى اللغة العبرية

وأول من نقل الرباعيات من الفارسية الى العبرية نظماً المحامي سليم افندى اسحق وهو من اصدقائنا المطاعين على دقائق الشريعة الموسوية وتأريخها وفلسفتها وقد ضرب فى اللغات الافرنجية بسهم وافر، وهو عدا ذلك شاعر باللغة العبرية. فمن ترجمته.

תוך הגלגל המצחק
בבני עולם בגלגולו
יש איש אחד ויש שני
אשר טיב לו בעמלו
זה המבין סוד הגלגל
גם עגולו גם פעלו
וזה אשר אין יודע
בין ימינו לשמאלו

כופרים יאמרו העולם הוא דבר ישן
חדש יאמר איש מאמין ודרשן
ואחר כי תחת עפר אישן
מה לי אם הוא חדש ואם ישן נושן

יום מחר אחרית עוד לא אנכי בו
ויום אתמול טרם בואי כלא
ויום שאני בקרבו
תאמרו תלוי במזלא
אם כן איך נקי בריבו
יהיה אושם בעלילה
בלי דעתו ישא חובו
ויקנה שם אב העולה

١ — فى هذا الفلك الذى يسخر بني البشر عندما يدور يوجد واحد وثاني له ، يرى خيراً فى كل ما يعمله ذاك ، هو الذى يفهم سر الفلك واستدارته وصنعه وذاك الذى لايعرف مابين يمينه وشماله .

٢ — يقول الملاحدة ان العالم قديم ، ويقول المؤمنون المتفقهون انه حديث . اما انا — بعدما ارقد تحت الثرى — فمالى وله جديداً كان ام حديثاً .

٣ — ان الغد لست به بعد . ويوم امس قد مر قبل ان آتيه . وتقولون ان اليوم الذى انا فيه معلق بيد الاقدار . اذاً فلماذا يكون البرىء مجرماً من غير أن يقترف اثماً فيكون هو الضال المخطىء ؟

ثم اعقبه صديقنا الودود عزرا افندى حداد وهو أديب بالعربية وشاعر بالعبرية . وقد نقل ١٦٠ رباعية نظماً الى العبرية . فمن ترجمته :

בְּכׇל בֹּקֶר מִימֵי הֶבְלִי ,
אָשׁוּב לִבְלִי טְעֹם שֵׁכָר :
וּבְבוֹא עֶרֶב וְהֵן אֶצְלִי —
כּוֹסִי , אֶת שְׂפָתַי תְּעַבֵּר .

עֵת מֵחֹמֶר יְצַרְתָּנִי ,
— אֱלֹהַּ — יָדַעְתָּ עֲלוּמִי .
מִמְּךָ הָיָה כׇּל מַצְפּוּנִי — :
רוּחִי , בְּשָׂרִי , עַצְמִי .

אִם — כֵּן אֵפוֹא , לָמָּה בְּיוֹם
תְּקִימֵנִי לַדִּין , אֶרְשַׁע ?
לָמָּה בְּעֵת מִשְׁפָּט אָיוֹם ,
אֶמְצָא שׁוֹאָה בְּלִי יֵשַׁע ?

١ـــ ولكم حاولت صباح كل يوم من ايامي الفانيــة ان اتوب عن شرب الخمرة ، لكنني عند المساء كنت ارى الكاس بقربي ، تحرق شفتي بخمرها المعتقة .

٢ــ رباه ! انك يوم جبلتني من صلصال كنت عالماً بكل خفاياى ، ومنك منشأ كل ما آتيه الآن سراً . منك روحى ، منك لحمى، منك عظامي .

٣ــ فاذا كان الامر كذلك ، فلماذا اذاً اعتبر مجرماً يوم اقف امامك يوم الدين ؟ ولماذا تحيق بي المصائب عند محاكمتى الهائلة امام جلالتك الربانية ولا اجد حولى من يدافع عنى ؟



عصر الخيـــــام

نشأ عمر الخيـــام فى عهد الدولة السلجوقية الكبرى التى بسطت سلطانها على خراسان والرى والجبال والعراق والجزيرة وفارس والأهواز وهو يقابل العصر العباسى الرابع او القرنين الاخيرين من الدولة العباسية ، ويبدأ عصر الخيام بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ ه.
وقد أسس هذه الدولة ركن الدين ابو طالب طغرل بك ، ودامت حياتها ٩٣ سنة من سنة ٤٢٦ الى ٥٢٢ ه وانقرضت على يد شاهات خوارزم، وقد حكمها ثمانية سلاطين . هم : طغرل بك ، وألب أرسلان ، وملكشاه، ومحمود ، وبركياروق ، وملكشاه الثاني ، وابو شجاع محمد ، وابو الحارث سنجر . وقد عاش الخيام فى كنف هذه الدولة فقربه سلاطينها . منهم ألب أرسلان الذى أنعم عليه براتب سنوى يبلغ (١٢٠٠) مثقال من الذهب ، وملكشاه الذى عهد اليه امور الرصد فرتب له الخيام « الزيج الجلالى » وكان ينزله منزلة الندماء ويجلسه معه على سرير واحد .

الوضع السياسى

كانت الخلافة فى هذا العهد ضئيلة السلطان ، وكان نفوذ الخلفاء لا يتجاوز ابواب قصورهم ، ولم يكن لهم من الامر سوى ذكر اسمائهم على المنابر ، وكانوا كالآلة الصماء فى يد سلاطين آل بويه ، وفى عهد عمر الخيام تفرقت كلمة آل بويه فى بغداد وزالت هيبتهم من القلوب ، وفيه

استولى السلاجقة على بغداد ، وفيه ظهرت الطائفـــة الباطنية فارعبت القلوب وارتكبت من الكبائر والموبقات ما يستعصى على القلم تصويره ، وفى عهده هز التعصب الدينى اعصاب المسيحية فى اوربة فنظموا الحملات الهائلة التى أطلق عليها اسم الحملات الصليبية ، فعاثوا فى البلاد الاسلامية فساداً ، وسفكوا الدماء البريئة ، وخربوا المدن للاستيلاء على اورشليم «القدس». وفى عهده بسط السلاجقة سلطانهم على البلاد الاسلامية الا بعضها فكان فى الاندلس والمغرب الاقصى دولة الملثمين ، والقائم بأمرهم يوسف بن تاشفين (٤٨٠ — ٥٠٠ هـ) ثم من بعده على الى سنة ٥٣٧ هـ

وفى افريقية من آل زيرى تميم بن المعز بن باديس الى سنة ٥٠١ هـ ، ثم يحيى بن تميم الى سنة ٥٠٩ هـ ، ثم على بن يحيى الى سنة ٥١٥ هـ .

وفى مصر من الفاطميين المستعلى ابو القاسم احمد بن المستنصر معد الى سنة ٤٩٥هـ ، ثم الامر باحكام الله على المنصور بن المستعين الى سنة ٥٢٤هـ

وفى زبيد من الدولة النجاحية الامير بن نجاح الى سنة ٤٩٨هـ ، ثم فاتك بن جيش الى سنة ٥٠٣ ، ثم منصور بن فاتك الى سنة ٥١٧ هـ .

وفى صنعاء ومهرة ظهر الامير حاتم بن غانم الهمداني من سنة ٤٩٢هـ الى سنة ٥٠٢ هـ ، ثم عبد الله بن حاتم الى سنة ٥٠٤ هـ ، ثم معن بن حاتم الى سنة ٥١٠ هـ ، ثم هشام بن قبيط وحاتم بن حماص .

وما عدا ذلك من البلدان الاسلامية فى آسية كان محكوماً بدولة السلاجقة (١) .

---

(١) تاريخ الخضرى

ظهور الدولة السلجوقية

يبتدىء حكم آل بويه سنة ٣٣٤هـ وينتهي سنة ٤٤٧هـ، وهم من الديلم وقـد حكموا البلاد ولقبوا انفسهم بالسلاطين، وكانوا أصحاب نفوذ عظيم. اغتصبوا السلطان من الخلفاء العباسيين واستولوا على شؤون الدولة، وفى منتصف القرن الخامس الهجرى ضعف نفوذهم وتفرقت كلمتهم واضطرب امرهم فلم يكن فى وسعهم ان يحفظوا بغداد من الطوارىء وان يدفعوا عنها الملمات واتفق أن حدث يومئذ حادث كان سبباً فى زوال ملكهم وتمزيق شملهم، وذلك ان ابا الحارث أرسلان المعروف بالبساسيرى — وهو غلام تركي من مماليك بهاء الدولة — أراد أن يزيل الخلافة عن بنى العباس فكتب الى الخليفة المستنصر العلوى بمصر ليدخل فى طاعته ويخطب باسمه على منابر بغداد فعلم الخليفة القائم العباسى بذلك فكتب الى السلطان طغرل بك يستنجده (٢) ويستغيث به فهب طغرل بك وكتب الى الامصار أنه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوى صاحبها، وكاتب اصحابه بالدينور وقرميسين وحلوان وغيرها، وأمرهم باعداد الاقوات والعلوفات فعظم الارجاف ببغداد، ولما وصل طغرل بك الى حاوان وانتشر اصحابه فى طريق خراسان ارسل طغرل الى الخليفة يبالغ فى اظهار العبودية والطاعة ويعد الاتراك المقيمين فى بغداد بالاحسان والجميل، فاجتمعت كلمة الرؤساء والامراء على مكاتبة

---

(٢) الفخرى ٢١٥

طغرل بك : يبذلون له الطاعة والخطبة ، فأمر الخليفة الخطباء أن يخطبوا لطغرل بك بجوامع بغداد ، فخطب له فى يوم الجمعة ٢٢ المحرم ٤٤٧ ه ودخلها فى الخامس والعشرين منه ، وعندئذ قبض على آخر سلاطين بنى بويه وهو الملك الرحيم وبذلك انقضت دولتهم ووجدت بالعراق وما وراءه هذه الدولة الجديدة الفتية وهى دولة السلاجقة ، ومن أشهر سلاطين هذه الدولة ألب أرسلان ، وفى عهده أسس وزيره نظام الملك رفيق الخيام فى المدرسة وطالب العلم المدرسة النظامية ببغداد(١) فتم بناؤها سنة ٤٥٨ ، وملكشاه الذى اتسع ملكه اتساعاً عظيما فخطب له من حدود الصين الى آخر الشام ، ومن اقاصى بلاد الاسلام فى الشمال الى آخر بلاد اليمن ، وحملت اليه ملوك الروم الجزية . وقد عاش عمر الخيام محترم الجانب ، موفور الكرامة ، فى كنف هذين السلطانين ، وكان محبوباً لديهما ، وقد أنعم عليه الاول براتب سنوى ، وكان الثانى ينزله منزلة النديم .

الحروب الصليبية

ومن الحوادث العظيمة التى حدثت فى عهد عمر الخيام ، وأشرنا اليها فى الكلمة السابقة « الحروب الصليبية » تلك الحادثة التى كان لها الاثر العظيم فى الأقطار الاسلامية . وليس من قصدنا ان نتبسط فى شرحها

---

(١) اقرأ تفصيل البحث فى مهذب تأريخ مساجد بغداد للالوسى والاثرى

فى كتابنا هذا فانها حوادث عصور استمر امرها من سنة ٤٩٠ الى ٦٩٠ هـ وانما نريد ان نمر بها على سبيل الاستطراد لاجل ان نتبين الوضع السياسى فى عهد الخيام .

اشتبك نصارى الغرب مع المسلمين فى حروب دامية دامت قرنين اشترك فيها من الدول الاسلامية الدولة الفاطمية بمصر ودولة السلاجقة ودول الاتابكية التى تفرعت عن السلاجقة ودول الايوبية ودول المماليك البحرية بمصر ، وقد ذهب المؤرخون مذاهب شتى فى تعليل هذه الحملات واسبابها مما هو مذكور فى كتب التاريخ . وقد فتح الصليبيون بلدان المسلمين واستولوا على معظم المدن الواقعة فى الاناضول والشام واسسوا فيها امارات سميت بالامارات اللاتينية . منها امارة الرها بوادى الفرات سنة ٤٩٠ هـ ثم انطاكية سنة ٤٩١ هـ ، وقد ارتكب الصليبيون من الجرائم مالا ترتكبه الوحوش الضارية ولا سيما عند فتح بيت المقدس ، وقد ناضل المسلمون ودافعوا عن بلادهم دفاعاً مجيداً عدا الخلفاء الفاطميين الذين قصروا عن اداء هذا الواجب لاسباب ذكرها الكتبة والمؤرخون .

هذه الحوادث هى اهم الحوادث السياسية التى حدثت فى حياة عمر الخيام ، وهى تتلخص فى اربعة وقائع (١) سقوط الدولة البويهية (٢) قيام الدولة السلجوقية مقامها (٣) الحروب الصليبية (٤) ظهور الباطنية اعني الحشاشين . وقد اوجزنا فى بيان الثلاثة الاولى ، وبقى علينا ان نذكر شيئاً عن الباطنية الحشاشين .

* * *

من أفظع الحوادث التي وقعت في عهد عمر الخيام حادث الطائفة الباطنية التي سميت بالحشاشين . واضعها زميل الخيام وشريكه في طلب العلم « الحسن بن الصباح » ولم يكن الحسن هو المؤسس الاول لهذه الطائفة الجهنمية وانما بعثها من مرقدها وجدد دعوتها وأشعل نارها بعد ان خمدت مدة قرنين ، وكانت في بادئ امرها تسمى الاسماعيلية ثم سميت بالقرامطة ، واخذت طوراً مهماً في عهد حسن المذكور ، واليك تفصيل ذلك .

لما مات الامام جعفر بن محمد الصادق ادعى فريق من المسلمين بان الامام بعده اسماعيل نصاً عليه باتفاق من اولاده الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة ابيه ، فنهم من يقال انه لم يمت الا انه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس ، ومنهم من قال الموت صحيح والنص لايرجع القهقرى ، والفائدة بالنص بقاء الامامة في اولاد المنصوص عليه دون غيره . فالامام بعده اسماعيل محمد بن اسماعيل ، هؤلاء يقال لهم المباركية ، ثم منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعته بعد غيبته ، ومنهم من ساق الامامة في المستورين منهم ، ثم في الظاهرين القائمين من بعدهم ، وهم الباطنية (١)

القداح وقرمط

وكان لجعفر بن محمد الصادق مولى يقال له ميمون بن ديصان

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (ص ١٢٧ــ١٢٨)

المعروف بالقداح وقد ذكر صاحب الفرق بين الفرق(١) انه هو المؤسس الاول للدعوة الباطنية مع جماعة منهم محمد بن الحسين الملقب بذيذان وذلك فى سجن والى العراق ، غير ان ابن النديم يذكر فى فهرسته (٢) ان الداعية الاول هو عبد الله بن ميمون المذكور وهو من اهل قورح العباس بقرب مدينة الاهواز. والصحيح هو ماذكره ابن النديم فميمون لم يؤسس الباطنية وانما اسس الفرقة التى عرفت باسمه وهى « الميمونية » التى اظهرت اتباع ابي الخطاب محمد بن ابى زينب الذى دعا الى الوهية على ابن ابي طالب ، وكان ميمون وابنه عبدالله ديصانيين (٣) وكان عبدالله ذكى الفؤاد عالى الهمة ملحداً يطمح الى الرياسة والامرة على الناس ، فبث الدعاة فى انحاء البلاد سراً ولا سيما فى الكوفة ، فأجابه فى هذا الموضع رجل يعرف بحمدان بن اشعث ، ويلقب بقرمط لقصر كان فى متنه وساقه او لقرمطة فى خطه او خطوه ، وكان هذا أكاراً من أكرة سواد الكوفة فى قرية يقال لها « قس بهرام » ، واقام قرمط بكلواذى ، ونصب له عبدالله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك فى سنة ٢٦١ هـ ، ثم ظهر بعده فى الدعوة الى الباطنية ابو سعيد الجنابي وكان من مستجيبة حمدان وتغلب على ناحية البحرين ، ثم قام بالدعوة بعد ذلك سعيد بن الحسين بن احمد بن عبدالله بن ميمون بن ديصان القداح فغير

(١) ص ٢٦٦
(٢) ص ٢٦٧ خط
(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٤

اسم نفسه ونسبه وقال لاتباعه «انا عبيد الله بن الحسن بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق» ثم ظهرت فتنة بالمغرب، وظهر منهم المعروف بابن كرويه بن مهرويه الدنداني، وكان من تلامذة حمدان قرمط، ثم ظهر منهم مأمون اخو حمدان قرمط فى فارس، ودخل رجل منهم أرض الديلم يعرف بابى حاتم فاستجاب له جماعة من اهلها.

وذكر العلامة عبد القاهر البغدادى فى الفرق بين الفرق (ص ٢٦٨) أن الدعوة الباطنية انتشرت اولا فى زمان المأمون والمعتصم، وان الافشين قائد جيوش المعتصم دخل فى دعوتهم، وان بابك الخرمى كان من مقتفى هذا المذهب.

وقد ارتكب القرامطة الآثام وسفكوا الدماء وهتكوا الحرمات وفعلوا اموراً تقشعر منها الابدان، وبقوا يعيشون فى الارض فساداً الى سنة ٣١٢ ﻫ فقد ظهر فى ذلك الحين رجل منهم يقال سليمان بن الحسن فهجم على البصرة واغتصبها ثم قطع طريق الحجاج وسبى الحرم والذرارى وفى سنة ٣١٧ ﻫ دخل مكة وقتل من وجده فى الطواف، وقيل انه قتل بها ٣٠٠٠ نسمة، واخرج منها ٧٠٠ بكر، اقتلع الحجر الاسود وحمله الى البحرين، وفى سنة ٣١٨ ﻫ قصد بغداد ولما ورد هيت رمته امرأة من سطحها بلبنة فقتلته، وبقتله انقطعت شوكتهم وذهب ريحهم الى ان ظهر منهم الحسن الصباح الذى تعلم مع عمر الخيام ونظام الملك فى نيسابور، فكان المؤسس الثانى لهذه الطائفة التى جعلها فيما بعد دولة توارث السلطان عليها اولاده فى قلعة «الموت».

عقائدهم

اتفق أكثر الباحثين على أن عقائد الطائفة الباطنية مقتبسة من المجوسية والمانوية والمزدكية والدهرية ، ويؤيد ذلك أنهم أباحوا لاتباعهم نكاح البنات والاخوات ، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات . ظهر منهم رجل يعرف بابن أبي زكريا الطامي سنة ٣١٩هـ فأوجب قتل الغلام الذى يمتنع على من يريد الفجور به ، وأمر بقطع من أطفأ ناراً بيده وبقطع لسان من اطفأها بنفخة ، فنكاح البنات والاخوات والتمتع بجميع اللذات واحترام النار من العقائد الزردشتية والمانوية والمزدكية . اما كونهم من الدهرية فلانهم يرفضون المعجزات ، وينكرون الوحى ، ويزعمون ان الانبياء قوم أحبوا الزعامة فساسوا العامة بالنواميس والحيل طلباً للزعامة بدعوى النبوة ، ويرون بطلان الشرائع بما تتضمنه من الاعتقاد بالحشر والمعاد وغير ذلك ، ومما يؤكد قولنا ما جاء فى الرسالة التى بعثها عبيدالله ابن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي فقد اوصاه فيها وصية قال فيها :—

« أدع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه . وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم ، فمن أنست منه رشداً فاكشف له الغطاء ، واذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا ، وانا واياهم مجمعون على ان نواميس الانبياء ... وعلى القول بقدم العالم لو لاما يخالفنا فيه بعضهم من ان للعالم مدبراً لا يعرفه ، وذكر فى الكتاب ابطال القول فى المعاد والعقاب . وذكر فيها ان الجنة نعيم الدنيا ، وان العذاب انما هو اشتغال

أصحاب الشرائع بالصلاة والصيام والحج والجهاد »

وقال فيها أيضاً : « ان أهل الشرائع يعبدون الهاً لا يعرفونه ولا يحصلون منه الا على اسم بلا جسم ، وأكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم !! »

وقال فيها ايضاً : « انى أوصيك بتشكيك الناس فى القرآن والتوراة والزبور والانجيل ، وبدعوتهم الى ابطال الشرائع ، وابطال المعاد والنشور من القبور ، وابطال الملائكة فى السماء ، وابطال الجن فى الارض ، وأوصيك بان تدعوهم الى القول بأنه قد كان قبل آدم بشر كثير فان ذلك عون لك على القول بقدم العالم . وينبغى ان تحيط علماً بمخاريق الانبياء ومناقضاتهم . !! »

وقال فى آخر رسالته : وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت او بنت حسناء وليست له زوجة فى حسنها فيحرمها على نفسه وينكحها من اجنبي !! ولو علم الجاهل لعلم انه أحق باخته وبنته من الاجنبي !! ما وجه ذلك الا ان صاحبهم حرم عليهم الطيبات ، وخوفهم بغائب لا يعقل وهو الاله الذى يزعمونه وأخبرهم بكون ما لا يرونه ابداً من البعث من القبور والحساب والجنة والنار !! حتى استعبدهم بذلك عاجلا وجعلهم له فى حياته ولذريته بعد وفاته خولا واستباح بذلك اموالهم بقوله : « قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة فى القربى » فكان أمره معهم نقداً وأمرهم معه نسيئة ، وقد استعجل منهم بذل أرواحهم وأموالهم على انتظار موعود لا يكون ، وهل

الجنة الا هذه الدنيا ونعيمها ، وهل النار أوعذابها الا ما فيه أصحاب الشرائع من التعبد والنصب فى الصلاة والصيام والجهاد والحج !! »

ثم قال مخاطباً سليمان بن الحسن المذكور : « وانت واخوانك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس ، و فى هذه الدنيا ورثتم نعيمها ولذاتها المحرمة على الجاهلين المتمسكين بشرائع اصحاب النواميس فهنيئاً لكم مانلتم من الراحة من امرهم » .

و بعد فهذه الرسالة وحدها كافية للتدليل على ان اصحاب هذه الطائفة اباحية دهرية ملحدة ، هــــدامة لارقى النواميس الاجتماعية التي نشرها الانبياء المصلحون .

مراتب الدعوة ومؤلفات الباطنية

وكان دعاة الباطنية ماهرين نشيطين فى الدعاية ، لهم اساليب خاصة بهم فى أمر الدعوة فكانوا لايفاجئون الذين يدعونهم الى نحلتهم بأسرارهم وانما يتدرجون معهم فيكلمون العامى بطريقة تختلف عن الطريقة التى يكلمون بها العالم جرياً على قاعدة « كلم الناس على قدر عقولهم » فأحدثوا مراتب للدعاية ، وهى التفرس ، والتأنيس ، والتشكيك ، والتعليق ، والربط ، والتدليس ، والتأسيس ، والمواثيق بالايمان والعهود ، والخلع والسلخ . فيشرع الداعية فى تنفيذ الدرجة الاولى حتى يصل الى مرتبة الخلع والسلخ وهى الدرجة الاخيرة التى يصبح بها الباطنى ملحداً بحتاً ، وبها هدم الاعتقاد والاديان المنزلة ، وهناك صفات يجب ان يتصف بهـــا

الداعية لبث الدعوة (١).

وقد كتب دعاتهم كتباً كثيرة ونشروها بين الناس لتنفيذ أغراضهم و بث مبادئهم ، ومنها مالايجوز الاطلاع عليه الا بعد ان تمر على الباطنى مدة لاتقل عن أربع سنين . فمن كتبهم كتـــاب الوحى والدولاب ، وكتاب الحدود والاسناد ، وكتاب اللامع ، وكتاب الزاهر ، وكتاب الميدان ، وكتاب النيران ، وكتاب الملاحم ، وكتاب المقصـــد ، ولهم البلاغات السبعة ، وهى : كتاب البلاغ الاول للعامة ، وكتاب البلاغ الثانى لمن هم فوق هؤلاء قليلا ، وكتاب البلاغ الثالث لمن دخل فى المذهب سنة ، وكتاب البلاغ الرابع لمن دخل فى المذهب سنتين ، وكتاب البلاغ الخامس لمن دخل فى المذهب ثلاث سنين ، وكتاب البلاغ السادس لمن دخل فى المذهب اربع سنين ، وكتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الاكبر وفيه أمر عظيم من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع واصحابها (٢) وهناك رسائل وتعليمات كثيرة كرسالة القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابى وغيرها ، وقد فتشت طويلا وبذلت الجهد الكثير للحصول على هذه الكتب فلم أظفر بتأليف او رسالة مما كتبوه و يظهر أن كتبهم ابيدت واحرقت بعد زوال امرهم .

هذا مجمل مافصله القوم عن ظهورهم وحركتهم وتعاليمهم ، وذلك قبل ظهور الداهية الاكبر الحسن الصباح .

---

(١) الفرق بين الفرق ص ٢٨٤

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٢٧١ خط

دار الحكمة

فى منتصف القرن الرابع الهجرى زحف القائد الكبير جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى بجيوشه الى مصر وانتزعها من الاخشيديين واسس فيها القاهرة ، و بعد بضع سنين دخلها المعز واعلن نفسه خليفة المسلمين فيها واسس فيها الدولة الفاطمية ، وكان النظام الادارى فيها غريباً فى بابه اذ كانت المهمة الاولى المعنى بها هى بث الدعاية للدولة المذكورة لذلك احدثوا وظيفة « داعى الدعاة » وكان عليها رجل كبير يعرف بهذا اللقب ودرجته تلى درجة قاضى القضاة ، وكان الدعاة يتلقون المبادئ من مصر ثم يتركونها الى الاقطار الاسلامية متبعين منهاجاً مسنوناً ، وفى زمن الحاكم بامر الله الذى تولى الحكم بعد ابيه المعز سنة ٣٨٦ ﻫ نشطت الدعاية واتسعت فى البلدان اتساعا عظيما . وكان الحاكم مضطرب الرأى عصبى المزاج ، شاذاً فى اطواره واخلاقه ، سفاكا للدماء قتل عدداً كبيراً من اماثل اهل دولته ، وكانت سيرته تدل على جنة ومس فيه ، فكان تارة يأمر بسب الصحابة ، وطوراً يأمر بضرب من يرتكب هذا المنكر ، وأمر مرة بقتل الكلاب ، ونهى عن بيع الفقاع والملوخيا والسمك الذى لا قشر له والعنب ، وقد لاقى النصارى واليهود منه الوان العذاب خلال حكمه . وقد وصفه ابن خلدون فى تاريخه (ج ٤ ص ٦٠) « بأنه كان مضطرباً فى الجور والعدل والاخافة والأمن والنسك والبدعة » غيرأن

الذى يهمنا من سيرة الحاكم بامر الله مواظبته على بث الدعوة السرية الباطنية باعداد الوسائل، تنظيم المناهج بتأسيس (دار الحكمة) فى مصر.

تعاليم دار الحكمة

وكانت تعاليم دار الحكمة هي الاسس والاوضاع التى وضعها عبدالله ابن ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ، وتتضمن التعاليم التى بثها الدعاة فى عهدالباطنية الاولى والتى ذكرت فى رسالة القيرواني الى سليمان ابن الحسن ، وغايتها نزع العقيدة الدينية من الصدور و تمكين فكرة الالحاد فى قلوب الناس . وكانت درجات الدعاية فى دار الحكمة تسعاً وذلك بزيادة درجتين على تعاليم ابن القداح التى كانت سبعاً فقط ، ولكن الغاية كانت واحدة وهى هدم الدين الاسلامي ليس غير .

المؤسس الثانى

هو الحسن بن الصباح الذى ولد حوالى سنة ٤٣٠ ه وكان قد تلقى علومه على الامام موفق النيسابورى مع عمر الخيام ونظـــام الملك الوزير فى نيسابور ، وكان يدعى انه ينتمى الى « يوسف الحميرى » احد امراء اليمن ، وكان يقول ان والده جاء من الكوفة الى قم ومنها الى الرى الا ان اهالى طوس لم يصدقوه وكانوا يدعون ان والده - واسمه « على » - هو من احدى قرى خراسان ، ولعل الصباح جده او لقب ابيه .

وقصد الحسن بن الصباح الوزير نظام الملك وذكره بالعهد الذى تعاهدوا على انفاذه يوم كان هو وعمر الخيام ونظام الملك يتعلمون

فى نيسابور ،فرحب به نظام الملك وقدمه الى السلطان ملكشاه وعينه كبير الحجاب الاان الحسن العالى الهمة الكبير النفس الطموح لم يرض بهذا المنصب فقد سولت له نفسه الجشعة الايقاع بمن أنعم عليه وأكرمه فاخذ يتحين الفرص للفتك بالوزير للحصول على منصبه الخطير ، واتفق ان ملكشاه طلب يوماً الى نظام الملك أن يقدم له الموازنة فاستعذره نظام الملك وطلب اليه ان يمهله سنة واحدة فلما بلغ ذلك حسن الصباح قابل الملك ووعده بانه سوف يقدم له الموازنة بعد اربعين يوماً وقد فعل ذلك وقام بما وعد به خلال الاجل المضروب ، فأحس نظام الملك بالدسائس التى يدبرها الحسن فعمد الى الحيلة للتخلص منه فأخفى اوراقاً سرية تعود الى الدولة . ولما اطلع السلطان على الاوراق وجد فيها نقصاً فوبخ حسناً ووجد عليه ، فاضطر حسن أن يترك البلاط وذهب الى اصفهان واختفى عند رجل يسمى (ابا الفضل) وفى مدة بقائه عنده كانت تظهر عليه حالات عصبية وانفعالات نفسية وقد قال ذات يوم لابي الفضل « لو كان لى صديقان صادقان لقضيت على حكومة هذا التركي وهذا القروي » يريد بالاول الملك وبالثاني . وزيره نظام الملك ،فأيقن ابو الفضل بوجود اضطراب عقلي فيه فكان يعطيه المخدرات الروحية والمشروبات المسكنة وقد مر على هذا الحديث عشرون عاماً توفى خلالها ملكشاه ومات نظام الملك بطعنة باطني، واشتهر امر حسن وكانت له الرياسة ،فقال لصديقه ابي الفضل فى قلعة « الموت » : من كان منا مجنوناً يااباالفضل ؟ أأنت ام انا ؟ من الذى كان قميناً بان يأخذ المشروبات والمخدرات التي كنت

تتفضل علي بها في اصفهان ؟ أرايت كيف نفذت كلمتي عند ماوجدت صديقين صادقين (١)

ثم هجر الحسن اصفهان وشد الرحال الى مصر فلاقى حفاوة من الخليفة المستنصر، ثم انخرط في سلك المحفل السري وتعلم المبادئ الاسماعيلية، و بعد ان تشربت روحه بهذه الافكار قفل راجعاً الى فارس واخذ يبث الدعوة في نواحي خراسان فاتبعه الرعاع فقادهم فاستولى اولا على قلعة في نواحي الديلم يقال لها « الروذبار » وكانت هذه القلعة لقماح صاحب ملكشاه فاخذ من الباطنية الفاً ومئتي دينار وسلم القلعة في سنة ٤٨٣ هـ وذلك في ايام ملكشاه ثم استولى الحسن على قلعة « الموت » وتحصن بها هو واتباعه، واسس بها الدولة الاسماعيلية وقد دامت زهاء ١١٨ سنة وحكمها (ثمانية) اشخاص من اولاده واحفاده .

* * *

تعاليم ابن الصباح

تتلخص تعاليم ابن الصباح فيما يلي :

(أ)ــ الدعوة الى تعيين امام صادق قائم في كل زمان وتمييز الفرقة الناجية من سائر الفرق بان لها اماماً وليس لغيرهم امام

(ب) ــ ضرورة استعمال العقل في معرفة الله والنظر الى جانب تعاليم المعلم الصادق .

(ج) ــ والناس فرقتان من جهة تعاليم المعلم الصادق فالاولى ترى

(١) تاريخ الاسلام لدوزى (ج ص ٣٩١)

الاستعانة فى معرفة الله بالمعلم الصادق ووجوب تعيينه وتشخيصه ثم التعلم منه ،وقالت الثانيه بالأخذ فى كل علم من معلم وغير معلم. فالحق مع الفرقة الاولى فرأسهم يجب ان يكون رأس المحققين.

(د) — بالاحتياج عرفنا الامام وبالامام عرفنا مقادير الاحتياج كما بالجواز عرفنا الوجود أى واجب الوجود وبه عرفنا مقادير الجواز فى الجائز.

(ه) — ان فى العالم حقاً وباطلا وان علامة الحق هى الوحـــدة وعلامة الباطل هى الكثرة، وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأى والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الامام والرأى مع الفرقة المختلفة وهذه مع رؤسائها.

(و) — التوحيد هو التوحيد والنبوة معاً حتى يكون توحيداً، والنبوة هى النبوة والامامة معاً حتى تكون نبوة.

وقد منع الحسن العامة عن الخوض فى المعلوم وكذلك الخاصة عن مطالعة الكتب المتقدمة الا من عرف كيفية الحال (١)

مراتب الجمعية

وقد جعل الحسن بن الصباح مراتب جمعية الجهنمية سبعاً بدلا من تسع وهى لا تختلف فى الجوهر عن مراتب محفل « دار الحكمة »

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى (ص ١٤٧ — ١٥٢) وقد ذكر المؤلف ان هذه الفصول كانت اعجمية فترجمها .

ـــالرئيســ

ويسمى السيد أو شيخ الجبل، وهو كبير الطائفة الاعلى وبيده الحل والعقد وله الامر والنهى .

ـــ الدعاةـــ

وهم الكبار المقدمون ومقامهم فى ثلاث ولايات توجد فيها امنع قلاع الطائفة وهى بلاد الجبل وقهستان والشام ، وهؤلاء يتلقون اوامرهم من الرئيس وينفذون اوامره السامية .

ـــالرسلـــ

وهم الرسل الدينيون ووظيفتهم بث الدعاية والتغلغل بين الجماهير وحضهم على اقتفاء مبادىء الطائفة .

ـــالرفاق ـــ

وهم الذين يكونون حاشية الدعاة ويتلقون التعاليم والمبادىء السرية .

ـــ الفدائيون ـــ

ووظيفتهم اغتيال الذين يناصبون الطائفة العداء .

ـــالمبتدئون ـــ

وهؤلاء جند الطائفة ويتلقون التعاليم الاولية .

ـــالعـــامة ـــ

وهم الرعاع وليس لهم من العلم بالطائفة غير الانتساب اليها ، وعلى العامة فى فتح القلاع ومهاجمة البلدان (١)

---

(١) دوزى ص ٣٩٧ ترجمة الدكتور عبد الله جودت .

علمنا مما تقدم ان الدرجة العليا هى درجة الرئيس او السيد أو شيخ الجبل، والدرجة الدنيا هى درجة العامة ومنهـــا يترقى الى درجة التلميذ ومنها الى درجة الفدائية ، وفى هذه الدرجة يكون الباطني عضواً حميماً يعتمد عليه فى ادارة شئون الطائفة ولا يرقى احدا هذه الدرجة الا اذا كان شديد البأس كثير الطاعة فاذا أنس الرئيس من احدهم استعداداً اولم وليمة فاخرة له وناوله اثناء الطعام نباتاً مسكراً من نوع «الحشيشـــة» حتى اذا فعلت الحشيشـــة فعلها امر بنقله الى جنة غناء قد غرست على حافات جداولها اطيب الفواكه وأنضر الزهر والورد، ونصبت فى احواضها الفوارات، واقيمت فيها الرواشن والغرف الصينية، وفرشت بافخر الديباج واثثت بالرياش النفيسة، وهناك فى تلك الردهات البديعة المظللة بعرائش الكرم تطوف عليه الحســـان باكواب الخمر وأباريقها ، ويضربن على رأسه بالالات الموسيقية ذات النغمات الشجية ، ثم ينقـــل فوراً الى المكان الذى فيه الرئيس وعند صحوه يخبره الرئيس بانه لم يبرح مكانه وانه امر روحه ان تطوف بالفردوس فيندهش الفتى مما رآه، وعند ذلك يجعل نفسه طوع ارادة الشيخ طمعاً بالجنة ويكون بعده آلة صماء يديرها كيفما يشاء، ولكى تعرف مبلغ اطاعة الفدائي للرئيس انقل لك القصـــة الاتية (١) : ارسل ملكشاه السلجوقى يوماً رسولا الى الحسن بن الصباح يدعوه الى الطاعة ويتهدده ان خالفه ويأمره بالكف عن بث أصحـابه لقتل العلماء والامراء ،فقال الحسن لجماعة وقفوا بين يديه — والرسول

(١) نقد العلم والعلماء لابن الجوزى ص ١١٧

يشهد ذلك — اريد ان انفذكم الى مولاكم فى حاجة فمن ينهض لها ؟ فاشرأب كل منهم لذلك، فاومأ الى شاب منهم وقال له: اقتل نفسك! فجذب سكينة وضرب بها غلصمته فخر ميتاً وقال لآخر: ارم بنفسك من القلعة! فالقى نفسه فتمزق! ثم التفت الى رسول السلطان ملكشاه فقال له: اخبره ان عندى من هؤلاء عشرين الفاً هذا حد طاعتهم لى وهذا هو الجواب!!

—النتيجة—

ولبث الحسن فى قلعة (ألموت) حتى توفى فيها سنة ٥٢٠ او ٥١٨هـ على رواية دوزى بعد ان حكمها (٣٥) سنة وقد اتفق الباحثون على انه كان على جانب عظيم من الذكاء ومضاء العزيمة، عالماً فى الفلك والهندسة، متضلعاً من الاراء والمذاهب الفلسفية، شديد البأس، قاسى القلب دساساً فتاكاً. وقد توارث الحكم على الموت ابناؤه الى سنة ٦٥٠ حيث قضى على الطائفة المذكورة هلاكو التاتارى وبها انطوت اشنع صفحة فى التأريخ الاسلامي.

* * *

وبعد فاننا لم نذكر هذه الابحاث بالاسهاب الا لاننا نبغى ان نبرهن بان عمر الخيام كان يمثل آراء الباطنية فى عصره وان له اتصالا قويا بهم ونكاد نجزم بانه كان داعية من دعاتهم وسنوفى هذا المطلب حقه فى بحثنا عن آرائه ومعتقداته

عصره العلمي

علمنا مما تقدم بأن العصر الذى عاش فيه الخيام كان عصراً يجيش بالاحن والفتن والحروب الدموية ، فكان الصليبيون يهاجمون الشرق ويهددون الكيان الاسلامى من جهة ، والباطنيون من جهة اخرى يدبرون المكايد والدسائس لهدم الاسلام و يبثون الدعاة لنشر الالحاد بين طبقات المؤمنين ، وان الكلمة العليا فيه كانت للسيف ...

والان نريد ان نعلم مكانة العلم ومنزلة القلم فى ذلك العصر . والذى يبحث ليسبر غور العصر الذى كان فيه الخيام يتبين ان أهم مميزات هذا العصر عما سبقه هو تأسيس المدارس فى العالم الاسلامى ، فقد مرت اربعة قرون على المسلمين لم يكن لديهم فيها مدارس منظمة ذات مناهج مقررة وانظمة متنوعة اذ كانت العناية متجهة فى هذه القرون الاربعة الى انشاء المكاتب ...

المدارس

أما فى عصر الخيام فقد كثرت المدارس وأشهرها مدرسة ابن فورك المتوفى سنة ٤٠٦ هـ(١) ، والمدرسة البيهقية للبيهقى المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، والسعيدية التى بناها نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود الغزنوى ، ومدرسة أخرى بناها اسماعيل الاسترابادى الصوفى الواعظ ، وأخرى بنيت للاستاذ أبى اسحاق (٢) غير أنه لم يكن لهذه المدارس ما للمدارس

---

(١) ابن خلكان (ج ١ ص ٤٨٢)

(٢) السيوطى (ج ٢ ص ١٨٥)

النظامية التي أسسها نظام الملك الوزير من الانظمة والمناهج

المدارس النظامية

هي المدارس العظيمة التي أسسها نظام الملك في بغداد ونيسابور وأصفهان وطوس وغيرها من المدن . وأشهرها المدرسة النظامية في بغداد ، وقد أنشأها سنة ٤٥٧هـ وفتحها سنة ٤٥٩هـ ، وعين لها مدرسين من أجلة العلماء في عصره مثل أبي اسحاق الشيرازي ، والامام أبي نصر الصباغ صاحب الشامل ، والامام الغزالي ، وأبي القاسم الدبوسي ، والشاشي ، والكياهراسي ، والسهروردي ، وكمال الدين الانباري ، ورتب لطلبة العلم فيها الجرايات حتى بلغ ما ينفق عليهم ٦٠٠,٠٠٠ دينار في السنة ، وقيل ان هذا الانفاق كان سبباً لقتله ، ولكن دوزي يرى انه قتل بطعنة باطني . وقد وشي به بعضهم الى السلطان ملكشاه اذ قالوا له : ان الاموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك يقيم جيشاً يركز رايته في سور القسطنطينية ، فعاتبه ملكشاه في ذلك فأجابه : يا بني أنا شيخ أعجمي لو نودي عليّ في «من يزيد؟» لم أحفظ خمسة دنانير ، وأنت غلام تركي لو نودي عليك عساك تحفظ ثلاثين ديناراً ، وأنت مشتغل بلذاتك ، منهمك في شهواتك ، واكثر ما يصعد الى الله معاصيك دون طاعتك ، وجيوشك الذين تعدهم للنوائب ، اذا احتشدوا كافحوا عنك بسيف طوله ذراعان ، وقوس لا ينتهي مدى مرماها الى ثلثمائة ذراع ، وهم مع ذلك مستغرقون في المعاصي والخمور والملاهي والمزمار والطنبور ، وأنا أقمت لك جيشاً يسمى جيش الليل اذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامهم صفوفاً بين

يدى ربهم فأرسلوا دموعهم، واطلقوا ألسنتهم، ومدوا الى الله أكفهم بالدعاء لك ولجيوشك، فأنت وجيوشك فى خفارتهم تعيشون، و بدعائهم تبيتون، و ببركاتهم تمطرون وترزقون؛ ،،

مقاومة علماء الاسلام للباطنية

و من مميزات هذا العصر نهضة العلمـــاء والمفكرين لمناوأة الباطنية وطعن تعاليمها واظهار سخف مبادئها وتحذير الناس من سمومها، والباطنية لم تنشر تعاليمها بقوة السيف فقـــط وانما توسلت بالدعاية والاقناع والحجاج أيضاً، فألفت الكتب الكثيرة المتضمنة براهينهم وولائهم، لذلك كان لزاماً أن يهب علماء ذلك العصر لمحاربة تلك المبادئ بأقلامهم؛ فكان القاضى أبو بكر الباقلاني أول من أشهر عليهم الحرب فألف كتاباً سماه (كشف الاسرار الباطنية) أظهر فيه عوراتهم وحمقهم، ثم تلاه أبو الفتح محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبى بكر احمد الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فجادلهم مبيناً بطلان مذهبهم، ثم أعقبه ابن حزم الظاهرى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ، ولم يقصر فى رد كيدهم الى نحورهم، ثم جاء بعد هؤلاء حجة الاسلام أبو حامد الغزالى وكتب رسالة فى (فضائح الباطنية) تشتمل على تعاليم القرامطة والاسماعيليه وغيرهم من الطوائف الباطنية والبدع فى الاسلام، والرسالة محفوظة فى المتحف البريطاني الآن، وقد أطلق الرازى فخر الدين لسانه الذرب طاعناً بهم من فوق المنابر، وقد هددوه بالقتل فتركهم وشأنهم خوفاً على حياته(١).

---

(١) ، روزى (ص ٣٩٩)

وفى الحقيقة ان أقلام هؤلاء الفطاحل قد أعانت السيف فى القضاء عليهم .

الخلاصة

تبين مما اجملناه أنه – بالرغم عن الفتن و الحروب الكثيرة التي حدثت فى عصر – الخيام كان لدولة العلم رايات مرفوعة ، وللعلماء مكانة عالية فى القلوب ، وكان تهافت الناس على المدارس عظيما ، ويكفى أن نذكر للتدليل على ازدهار العلم فى العصر الخيامي أنه قد نشأ فى ذلك العصر ماينيف على ثمانين ومئة فحل بين شاعر ، ومنشئ، ولغوى ، ومؤرخ ومترجم للجماعات ، وجغرافى ، ومؤلف فى السير والسياسة والادارة والطب وغير ذلك من العلوم .

قدمنا أن عمر الخيام نشأ وعاش في عهد الدولة السلجوقية الكبرى، وأنه حدثت في عصره اربع وقائع كبيرة، وهي: سقوط الدولة البويهية، وقيام الدولة السلجوقية، ونشوب الحروب الصليبية، وتجديد الدعوة للباطنية وظهورها بشكل أوسع نطاقاً وأرهب شأناً.

هذا من الناحية السياسية، وأما الناحية العلمية فان عصره قد امتاز بتأسيس المدارس وتنظيمها كما ألمعنا الى ذلك في بحثنا عن المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك الوزير الشهير.

بقي علينا أن نعرف الروح السائد في ذلك العصر لان في اطلاعنا على ذلك نستطيع أن نفهم الميول والاتجاهات ونوع التفكير في ذلك العصر. وفي الحق اننا نحاول ونجهد أن نعلم من وراء ذلك ما اذا كان الخيام يمثل عصره أو لا، وهل في الامكان اعتباره نموذجاً من التفكير السائد يومئذ، أو هل كان لعصر الخيام من التهيؤ الكافي ليوجد شخصاً مثله أو، لا حتى لكأن خياماً شاذ في عصره لا معرفة له به ولا قرابة بينهما في الروح والعلم والتفكير كأن يد الاقدار قذفته خطأ في هذا العصر!!

لاشك ان من الصعب جداً معرفة الروح السائد والوقوف على اسلوب التفكير على اختلاف ضروبه، والاطلاع على الميول والرغائب والاخلاق والانفعالات النفسية، وبالجملة معرفة الصبغة التي اصطبغ بها ذلك العصر، لان ذلك — فضلا عن افتقاره الى درس طويل،

وبحث عميق — تحول دون بلوغه فقدان الوسائل والوسائط ، وقـــد لا تظهر من هذا الدرس الذى يقتضى وقتاً طويلا وجهوداً عظيمة نتيجة حسنة وحقيقة ملموسة ، وقـــد لا يهتدى الباحث فى بحثه وتدقيقه فى صفحات هـذا العصر الى شئ من الحوادث والوقائع التى يصح ان تـكون مقياساً لمعرفة روح العصر .

وغاية الباحث فى هذه الحالة ان يفتش فى بطون المؤلفات عـن الشواهد والامثال ليستخلص منها ما يمـكن ان يعول عليه فى اظهار الصورة الحقيقية للعصر الذى يدرسه ويبحث فى الـكيفية التى اوجدته ، والظروف التى احاطت به !

ومع ذلك فلست واثقاً بأن ايراد الامثال والشواهد تـكفى لتعريف الصبغة الغالبة فى ذلك العصر اذ قد تـكون هذه الشواهد وهذه الامثال من قبيل الاراء المنحولة التى تنتقل من حيز الى آخر بالدعايات لنيل مأرب وقضاء مطلب ، أو من قبيل الحـكايات والقصص المنحولة التى تتداولها الافواه اما للاشـادة بفضيلة شخص ، واما للحط من كرامته وشرفه ، وهى عوائد متعارفة فى كل زمان وكل مكان .

ومن الواضح أن الخرافات والاساطير تـكاثر وتعيش طويلا فى المدن التى فيها مزارات ومشاهد دينية تؤمها الناس فى اوقات معلومة وقد تنتشر هذه الخرافات وقد تشيع هذه الاساطير غير ان حياتها قصيرة وظروفها ضعيفة فهى لذلك لا تـكون عقيـدة لدى الامم لانها مشيدة على أساس التخيل والوهم ، فلا يجوز للباحث والمؤرخ ان يعتدبها

أو بجعلها مقياساً يقيس به عقلية الجمهور، ويجب ان لا يبرح عن بالنا ان قابلية التخيل فى الانسان شديدة وان الانسان ميال بطبعه الى المبالغـــة فان حديثاً يتداولونه عند طلوع الشمس تجده قد تغير وصار كأنه غيره عند غروبها .

* * *

جئت بهذه الكلمة تبرئة لاستغرابي جرأة الاديب المصرى السيد زكى مبارك اذ أصدر حكمه على العصر الذى ابحث فيه الآن بأنه عصر تغلب عليه صبغة السذاجة (١) وقد استدل على هذه السذاجة التى يتخيلها بالقصة التى ذكرها المؤرخ خواندمير مؤلف كتاب روضة الصفا، وهى من وصايا الوزير نظام الملك، وتتلخص فى « أن والده كان قد أرسله مع الفقيه عبد الصمد الى نيسابور ليقرأ على الامـــام موفق النيسابورى وكان السائد فى عقيدة اهل زمانه أن كل من قرأ عليه العلوم العربية نبغ فيها و بلغ الغاية و انساق الى العز والجاه والنعمة والثراء .... الى آخر القصـــة ؟ !

و بعد ان اورد القصة برمتها علق عليها بأن « الذى يعينه مـن هذه الحكاية هو ان يكون السائد فى عقيدة اهل ذلك الزمان أن من قرأ العلوم العربية على الامام الموفق نبغ فيها وانساق الى العز والجاه وتلك

---

(١) الف هذا الاديب كتابا بعنوان « الاخلاق عند الغزالى» وعصر الغزالى هو عصر الخيام وقد ذكرنا اجتماعهما وتحاورهما فى قضايا علمية

خرافة لا يسيغها غير ضعاف العقول وصغار الاحلام ..»

ولو تروى قليلا وبحث فى صحة هذه الوثيقة وعدم صحتها لتبين أن هذه القصة قصة مهلهلة الجانب هزيلة الاركان قد نالت من الباحثين نقداً ومن العلماء طعناً وعدم اعتماد وثقة لأن نظام الملك الذى ذكر فى هذه الوصايا خبر اجتماعه فى نيسابور مع عمر الخيام والحسن الصباح وتلقيه العلوم فى مدرسة الموفق النيسابورى ولد سنة ٤٠٨ ﻫ وقد ثبت بأن الخيام قد توفى على المشهور سنة ٥١٧ ﻫ والحسن بن الصباح توفى سنة ٥١٨ ﻫ وعلى هذا يقتضى ان يكون قد عاش كل من عمر الخيام والحسن الصباح مائة سنة او يزيد . لذلك اعتبر الباحثون هذه الوثيقة ضعيفة مشكوكا فى صحتها ، وقد فات المؤلف الاديب ان الوثائق المشكوك فى صحتها لا يصح ان يحتج بها او يعتمد عليها لان الشك اذ اسرى فى جزء الشيء سرى فى كله لامحالة !

وان اعجب فعجبي من الاساتذة الفطاحل الذين منحوا هذا الاديب لقب « الدكتوراه » من غير مناقشته فى هذه الوثيقة !

ولنفرض ان هذه الوثيقة صحيحة لاشائبة فيها فهل يجوز ياترى ان تعتبر كافية للاحتجاج بها على الصبغة الغالبة فى ذلك العصر ؟ أعتقد انه لايجوز ذلك ابداً لان مثل هذه الاساطير والخرافات موجودة فى كل زمان ومكان . واذا كان الامر كذلك — وهو الواقع — فلا يسوغ لنا المنطق أن نحكم على كل العصور التى مرت بالبشر منذ فجر التأريخ الى يوم الناس هذا بالسذاجة والبساطة !

وأعود فاقول ان من العسير على الباحث تحديد الصبغة الغالبة على العصر الذى وجد فيه عمر الخيام فان من الصعوبة بمكان ان نصور اليوم حقيقة الروح السائد فى العصر الذى نعيش فيه لاختلاف الميول والاهواء فيه فكيف بالعصر الذى تعاقبت عليه تسعة عصور ؟

واذا كان لابد من ذلك فاني أعتقد أنه يجب على الباحث فى هذه الحالة ان ينعم النظر و يتأمل ملياً فى احوال الطبقات الثلاث التى يتألف منها الشعب ، وهم :

١ — الرعية اى جمهور الناس

٢ — الحكام وهم الملوك والوزراء والامراء ارباب الحل والعقد

٣ — رجال الدين

أما أمر الرعية وما كانت تشعر به فشيء غامض ، فليس فى ايدى الناس وثائق ومستندات تأريخية نستدل بها على اتجاه شعور الجمهور فى ذلك العصر ، والمؤرخون فى ذلك العصر وغيره من العصور لم يعنوا بتدوين شعور الرعايا واتجاهاتها وانما كانوا يعنون بتدوين وقائع الحروب وكيل المديح للملوك والامراء جزافاً ، تزلفاً اليهم وتقرباً منهم ، هذا ما كان من امر الرعية !

وأما الحكام فى عصر الخيام ، وهم الملوك والامراء والوزراء اولو الامر والنهى والحل والعقد ، فان التاريخ — والعهدة عليه — يقص علينا اخباراً سارة عنهم ، ويحدثنا حديثاً قد اكسبهم مجداً وفخراً ! يقول التأريخ : انهم خدموا العلم كثيراً وشجعوا العلماء واحترموهم وانعموا

عليهم بجلائل الالاء ووسعوا عليهم الارزاق ليتفرغوا لنشر العلوم والفضائل ، وقد مر بنا ما قام به نظام الملك الوزير من تشييد المدارس والمراصد وعلمنا بالمكانة الرفيعة والمنزلة السامية التى نالها عمر الخيام من ملوك السلاجقة وما ذاك الا لانهم قدروا فضله واحترموا علمه وأدبه .

وأما رجال الدين — وهم الذين يفرض عليهم الواجب الدينى ان يكونوا قدوة صالحة ومثلا اعلى من حيث النزاهة والفضيلة والاداب ليقتفى اثرهم الناس — فانا نرى أكثرهم فى كل عصر وفى كل جيل حملة على الدين وادعياء فيه فكانوا بلية على الناس وقوة هائلة لتأييد الاستبداد ومقاومة الحرية الفكرية ومناوأة الاحرار ومعارضة التجديد والاصلاح وسيفاً مسلولا يهدد الارواح وحرباً عواناً على كل حر يستعمل حقه الطبيعى فى ابداء رأيه وابراز فكرته ، وقد لعب رجال الدين — واقصد المزيفين الكذابين منهم طبعاً لا المصلحين الذين فدوا أرواحهم لخير الناس — لعباً عجيباً فى الحياة الاجتماعية والسياسية . فقد ادخلو أنوفهم فيما لايجوز ادخاله وهددوا كل من لا ينزل عند رغائبهم بالطعن والتكفير ، وكم ازهقوا ارواحا بريئة ، وسفكوا دماء زكية بقصاصة تسمى فى عرفهم « فتوى » ! فهذه العصبة التى يتبرأ منها الدين — وهى ملتصقة به — على جانب عظيم من الحسد والنفاق والشقاق يأكل بعضهم لحم بعض ميتاً ، واذا لمع منهم نابغ وظهرت مواهبه وبرزت اخلاقه واقترن اسمه بالذكر الحسن حاربوه بالدس ، ووصموه بكل ماهو شنيع ، والصقوا به

الرذائل والموبقات ! والذى ينعم النظر فى حالة هذا النوع من رجال الدين فى عصر الخيام يجدهم على جانب عظيم من سوء الخلق وفساد السجية والحسد والنفاق، وها أنا ذا اسوق شاهداً يدل على ماكان عليه هؤلاء من النقص فى التهذيب وقلة المروءة .

كان شيخ الاسلام عبدالله الانصارى ، وهو الامام ابو اسماعيل عبدالله بن ابى منصور محمد بن ابي معاذ على بن محمد بن احمد بن على بن جعفر بن منصور بن مقر الخزرجي الانصارى الهروى الذى يتصل نسبه بأبي ايوب الانصارى ، من اجلة العلماء والمحدثين فى عصره ، وكانت له منزلة سامية ومكانة رفيعة فى زمانه غير انه كان حنبلياً ميالا للتجسيم والتشبيه ، وقد حسده رجال الدين فى عصره ووجدوا عليه وارادوا له الكيد والوقيعة به واتفق ان قدم هراة السلطان الب ارسلان السلجوقى والوزير نظام الملك فاجتمع رجال الدين فى هراة واتفقوا فيما بينهم على ان يتقدموا الى شيخ الاسلام بسؤال يسقطه من نظر الوزير ، فلما اجتمعوا بالوزير ، وكان شيخ الاسلام حاضراً ، انبرى له احدهم وقال ترى هل يسمح لى الشيخ الامام ان اسأله عن قضية ؟ فقال : سل مابدالك !

قال له : لماذا تلعن ابا الحسن الاشعرى ؟

فسكت الشيخ ، ولما كان نظام الملك أشعرى المذهب أطرق ، وبعد برهة قال : يا شيخ اجب الرجل ، فقال شيخ الاسلام : « انا لا اعرف الاشعرى ، غير انى العن من لا يعتقد بان الله فى السماء .

وفى رواية انه لما جاء السلطان ألب ارسلان الى هراة اجتمع مشايخ البلد وفكروا فى ايجاد سبب ينزلون به غضب السلطان على شيخ الاسلام عبد الله الانصارى ، فقر رأيهم على أن يصنعوا صنما صغيراً يخبئونه فى محراب الامام ، وفعلوا ذلك ، ولما حضروا بين يدى السلطان اكثروا الشكوى من الامام وقالوا له : انه قائل بالتجسيم واذا اراد السلطان ان يوقن بصدق مدعانا فليأمر بارسال من يأتي اليه بالصنم من مسجد الامام! فغضب السلطان وارسل فى الحال جماعة من غلمانه ليحضروا له الصنم ، ثم أمر باحضار شيخ الاسلام ، فلما دخل الشيخ مجلس السلطان وجد مشايخ البلد جالسين ووجد صنما صغيراً امام السلطان وكان السلطان يهتز من الغضب والالم !

فقال السلطان للشيخ : ماهذا ؟

قال الشيخ : هذا صنم صغير يصنع ليلعب به الاطفال !

قال السلطان : اني لا اسألك عن ذلك ، انما تزعم هذه الجماعة بانك من عبدة الاصنام ؟

فقال الشيخ : «سبحانك هذا بهتان عظيم» وقرأ هذه الآية بصوت ونبرة تدل على صدقه واخلاصه .

فاعتقد السلطان براءة الشيخ وطهارة ايمانه، ولما تحقق الامر علم انها مؤامرة أريد بها الوقيعة بالشيخ فأكرمه وصرفه وعاقب المفترين الكذابين !

قلنا فيما سبق ان سلوك رجال الدين فى عصر الخيام كان سيئاً فاسداً

من الناحية الاخلاقية ، وقد سردنا أمر حادثتين وقعتا فى عصره ، والذى ينعم النظر فى رباعيات الخيام يجد الخيام متبرماً متذمراً منهم وقد حمل عليهم فى رباعياته مشنعاً بهم ، من ذلك قوله :

اى مفتئ شهر از توير كار تريم
با اين همه مستى زتو هشيار تريم
ماخون رزان خوريم وتوخون كسان
انصاف بده كدام خو نخوار تريم

نحن يا مفتى المدينة أحسن منك عملا ، ومع كثرة سكرنا هـــذا فانا أصحى منك ، نحن نشرب دم ابنة العنقود ، و أنت تشرب دم الناس ، فانصف فاينا شارب الدماء اى فتا كا

شيخى بزن فاحشــه كفتا مستى ؟
هر لحظه بدام ديــكرى با بستى
كفتا شيخا هرآنچه كوبي هستم
اما توچنا نچه مينمائى هســـــتى ؟

قال شيخ لمومس انت سكرى ، وفى كل ساعة مربوطة بحبيب ، قالت يا شيخ كلما قلته فئ فهو صحيح لكن هل انت انت كما تظهر للناس .

***

و يظهر انه كان للتصوف شأن لا يستهان به ، وكان لارباب هـذه الطريقة — الدخيلة فى الاســــلام وهو منها براء — سيطرة هائلة على الشعب الامر الذى حدا بالامام ابى حامد الغزالى ، وهو من معاصرى

عمر الخيام ، ان يشد عليهم وان يطعن في سلوكهم الذي دل في كل العصور على تقى مزيف وورع كاذب ، واليك ما كتبه الامام عنهم :

« وفرقة منهم عدلوا عن المنهاج الواجب فى الوعظ وهم وعاظ الزمان كافة الا من عصمه الله عن الخطأ فى بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه ، فاشتغلوا بالسخافات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلباً للاغراب ، وطائفة شغلوا بعبارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها واكثر همهم الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق ، وغرضهم ان تكثر فى مجالسهم الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهولاء شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل »(١)

* * *

هذا ما أردنا ان نأتي به لنلم بحالة العصر الذى وجد فيه عمر الخيام وقد فهمنا مما تقدم ان امر الرعية كان مجهولا ، وان السلاطين والامراء كانوا يناصرون العلم والعلماء ، وان حالة رجال الدين كانت سيئة ، وان عمر الخيام والامام الغزالى قد وصفا هذه الطبقة وصفاً منطبقاً على الحقيقة والواقع .

---

(١) احياء العلوم

*

شـــعراء عصره

الابيوردى

هو محمد بن احمد الاموى الابيوردى احد تلامذة امام الحرمين، وكان الابيوردى يطمح الى الخلافة ويرى نفسه قميناً بها وانه احق بها من سواه، وقد جر له هذا الطموح شقاء كثيراً أجبره على مغادرة بغداد فشد الرحال الى همذان، فدرس والف، ثم مات مسموماً فيها سنة ٥٠٧هـ وكان الابيوردى قديراً على القريض. ومن شعره الذى شاع على الافواه قوله:

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى أعز وأحداث الزمان تهون
وبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه وبت أريه الصبر كيف يكون

صردر

الرئيس ابو منصور على بن حسن الكاتب الشاعر المعروف بصردر توفى سنة ٤٦٥هـ، وكان شاعراً جيد السبك حسن المعنى، وفى شـــعره طلاوة وجمال، ومن شعره فى جارية سوداء (١)

علقتها سوداء مصقولة سواد قلبي صـــفة فيها
ما انكسف البدر على تمه ونوره الا ليحكيها
لاجلها الازمان اوقاتها مؤرخات بليـــاليها

(١) ابن خلكان ٣٥٩، ج ١،

الطغرائى

ابو اسماعيل الحسين بن على المنشئ المعروف بالطغرائي نسبة الى مهنته فى اوائل حياته ، والطغرى ، او الطرة ، هى نعوت السلطان الذى صدر الكتاب عنه ، وتكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ . وكان بارعاً فى الانشاء حتى سمى فخر الكتاب ، ونعت بالاستاذ ، ولقب بالمنشئ ، استوزره السلطان مسعود السلجوقى فى الموصل وله ديوان شعر فى مدح السلطان سعيد بن ملكشاه ونظام الملك الوزير واشتهر الطغرائى بقصيدته المشهورة :

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل   وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وذكر ان له عدة مؤلفات فى الكيمياء القديمة . وتوفى سنة ٥١٣ ﻫ .

الباخرزى

ابو الحسن على بن الحسن من باخرز بين نيشابور وهراة اشتغل فى شبابه فى الفقه الشافعى ، ثم اشتغل بالكتابة ، ثم اختلف الى ديوان الرسائل وتقلب فى المناصب ، وسافر واغترب ، ثم هوى الشعر وغلب ادبه على فقهه ، فنظم الشعر ، وهو ليس من طبقة الفحول المبرزين وأثر التكلف ظاهر على شعره ، وله كتاب فى تراجم شعراء عصره سماه دمية القصر جعله ذيلا ليتيمة الدهر للثعالبى وقد اهمل فيه تاريخ المواليد والوفيات والاحوال وعنى بوصف الالفاظ (١) .

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب حديثا فى حلب بعناية الاستاذ الطباخ

*

معاصروه من شعراء الفرس

مسعود سعد سلمان

اصله من همدان ، ومنشؤه فى جرجان ، ظهر فى زمان السلطان ابراهيم الغزنوى واتهم بجريمة المؤآمرة عليه فاوقفه وحبسه فى قصر منيع يسمى (حصارناى) وبقى سجيناً فى هذا القصر مدة (١٩) سنة ، وقد حاول خلال هذه المدة ان ينال الشفاعة والعفو من السلطان فلم ينجح ونظم الشاعر مدة بقائه فى السجن اشعاراً محزنة سماها « حبسيات » فمن شعره فى السجن (١) توفى سنة ٥٤٩ هـ

نالم زدل جو ناى من اندر حصارناى
پستى گرفت همت من زين بلند جاى

أئن من قلبي كالناى فى (حصارناى) ، قد انحطت همتى فى هذا المحل المرتفع !

آرد هواى ناى مرا ناله هاى زار
جز ناله هاى زارچه ارد هواى ناى

تسبب نغمات الناى لى انيناً شجياً غير الانين المشجى ماذا تولد نغمات الناى ؟

عثمان مختارى

هو عثمان بن محمد الغزنوى المعروف بالمختارى توفى سنة ٤٥٤ هـ

---

(١) سر امدان سخن (ص ٢٥١)

وله ديوان شعر وقد مدح ملوكا اربعة هم اورسلان بن مسعود ، وسلطان غازى يمين الدولة بهرامشاه ، ومعز الدين ارسلانشاه ، وارسلان خان محمد بن سليمان بن داود (١)

مجدود السنائى

هو ابو المجد مجدود بن آدم السنائى الغزنوى العارف الشاعر المشهور توفى سنة ٥٤٥ هـ (٢)

رشيدى سمرقندى

ابو محمد عبدالله او عبد السيد رشيدى السمرقندى الشاعر كانت له مناظرات ادبية وشعرية مع الشاعر مسعود سعد سليمان المتقدم ذكره (٣)

اللامعى الدهستانى

ابو الحسن محمد بن اسماعيل اللامعى الجرجاني الدهستاني من شعراء السلطان ملكشاه و وزيره نظام الملك (٤)

برهانى

هو امير الشعراء عبد الملك النيشابورى توفى سنة ٤٦٥ هـ فى قزوين فى اوائل سلطنة ملكشاه بن الب ارسلان السلجوقى (٥)

(١، ٢، ٣، ٤، ٥) حواشى چهار مقاله ص ١٥٠ — ١٥٥

زعماء الحركة الفكرية في عصره

الغزالى

هو ابو حامد محمد الغزالى ولد سنة ٤٥٠ وتوفى فى سنة ٥٠٥ ﻫ تلقى العلوم فى طوس لى العلامة احمد الراذكانى ثم اختلف الى دروس امام الحرمين ابي المعالى الجوينى فى نيسابور وكان الغزالى نابغة عصره وله آراء فى الدين ونظريات فى الفلسفة والاخلاق وقد نال فى حياته شهرة عظيمة وصيتاً كبيراً وكان فى ابتداء امره سوفسطائياً مرتاباً يميل الى مذهب الشك ثم التحق بخدمة الوزير نظام الملك وتعين فى سنة ٤٨٤ استاذاً فى المدرسة النظامية البغدادية فاحبه اهل بغداد وارتفعت عندهم منزلته وقد قضى فيها اربع سنوات مدرساً ثم حصل له تطور فجائي فى عقائده فعاد زاهداً ناسكا مؤمناً بالله وبقدسية انبيائه وخلود النفس بعد ان كان كثير الارتياب فترك بغداد مولياً ووجهه شطر بيت الله ثم زار الشام والقى فيها الوعظ والدروس ثم انتقل الى بيت المقدس واجتهد فى العبادة وزيارة المشاهد والمواضع المعظمة واخيراً مال بكليته الى التصوف وقرأ كتب الجماعة ومقت الفلسفة والفلاسفة واشهر عليهم حرباً عواناً فى كتابه « تهافت الفلاسفة » (١) والف التآليف النفيسة الجليلة التي دلت على قوة محاكمته وبعد نظره وصفاء ذهنه واشهرهـــا احياء العلوم والوسيط والبسيط والوجيز والخلاصة فى الفقه والمستصفى فى اصول الفقه ومحك النظر

(١) وقد رد عليه ابن رشد بكتابه (تهافت التهافت) منتصراً للفلسفة

ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير اهله والمقصد الاسنى فى شرح اسماء الله الحسنى ومشكاة الانوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين والمنخول والمنخل فى علم الجدل .

ثم عاد الغزالى الى نيسابور وعلم فى مدارسها وفى اواخر ايامه عاد الى وطنه واتخذ خانقاه للصوفيه ومدرسة للمشتغلين بالعلم فى جواره ووزع اوقاته على وظائف الخير من ختم القرآن ومجالسة اهل القلوب والقعود للتدريس الى ان انتقل الى ربه .

وكانت مكانته العلمية جليلة فى الاقطار الاسلامية وكان آية فى الذكاء حافظاً للعلوم حتى لقبه الناس « حجة الاسلام » والغزالى عاصر الخيام وصادفه فى بغداد وجرى بين الاثنين حوار على حول القراء وتعيين جزء من احزاء الفلك القطبية دون غيرها مع كونه متشابه الاجزاء . . . .

الشهرستانى

ومن العلماء الذين عاصروا عمر الخيام الشهرستاني الشهير وكنيته ابو الفتح واسمه محمد بن ابى القاسم عبد الكريم بن ابى بكر احمد الشهرستانى وكان اماماً مبرزاً فقيهاً عالماً بالاديان ضليعاً من اراء اصحاب المقالات تفقه على احمد الخوافى وعلى ابي نصر القشيرى وبرع فى الفقه وقرأ الكلام على ابى القاسم الانصارى وتفرد فيه وصنف كتاب نهاية الاقدام فى علم الكلام واشتهر بتأليفه لكتاب الملل والنحل والمنهاج والبيان وكتاب المضارعة وتفحيص الاقسام لمذاهب الانام وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة دخل بغداد سنة ٥١٠ هـ واقام بها ثلاث سنين وسمع الحديث

من علي بن احمد المديني بنيسابور وغيره وكتب عنه الحافظ ابو سعد عبد الكريم السمعاني وذكره في كتاب الذيل وسأله ابن السمعان عن مولده فقال في سنة ٤٧٩هـ وتوفي بشهرستان سنة ٥٤٨هـ ومما ينسب اليه :

لقد طفت في تلك المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعاً كف حائر على ذقن او قارعاً سن نادم

ولا اشك في ان الشهرستاني كان ممن عرف الخيام وكانت للخيام صلة به لاتفاق تلقيهما العلوم في مدينة واحدة وتقارب اعمارهما وقد طعن الناس في الشهرستاني وأتهموه بالزندقة والمروق لاشتغاله بآراء الفلاسفة .

الشيخ ابو اسحق

كان امام وقته في بغداد وقد تولى المدرسة النظامية فيها وكان في عنفوان شبابه قد تفقه على جماعة من الاعيان وصحب القاضي ابا الطيب الطبري وقد الف كتباً مفيدة منها المهذب في المذهب والتنبيه في الفقه واللمع وشرحها في اصول الفقه والتبصرة والمعونة والتلخيص في الجدل ومن شعره .

سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما الى هذا سبيل
تمسك ان ظفرت بذيل حر فان الحر في الدنيا قليل

توفي سنة ٤٧٦هـ وجلس اصحابه للعزاء بالمدرسة النظامية ولما انقضى العزاء رتب مؤيد الملك بن نظام الملك ابا سعد المتولي مكانه ولما بلغ الخبر

نظام الملك كتب بانكار ذلك وقال كان من الواجب ان تغلق المدرسة سنة لاجله وزرى على من تولى موضعه وامر ان يدرس الشيخ ابو نصر عبد السيد بن الصباغ فى مكانه .

امام الحرمين

هو ابو المعالى عبدالملك الملقب ضياء الدين المعروف بامام الحرمين وكان اوحد اهل زمانه فى العلوم . تعلم فى مدرسة البيهقى ثم سافر الى بغداد وخرج الى الحجاز وجاور بمكة اربع سنين ثم درس وافتى فى المدينة فلهذا قيل له امام الحرمين وفى اوائل سلطنة ألب ارسلان السلجوقى عاد الى نيسابور وتولى التعليم والخطابة فى المدرسة النظامية التى بناها نظام الملك فى نيسابور وكان الشيخ ابو اسحق الشيرازى يقول له يامفيد اهل المشرق والمغرب انت اليوم امام الائمة وقد ترك مؤلفات هى ثروة عظيمة قد احصاها ابن خلكان (ج ١ ص٢٨٧) وكانت وفاته سنة ٤٧٩ﻫ ولما شاع خبر وفاته اغلقت الاسواق وكسر منبره فى الجامع وقعد الناس لعزائه واكثروا فيه المراثى وكانت تلامذته يومئذ قريباً من اربعمائة واحد فكسروا اقلامهم ومحابرهم واقاموا على ذلك عاماً كاملا وامام الحرمين هو احد اساتذة عمر الخيام .

*

حياته وسيرته

مولده

اختلف كل الذين بحثوا فى حياة الخيام وادبه فى تاريخ مولده ولم نعثر فى كتب التراجم ولا فى المؤلفات التى تعرضت له عن تاريخ ميلاده ويزعم انه ولد فى اواسط القرن الخامس للهجرة وقد استدل على ذلك بما ذكروه من الخلاف فى تاريخ وفاته ، فاذ رجح القول بانه توفى سنة ٥١٧ هـ على ما ذكره صاحب كتاب مجمع الفصحاء (١) وقلنا ان الخيام عاش اثنتين وسبعين سنة كما يقول هو فى احدى رباعياته (٢) فيكون ميلاده فى سنة ٤٤٥هـ وذلك بعد اخراج ٧٢ سنة من ٥١٧ سنة .

---

(١) رضا قولى خان هدايت

(٢) وهذه هى الرباعية :

هرگز دل من زعلم محروم نشد
كم ماند زاسرار كه مفهوم نشد
هفتاد ودوسال عمر كردم شب و روز
معلومم شد كه هيچ معلوم نشد

ما حرم قلبي قط من العلم ، لم تبق من الاسرار التي فهمتها الا قليلا عشت ثنتين وسبعين سنة ليلها ونهارها فعلمت اخيراً بانني لم اعلم شيئاً ابداً .

وكما اختلف فى تاريخ ميلاده فقـــد اختلف ايضاً فى تاريخ وفاته فاذا رجعنا الى « جهار مقالة » وهى اقدم واصح وثيقة لان مدونها تلميذ الخيام وهو احمد بن عمر بن على النظامى العروضى السمرقندى نراه يقول انه قد زار قبره فى سنة ٥٣٠ هـ وقد قيل له ان استاذه قد توفى منذ اربع سنوات فعلى هذا يجب ان يكون قد توفى سنة ٥٢٦ هجرية

اسمه ولقبه وكنيته

هو ابو الفتح غياث الدين عمر بن ابراهيم الخيام وقد سماه شمس الدين سامي بعمر الخيام بن محمد وسماه واضع حواشى المقالات الاربع بعمر ابن ابراهيم كما سماه صاحب تاريخ زبده سنة ٧٣ وصاحب كشف الظنون فيكون ما ذكره شمس الدين سامى خطأ فى ذكر اسم ابيه .

قال واضع حواشى المقـــالات الاربع وتسميه العرب بالخيامي والفرس بالخيام وهو اختلاف ناشئ من تباين اللغتين ، وكنوه ابا الفتح عملا بالسنة والا فان الخيام حصور لم يتزوج على ما ذكره شمس الدين سامي وعلى ما اعتقد وكلمة الخيام تدل على انها لقب له ولعائلته على انه قد فسر هذا اللقب فى رباعيات له قال : —

خيـــام تفت بخيمهٔ ما ند راست
جان سلطانيكه منزلش دار بقاست

فراش ازل زبهر دیگر منزل
نخیمه بیفکند چو سلطان برخواست

یاخیام ان جسدك يماثل الخيمة حقاً والروح التي منزلها دارالبقاء تشبه السلطان فاذا ارتحل السلطان الا تقوض الخيمة .

خیام که خیمه های حکمت میدوخت
در کورهٔ غم فتاد وناگاه بسوخت
مقراض اجل طناب عمرش ببرید
دلال امل برا یگانش بفروخت

وقع خيام الذي كان يخيط خيم الحكمة في كور الغم واحترق وقد قطع مقراض الاجل طناب عمره وباعه دلال الامل رخيصاً .

نسبه وعائلته

العناية بالانساب والاحساب من خصائل العرب اما الفرس فانها لم تعن الا بحفظ انساب ملوكها فلذا لم نعثر على نسب الخيام ولم نعلم من اى الطبقات كانت عائلته غيران سيرته تدلنا على انه كان من عائلة فقيرة ليس لها ثروة كافية في ذلك الزمن العسير الذي كثرت فيه الحروب وقد

اعترف الخيام مرة بحاجة الى المال فى حديثه مع نظام الملك وياليتنا قد عثرنا على نسبه وعرفناه ابويه معرفة تامة لان ذلك يسهل لنا الوصول الى معرفة السر فى تكييف خلقه وسجيته اذ لاينكر مالقانون الوراثةمن الاثر والفعل .

ولده

المشهور الشائع انه ولد فى نيسابور وفيها . تلقى علومه غير ان صاحب تأريخ الالفى لمؤلفه « احمد بن نصر الله تتوى (١) يزعم بان البعض يقول انه ولد فى قرية « شمشاد » التابعة لمدينة بلخ . و بعضهم يقول انه ولد فى قرية (بسنك)من توابع استراباد غير ان الشهرزورى والقزوينى وخواندمير يؤيدون بانه ولد فى نيسابور وهذا هو الصحيح .

ونيسابور مدينة فارسية فتحها المسلمون فى ايام عثمان رضى الله عنه والامير عبدالله بن كريز فى سنة ٣١ صلحاً وبنى بها جامعاً وفى رواية اخرى انها فتحت فى ايام عمر الفاروق على يد الاحنف بن قيس وانما انتقضت فى ايام عثمان فارسل ابن عبدالله بن عامر ففتحها ثانية وقد وصفهاصاحب معجم البلدان ٢) بانها مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة

---

(١) عمر الخيام لحسين دانش ص (٤٣)

(٨) ياقوت الحموى

معدن الفضلاء ومعدن العلماء وقال لم ار فيما تطوفت من البلاد مـــدينة كانت مثلها وا كثر شرب اهل نيسابور من قنى تجرى تحت الارض ينزل اليها فى سراديب مهيأة لذلك فيوجد الماء تحت الارض ، وليس بصادق الحلاوة ، وعهدى بها كثيرة الفوا كه والخيرات وبها ريباس ليس فى الدنيا مثله تكون الواحدة منه مناً واكثر وقد وزنوا واحدة فكانت خمسة ارطال بالعراق وهى بيضاء صادقة البياضة كانها الطلع .

وكانت نيسابور حافلة باهل العلم والادب وقد خرج منها عـدد غـير يسير من ائمة العلم منهم الحافظ الامام ابو على الحسين بن على النيسابورى والامام موفق النيسابورى استاذ عمر الخيام .

والغريب ان الشعراء قد اكثروا من ذم نيسابور كابى الحســن الاسترابادى الذى يقول .

لاقدس الله نيسابور من بلد ... سوق النفاق بعناها على ساق
يموت فيها الفتى جوعا وبرهم ... والفضل ماشئت من خير وارزاق
والخير فى معدن الغرثى وان برقت ... انواره فى المعانى غـــير براق

وكقول المرادى ،

لاتنزلن بنيسابور مغـــترباً ... الا وحبلك موصول بسلطـان
اولا فلا ادب يجدى ولا حسب ... يغنى ولا حرمة ترعى لانسان

وممن شكى ليله فيها معن بن زائدة الشيباني .

تمطى بنيسابور ليـلى وربمـا يرى بجنوب الري وهو قصير
ليالي اذ كل الاحبـة حاضر وما كحضور من تحب سرور
فاصبحت اما من احب فنازح وامـا الالى اقليهم فحضور

وفي نيسابور تلقى عمر الخيام ورفيقه نظام الملك وحسن الصباح العلوم على الاستاذ الامام موفق النيسابوري الشهير وفيها عاش ومات .

ليس من المستطاع انكار ماللاسفار والسياحات من الاثر فى النفس وتطويرها وتكوين خلق الانسان وتكييفه . الحق ان التنقل من قطر الى قطر ومعاشرة النـــاس على اختلاف مللهم ونحلهم واهوائهم يزيد فى الانسان حنكة وتجربة ويقوى فيه العزم ويعوده تجشم المصاعب . وعند الفرس ان العاقل المجرب هو الذى ساح فى الدنيا. فقد قالوا « خرد مند جهانديده است » (١) اى العاقل المحنك من رأى الدنيا يعنون سافر وساح. وقد قام عمر الخيام برحلتين : الاولى فى فارس، والثانية الى بلاد العرب وهى التى ادى فيهـــا فريضة الحج ، ومكث عند ايابه فى بغداد مدة من الزمن .

اما الرحلة الاولى فيظهر انها لم تتعد السفر الى بلخ وبخارى ، وفى بلخ زاره تلميذه النظامى العروضى السمرقندى فى سنة ٥٠٦ ﻫ فى صرح امير بوسعد جره ،

وذكر الشهرزورى ، ان الخاقان شمس الملوك ببخارى كان يعظمه ويجلس الامام معه على سريره.

أما رحلته الى بلاد العرب وسببها فقد ذكرها القفطى فقال :

« ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه

(١) ولهم مثل اخر يناقضه «جهانديده بسيار كويد دروغ » اى ان الذى رأى الدنيا ـــ اى ساح ـــ يكثر من القول الكذب

وامسك من لسان عنانه وقلبه وحج متاقاة لاتقية ، فالظاهر من هذه العبارة ان الخيام لم يكن راغباً فى الحج وانما شد الرحال الى البيت مكرهاً وذلك تسكيناً للخواطر والنفوس التى حنقت و ثارت عليه .

ثم قال ، ولما حصل ببغداد سعى اليه اهل طريقته فى العلم القديم فسد دونهم الباب سد النادم لاسد النديم ... » (الكتاب ص ١٤)

، ولم يذكر لنا القفطى المدة التى اقامها ببغداد ، ولا شك انه قد استفاد من بقائه فى بغداد فائدة عظيمة اذ كانت مقر الاسرة المالكة من بنى العباس و كعبة للعلم يقصدها الشعراء والحكماء والرواة وكانت آهلة بالمدارس حافلة بالمعاهد الدينية والعلمية والادبية كثيرة خزائن الكتب ، وناهيك بما كان من الشأن لمجالس المناظرة والجدل فى الحكمة والفقه والكلام والعلوم الشائعة . وبالجملة فقد كانت الحياة العلمية والادبية غضة زاهية نضرة .

واجزم بان عمر الخيام قد ارتشف من هذا المنهل العذب مالم يكن قادراً على ارتشافه فى بلاده . وقد اشار الى بغداد فى رباعياته غير مرة فمن قوله :

جون ميگذرد عمر جه شيرين وجه تلخ
بيمانه جو برشود جه بغداد جه بلخ
مى نوش كه بعد ازمن وتو ماه بسى
از سلخ به غره آيد از غره بسلخ

مادام العمر ينقضي فسيان عندي حلوه ومره، واذا امتلأت الكأس اي (مت) فسيان عندي أمت في بغداد ام في بلخ. احس ياصاح كؤوس الحيا! فان القمر سيتنقل من بعدي وبعدك من السلخ الى الغرة ومن الغرة الى السلخ كثيراً.

شهرته

ان سيرة الخيام في حياته ومانقله المؤرخون عنه يدل على انه كان متمتعاً بشهرة واسعة في عصره وقد نال هذا الصيت العظيم بفضل ماكان عليه من علم وادب وحكمة، وقد لقب في حياته بألقاب فخمة جليلة، فكان تلميذه العروضي السمرقندي يسميه «حجة الحق» والبيهقي يسميه «الامام» وبالغ الامام القاضي ابو نصر محمد بن عبدالرحيم النسوي في الثناء عليه فسماه «سيد الحكماء» ولما سأله عن حكمة الله تعالى في خلق العالم وتكليف الناس بالعبادات صدر الرسالة بابيات في مدح الخيام، وهي:

ان كنت ترعين يار يح الصبا ذممي ... فاقرى السلام على العلامة الخيمي
بوسي لديه تراب الارض خاضعة ... خضوع من يجتدى جدوى من الحكم
فهو الحكيم الذى تسقى سحائبه ... ماء الحيـــاة رفاة الاعظم الرمم
عن حكمة الكون والتكليف يأت بها ... تغنى براهينه عن ان يقـال لم (١)

(١) راجع جامع البدائع ص (١٦٦) وهي مجموعـة رسائل طبعت بمطبعة السعادة في مصر بعناية محي الدين صبري الكردي

النسوى هذا تلميذ «ابن سينا» وكان من فضلاء عصره وان اهتمامه بالخيام واطنابه بالمديح عليه الى هذا الحد دليل على مكانة الخيام وشهرته فى عصره .

ويظهر ان الخيام لقب فى عصره « بالفيلسوف » نفهم ذلك من رباعية له وقد تنصل فيها من هذه الكلمة ولا ادرى أتواضعاً كان ذلك منه أم خشية

دشمن بغلط كفت كه من فلسفيم
ايزد داندكه آنچه اوكفت نيم
ليكن چو در اين غم آشيان آمده أم
آخر كم از آنكه من بدانم كه كيم؟

لخطأ العدو بقوله اني فلسفي وقد علم الله انى لست كما قال ولكن إذ وجدت نفسى فى دار الغم « الدنيا » فلا اقل ان اعرف من انا !

مزاجه

ان الذى ظهر لنا مما حكاه المؤرخون الذين عنوا بترجمة الخيام انه كان حاد الطبع عصبى المزاج وان رباعيته المشحونة بشكوكه وأوهامه وآلامه وتخيلاته وصيحاته وتفكيره المتواصل واشتغاله فى حل المشاكل العلمية والفلسفية وشذوذ اتجاهاته واعتزاله الناس وحبه الانفراد تدلنا على ان عمر الخيام لم يكن متمتعاً بمزاج معتدل قط وانما كانت تغلب عليه صفة الغلظة والشراسة والغلظة والشراسة وحدة المزاج صفات تلازم الحكماء والمفكرين والفلاسفة المتشائمين ، وكان الخيام شديد التشاؤم — كما

سنبرهن علي ذلك . ولهذا السبب ولما اشكل ايضاً على الناس ان يطلعوا على سريرته وصموه بسوء الخلق وضيق العطن جهلا وتوهما .

مواهبه

كان عمر الخيام ذكي الفؤاد فطناً سريع الحفظ قوى الذاكرة ، وتدل رباعياته ومؤلفاته واطلاعه الواسع فى مختلف العلوم والفنون على عقل راجح وقريحة نادرة وعبقرية فذة حتى رووا الاعاجيب عنه ولا سيما فيما يتعلق بقوة ذاكرته . فقد روى لنا الشهرزورى انه تأمل كتاباً باصبهان سبع مرات وحفظه وعاد الى نيسابور فاملاه فقوبل بنسخته الاصلية فلم يوجد بينهما تفاوت » (١)

والامر الذى لا شك فيه ان الرجل كان قوى الذاكرة جيد الفهم ذا مواهب رفيعة .

اتهامه بالزندقة

كان الخيام يعلم الفلسفة فى نيسابور وبالفلسفة اشتهر وذاع صيته وبها فاق اقرانه وبها بز لداته واترابه من معاصريه . وقد اجمع الرواة على انه

(١) ومثل هذا روى عن ابى العلاء المعرى فقد زعموا انه حفظ مناجاة فارسية سمع لفظها ولم يفهم معناها ، وانه حفظ حسابا طويلا كان بين تاجرين فلما فقد احدهما وثيقته املاها عليه ابو العلاء بعد زمن طويل . وزعموا ان رجلا من اهل اليمن وقع له كتاب فى اللغة قد ضاع اوله فعرضه على طائفة كثيرة من اهل العلم فكلهم لم ينفعه ولم يدله على اسم الكتاب فلما عرضه على =

كان فذاً منقطع النظير فى اجزاء الحكمة فى الرياضيات والمعقولات ولما شاعت آراؤه فى الفلسفة وذاعت نظرياته فى الحكمة اصطدم الناس بهذه الحقائق الناصعة ورأوا شيئاً لم يألفوه من قبل وصموه بالزندقة وطعنوه فى عقيدته وظنوا فيه الظنون واخذوا يتقولون عليه وينقدونه.

وقد قال فيه الشيخ نجم الدين ابو بكر الرازى سنة ٦٢٠ ه فى كتابه مرصاد العباد ان عمر الخيام قد تاه فى بيداء الضلال بقوله الرباعية المذكورة فى (ص ١١ من هذا الكتاب) وزعم المؤرخ العربى الوزير القفطى ان قد قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره فى مكنونه فخشى على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه رحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية ..(راجع ص ١٤ من الكتاب) وقد ادرك الخيام تقولات العميان من الناس فيه فرد عليهم برباعية دلت على متانة طبعه واستقلال فكره :

كرمن زمى مغانه مستم ، مستم ؛
كر كافر وكبر و بتپرستم هستم
هر طايفه بمن كمانى دارند :
من زان خودم ، جنانكه هستم ، هستم

انا ان كنت ثملا بخمرة المجوس فانا ذاك وان كنت كافراً او مجوسياً او وثنياً فاناذاك فلكل زمرة من الناس ظن فى ، اما انا فلك نفسى اكون كما أريد !

=ابى العلاء أنبأه باسمه واسم صاحبه واملى عليه ماضاع منه(راجع ص ٢٢٢ من كتاب ذكرى ابى العلاء للدكتور طه حسين)

ادبه وعلمه

للاستاذ اثر فى نفس التلميذ من وجهة التثقيف والتفكير ، والتلميذ على الغالب يقلد استاذه و يأخذ طريقة اتجاهه وميله فينشأ على شاكلته مقتفياً اثره حتى اذا قوى ادراكه ونضج عقله ونال شيئاً من الاستقلال فى الرأى ظهر اختياره وبانت رغائبه وانقاد الى الميل الطبيعى الذى يتحسس به و يشعر . لذلك لا أجد بدأ ـ وانا ابحث فى ادب الخيام وعلمه ـ من تعريف شخصية اساتيذه الذين تتلمذ لهم فى عنفوان شبابه ليظهر الاثر الذى تركوه فى نفسه وأثر المصدر الذى أخذ عنه .

أخذ الخيام العلوم عن الامام موفق النيسابورى كما ذكر ذلك نظام الملك فى وصاياه ، وقال شمس الدين سامى مؤلف قاموس الاعـــلام:

« اخذ الخيام علومه عن استاذ الحكيم السنائى (كذا) شيخ الاسلام ناصر الدين محمد بن منصور ،وهناك رأى فى انه تتلمذ لابي على الحسين ابن عبد الله « ابن سينا » البخارى لان الخيام قال (١) فى بحثه عن تفاوت الموجودات فى رسالته الكون والتكليف التى الفهـــا سنة ٤٧٣ هـ واجاب فيها عن سؤال القاضى الامام ابي نصر محمد بن عبد الرحيم النسوى تلميذ ابن سينا عن حكمة الخالق فى خلق العالم ولا سيما الانسان وتكليفه العبادات :

« فاعلم ان هذه مسألة قد تحير فيها اكثر الناس حتى لا يكاد يوجد

---

(١) جامع البدائع ص ١٧٠ــ١٧١

عاقل الا ويعتريه فى هذا الباب تحير ولعلى ومعلى افضل المتاخرين الشيخ الرئيس ابا على الحسين بن على بن عبــــد الله سينا البخارى اعلى الله درجته قد امعنا النظر فيها وانتهى بنا البحث الى ما قنعت به نفوسنا ...

ان الذى يجعلنى اتردد فى صحة هذه الروايةهو عدم وجود ادلةقطعية تثبت صحة هذه الرسالة ثم ان ما احتوت عليه الرسالة من الحجج والاراء فى منشأ الـكون وتبرير التكليف يناقض ما جاء فى رباعياته كل المناقضة لقد ذكر الشهرزورى فى بحثه عن الخيام وتعداده مؤلفاته بان له رسالة فى الـكون والتكليف بيد انه ليس فى ايدينا دليل يثبت ان الرسالة التي ذكرها الشهرزورى هى الرسالة التي نشرها الفاضل محى الدين الـكردى فى مصر .

ثم انى بحثت وجاهدت كثيراً للعثور على ترجمة الاستاذين الاخرين شيخ الاسلام منصور والموفق النيسابورى فلم اظفر بطائل .

فمن هنا خسرنا اعظم مصدر نستطيع ان ندرس به عقلية الخيام ونقيس به مبلغ علمه .

رباعياته

جمع عمر الخيام فضائل جمة ومزايا كثيرة . فقد كان اماماً فى العلوم الرياضية والفلـكية تشهد له بذلك تآليفه القيمة فى علم الجبر و بنائه الارصاد وترتيبه الزيج ، وكان طبيباً حاذقاً ومحققاً بارعا ومتفكراً كبيراً ، والى كل ذلك كانت منزلة سامية فى الشعر وقد سلك فيه مسلـكا لم يسلـكه غيره .

واذا بحثنا فى ادب الخيام فلا يعنينا ان نبحث فى مؤلفاته وعلومه وانما نقتصر على رباعياته الذائعة الصيت التى فتنت الالباب فكان له بها انصار يجعلونه من اكابر الشعراء ويسرفون فى تبجيله.

نظم الخيام رباعياته فى ازمنة وامكنة مختلفة وكانت نفسيته تتمثل فى كل رباعية من رباعياته تمثلا خاصاً بها بما كان يحيط به من المؤثرات فيقول فى كل حادثة كلمة ولذلك نجد كل رباعية مستقلة بنفسها لا علاقة لها بما قبلها وما بعدها وقد نرى تناقضاً ظاهراً بين رباعيتين وذلك عند جولته فى مضمار الشك واليقين فتارة نراه مؤمناً مطمئناً وتارة مرتاباً مضطرباً وهو أشبه روحاً بابي العلاء فى لزومياته وهـذا يدل على كونه شاعراً حقيقياً تختلج فى قلبه افكار شتى، ثم اننا نرى بعضها سخيفاً سمجاً لا يستحق العناية وقد وجدنا الرباعيات مشتملة على كثير من الجدل والوصف والسخرية والنقد والمزاح والمجون وعلى مسائل فلكية وخلقية وادبية وفلسفية.

وعروض الرباعيات فى الغالب على وزن « لا حول ولا قوة الا بالله » وهو مركب من اربعة مصاريع الاول والثاني والرابع مقفى والثالث مطلق وقد تكون الاربعة مقفيات وكل رباعية مستقلة بنفسها ذات معنى واحد.

والذين نظموا الرباعيات من ادباء الفرس كثيرون ولكن الخيام على ما نعتقد برز على الجميع كما سأبين ذلك وبحسبنا ان نقول انها تكاد تكون المصدر الوحيد لارائه الفلسفية ومذهبه واخلاقه ومجموعها يعبر

عن نفسيته احسن تعبير ويتضمن كل ما كان يختلج فى صدره من شكوك وهواجس ووساوس والام ونزعات ونزغات .

عدد الرباعيات

اختلف الباحثون وتضاربت اراؤهم فى عدد الرباعيات كما اختلفوا فى عقيدته ورأيه فى الحياة . فيقول بعضهم : ليس كل مافى الرباعيات هوله . قد بلغ مافى النسخ المطبوعة فى الهند وفارس نحو ٧٥٠ رباعيــــة وعددها الصحيح يتراوح ما بين ١٢٠ — ١٥٠ واما الباقى فهو لشعراء اخرين نسبها اليه المتأخرون او دسوها فى ديوانه . وقد وقعت بيدى بضع نسخ منها مطبوع بعضها فى الغرب و بعضها فى الشرق وكل ما فيها لا يتجاوز ٣٠٠ رباعية ونسخ اخرى فيها ١٢٠ أو ١٥٠ او ٥٠ او اقل . فاختلاف النسخ يدل على صحة ما ادعوه .

وانا لا انكر ان الدس على العلماء والمؤلفين كان فاشياً فى عصر الخيام وما قبله وما بعده وكان للانتحال شأنه فى كل عصر من العصور المتقدمة ولا ننكر ان للخيام أعداء كانوا يحسدونه ويضمرون بغضهم له فى حياته وبعد وفاته ، ولكن قول ابن القفطى « ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه وامسك من عنان لسانه وقلمه حج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرائر غير نقية .. الخ »

دليل على انه لم يبق لاعدائه حاجة الى الدس عليه فانه جاهر بما يريد ان يقوله فلم يلاق من الجمهور صدراً رحيباً لقبول اقواله او صرفها عن ظاهرها .

* * *

نظم الخيام فى حياته رباعيات كثيرة ، ونعتقد انه من الصعب جداً تعيين ما له وما ليس له منها لانه لم يختص وحده بنظم الرباعيات ولا هو اول مبتكر لهذا الاسلوب، فقد نظم الشعراء الذين عاشوا من قبله ومن بعده رباعيات جليلة القدر عظيمة المعنى وقد وجدت بعض الرباعيات المعزوة له فى دواوين شعراء الفرس كابي سعيد ابي الخير وافضل الكاشاني والانورى وابن سينا وحافظ الشيرازى وجلال الدين والخاقاني وسعدى الشيرازى وغيرهم من الشعراء والمتصوفة .

* * *

تقول «المسس كادل» التى سلخت عدة سنوات فى تحقيق رباعيـــات الخيام واظهرت ماله وما ليس له : ان له ١٢٠٠ رباعية وان اقدم نسخة للرباعيات وهى المحفوظة فى مكتبة (بودلين) فى اكسفورد معلمة برقم ٥٢٥ وهى نسخة صحيحة كتبت سنة ٨٦٥هـ اى بعد وفاته بثلاثة قرون ونصف قرن فهى اقدم نسخة بين ايدينا وهى تشتمل على ١٥٨ رباعية .

ولو قبلنا كل الرباعيات التى تنسب الى الخيام بغير تمحيص لتراوح عددها بين ٦٠٠ — ١٠٠٠ رباعية والتفريق بين هذه الرباعيات المتشابهة امر متعسر بل متعذر حتى على ادباء الفرس انفسهم .

وفى هذه الحالة ليس لدينا من وسيلة نفهم بها ما للخيام غير مذهب الخيام الفلسفى الخاص به . وغاية ما نقوله فى هذا الصدد ان هذه الرباعيات كلها للخيام رديثها وجيدها فان الشاعر قد يحسن وقد يسئ والجواد يعدو ويكبو ولا غضاضة فى ذلك فكثير من شعر المتنبي

وابي تمام والبحتري، المعري وغيرهم ماهو غير جدير بالتدوين والانشاد وعلى كل فان مذهبي في معرفة رباعياته هو مقارنتها بمذهبه الفلسفي الخاص.

وقـــد اعتمدت في ترجمة الرباعيات نسختين الاولى نسخة العالم المحقق الالماني « فردريخ روزن » والثانية نسخة الاديب الفارسي الشهير حسين دانش .

والان نعود فنقول كلمتنا في أدبه : —

كانت اللغة العربية في عصر الخيام لغة العلم والدين بل كانت اللغـــة الرسمية وكان الفرس يدرسون العلوم والاداب والفنون باللغتين العربية والفارسية معاً ويؤلفون باللغتين كما انهم كانوا يقرضون الشعر باللغتين ايضاً وقد وجدنا للخيام ولغيره من شعراء الفرس كسعـــدي وحافظ الشيرازيين وغيرهم شعراً بالعربية مما يدل على شيوع العربية في فارس وقد عثرنا على شعر عربي لعمر الخيـــام يدل على تضلعه من العربيـة وعلو كعبه فيها. ولنبحث الان في ادبه وشعره بلغة قومه ثم نعود فنبحث في ادبـــه العربي .

يرى الناظر في رباعيات عمر الخيام الفارسية تناقضات كثيرة ومواضيع متباينة وآراء مختلفة فكؤوس واباريق ، ودنان وطاسات وخمرة وردية ، وآنية عسجدية ، وحانات وسقاة ، ومعشوق مايح ، وعود صيح وجنة غناء ، واغصان خضر ، وبلابل تغرد ، وحمائم تسجع ، ولذة وسرور ، ومداعبة العين الحور ، وابتسامات حلوة ونشيد بديـــع ، وتفاؤل عظيم ، ثم زفير وشهيق ، ودموع ونشيج وصيحات تنم عن الم ، وصرخات تشف عن

حزن ، وشك والحاد ، ويقين واعتقاد ، وكفر صميم ، وايمان قويم ، ويأس مظلم ، وحزن عميق ، وسباب على الكوازالذى يجبل الطين باعتساف ، وشكوى من الفلك الجائر ، ونفس مضطرمـــه تجيش بالهم ؛ ثم تهكم بالعادات ، وسخرية بالاديان ، وانكار للبعث وجحود للحشر ، وهزؤ برجال الدين ، وطعن شديد ونقدمر للاخـــلاق والانظمـــة ؛ و ثم فكر حر ، واستقلال بالرأى ، وجرأة قوية وصراحة عجيبة ، واقدام وتردد ، ونقض وابرام ، وبلاغة عاليـــة وشاعرية فذة ، وذكاء لامع ، وكلام رفيع ، وقول سمج سخيف !

وخلال هذه المتناقضات يظهر ادب الخيام عريان كالطبيعة السافرة التى كشفت عن قناعها وهى تبدى تارة رقة كرقة النسائم فى الربيع وتارة غضباً كغضب الرياح الهوج التي يصحبها الرعد والبرق وطوراً تجهما كتجهم الخريف الحزين ، وجمالا كجمال السماء فى الليلة الصاحية !

فلا نجد فى هذا الادب الغض الريان غير هواجس نفس الخيـــام المنطلقة الثائرة تارة والمطمئنة الهـــادئة تارة اخرى وهو يمثل روحه اصدق تمثيل ، فهو الشاعر الذى ماعرف غير الطبيعة وما فيها من شؤون ، ونفسه وما فيها من الام وافراح وشجون ، فهو لم يتغزل الا بالطبيعة وما انتجته الطبيعة من حسن رائع ، وهو لم يصف الا ماكانت تشعر به نفسه الهائجة الثائرة ، وهو لم يسخر الا بما كان يعارض حريته ، وهـذا هو السر الذى جعله من الخالدين على كر السنين !

* * *

استعمل الخيام كلاماً في نظم رباعياته من النسق العالي فاختار الفاظاً تناسب المعنى والقصد ، وساق رأيه المدعم بالحجة القوية بأربعة مصاريع بقوة ومتانة وانسجام ، وعندما يريد زفاف رباعية تلك العروس الحسناء يزودها بشيء من الخيال والنقد والسخرية فترى الرباعية تهبط القلب قبل الاذن فتحدث هزات عنيفة في شعور النسامع وصدمات قوية في جوانح القارىء ثم تترك اثراً عميقا تعقبه ضحكة طويلة احيانا واحيانا اسفاً بليغاً وهو يرسل الالم والفرح والشؤم والنصيحة والحكمة منتقلا بالقارىء من رأي الى رأي صارخاً ضاحكا مداعباً مازحاً وبهذا يظهر مهارته اللغوية والفكرية بأجلى مظاهرها مكرراً نغمة واحدة ومنشداً هزجاً واحداً هو « العمر ياناس قصير فاغتنموا الفرصة بين العدمين» ولولا ضيق المجال لاسهبت الان في تحليل رباعياته ، ولكنني اورد امثلة من رباعياته تأييداً لما أدعيه .

مي خوردن وشادبودن آيين منست
فارغ بودن زكفر ودين دين منست
كفتم بعروس دهركابين توجيست
كفتادل خرم توكابين منست

عادني ان احسو المدامة واطرب، وديني أن اهجر الكفر والدين. سألت عروس الدهر –الحياة– ماهو صداقك ؟ قالت قلبك الطروب صداقي !

كويند بمن بهشت باحور خوشست
من ميكويم كه آب انكور خوشست

اين نقد بگير ودست ازان نسيه بدار

كاواز دهل شنيدن ازدور خوشست

يقولون لى الجنة طيبة بالحور، وأنا اقول عصير الكرم هو الطيب،
خذ هذا النقد ودع ذلك الدين فسماع صوت الطبل من بعيد حسن !

اين قافلهٔ عمر عجب ميگزرد

درياب دمى كه باطرب ميگزرد

ساقى غم فرداى قيامت جه‌خورى ؟

بيش آر بيالهٔ كه شب ميگزرد

تسير قافلة العمر سيراً عجيباً فاغتنم وقتاً تطرب فيه ايها الساق !
مالك مهموماً من القيامة فى غد ؟ هات الزجاجة فان الليل على وشك الفناء

كويندكه ماه روزه نزديك رسيد

من بعد بگرد باده نتوان گرديد

در آخر شعبان بخورم جندان مى

كاندر رمضان مست بيفتم تا عيد

يقولون قد اتى شهر رمضان وليس لاحد بعد ان يحوم حول المدام!
اما انا فساشرب منها فى آخر شعبان ما أبقى به سكران طوال شهر رمضان حتى يوم العيد !

هذا نموذج من ادبه الفارسى ومن العسير جداً على غير العارفين بالفارسية ان يشعروا باللذة التى يشعر العارف بها الحائط علماً بدقائقها

ونكاتها وروعتها، وما حيلتنا والترجمة عادة تذهب الكثير من جمال الاصل!

الخيام وشعراء الفرس

كلمت كثيراً من ادباء الفرس في كربلا وبغداد وطهران عن منزلة الخيام الشعرية فوجدت بعضهم يعده من شعراء الطبقة الاولى، وبعضهم يعده من الطبقة الثانية، وفريق يضن عليه بلقب شاعر، والمنصفون منهم يقولون انه من الطبقة الثانية ويقولون ان في شعراء فارس كثيرين يقدمون عليه بشعره الجيد القليل لا يجعله من المحرزين لقصب السبق فحافظ الشيرازي وسعدي الشيرازي والخاقاني والفردوسي، جلال الدين الرومي افضل منه شعراً واكثر اجادة وابرع في تصوير المعاني الجليلة وتمثل المقاصد العالية، وهم اكثر غاية بالشعر وقد اختصوا به وانقطعوا اليه مدة حياتهم وفيهم المعمرون الذين جاوزوا المئة — كسعدي الشيرازي — فالخيام يعد بينهم شاعراً وسطاً وانما كانت له هذه النباهة الذائعة بما قاله من العدد اليسير من الرباعيات وهذه لا تضعه في مراتب كبار الشعراء والرعيل الاول من البلغاء!

اما انا فاعده في الرعيل الاول من الشعراء واعتقد انه لا يقل عبقرية عن حافظ وسعدي والرومي وخاقاني والناس مختلفون في اذواقهم وقد وجدت اناساً يقدمون بن ابي ربيعة على المتنبي واناساً يفضلون الشريف الرضي على المعري والمتنبي ولكل ذوقه ورأيه

شعره العربي نزر جداً ولم نعثر له الا على ثلاث قطع ذكر واحدة منها القفطى فى كتابه اخبار العلماء باخبار الحكماء «ص ٢٤٣ — ٢٤٤» وذكر القطعتين الثانيتين الشهرزورى فى كتابه نزهة الارواح وروضة الافراح «ص٣٢ رباعيات الخيام لحسين دانش» وفى بعض ابيات شعره زحاف وفى بعضها ركة وبعضه غير واضح ومع ذلك فانه كثير من فارسى رياضى فلكى فيلسوف افنى حياته فى ممارسة الفنون والعلوم والفلسفات .

وفى شعره مسحة من روح أبي العلاء وفيها نفحة من نفحاته العلوية وفيما يأتي شعره العربي :

اذا رضيت نفسى بميسور بلغة	يحصلها بالكد كفى وساعدى
امنت تصاريف الحوادث كلها	فكن يازمانى موعدى او مواعدى
ولى فوق هام النيرين منــــازل	وفوق مناط الفرقدين مصاعدى
اليس قضى الافلاك من دورها بان	تعيد الى نحس جميع المســـاعد
فيانفس صبراً عن مقيلك انما	تخر ذراها بانقضاض القواعـــد
متى ما دنت دنياك كانت بعيـــدة	فواعجبى من ذا القريب المباعد
اذا كان محصول الحــــياة منية	فسيان حالا كل ساع وقاعـد (١)

* * *

(١) والبيت الاخير ينطبق على روح الخيام كل الانطباق وقـــد كرر هذا المعنى كثيراً فى رباعياته

تدين لى الدنيا بل السبعة العلى بل الافق الاعلى اذا جاش خاطرى (١)
اصوم عن الفحشاء جهراً وخفيه عفافاً وافطارى بتقديس فاطرى
وكم عصبة ضلت عن الحق فاهتدت بطرق الهدى من فيضى المتقاطر
فان صراطى المستقيم بصائر (٢) نصبن على وادى العمى كالقناطر

* * *

زجيت دهراً طويلا فى التماس اخ يرعى ودادى اذا ذو خلة خانا
فكم الفت وكم آخيت غير اخ وكم تبدلت بالاخوان اخوانا
وقلت للنفس لما عز مطلبها والله لا تألفى ما عشت انسانا (٣)

* * *

وله ابيات اخرى وجدنها فى ترجمة وديع البستاني لرباعياته ، غير انه لم يذكر المصدر الذى نقل عنه هذه الابيات وهذه هى :

سبقت العالمين الى المعالى بصائب فكرة وعلو همة
فلاح بحكمتى نور الهدى فى ليـــال للضلالة مدلهمة
يريد الجاحدون ليطفؤها ويأبى الله الا ان يتمه

* * *

العقل يعجب فى تصرفه ممن على الايام يتكل
فنوالها كالريح منقلب ونعيمها كالظل منتقل

---

(١) لم اجد الخيام متفاخراً بل عرفته آية فى التواضع
(٢) وفى رواية معابر
(٣) فى هذه الابيات مسحة من روح الخيام ومذهبه الشعرى

علومه

ان الذى ظهر لنا من ترجمة الخيام وسيرته انه كان متضلعاً من العلوم الشائعة فى عصره ولاسيما الرياضيات والفلك .

قال الشهرزورى « كان تلو ابي على بن سينا فى اجزاء علوم الحكمة وكان ابن بجدتها فى اجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات » وفى كامل التواريخ لابن الاثير فى ذكر حوادث ٤٢٧هـ « وفيها ايضاً عمل الرصد للسلطان ملكشاه واجتمع جماعة من اعيان المنجمين فى عمله منهم عمر بن ابراهيم الخيامى وابو المظفر الاسفزارى وميمون بن النجيب الواسطى » وقال فيه القفطى « امام خراسان وعلامة الزمان يعلم علم يونان ... وكان عديم القرين فى علم النجوم والحكمة و به يضرب المثل فى هذه الانواع لو رزق العصمة ... »

وقال القزوينى فى بحثه عن نيشابور « وينسب اليها من الحكماء عمر الخيام كان حكيما عارفاً بانواع الحكمة سيما النوع الرياضى وكان فى عهد السلطان ملكشاه السلجوقى سلم اليه مالا كثيراً ليشترى به آلات الرصد ويتخذ رصد الكواكب فمات السلطان وما تم ذلك »

وقال الابرقوهى « خيام — وهو عمر بن الخيام — « كان ذا باع طويل فى العلوم الخاصة وفى علم النجوم وله رسائل ذائعة الصيت واشعار لانظير لها ... » وقال حمدالله المستوفى القزوينى « عمر الخيام بن ابراهيم كان متضلعاً من اكثر العلوم ولا سيما علم النجوم وبرز فيه على من كان فى عصره »

* * *

من العلوم التى اقبل على تعلمها المسلمون يومئذ علم الفلك (١) وكان لابي جعفر المنصور الخليفة العباس رغبة شديدة فيه ، وهو الذى امر محمد الفزارى ان ينقل الى العربية كتاب السند هند ، وكان علماء الفلك قسماً من موظفى الدولة يرافقون الخلفاء والملوك فى اسفارهم وغزواتهم وقد ظهر فى عهد المامون العباسى محمد بن موسى الخوارزمى و بنو شاكر الثلاثة الذين قاسوا درجة خط نصف النهار (٢) .

ومن مشاهير الرجال الذين نبغوا فى هذا العلم ابو المعشر البلخى ، وحنين بن اسحق ، وثابت بن قره الحرانى ، واحمد بن كثير الفرغانى ، وسهل بن بشر ، ومحمد بن عيسى الماهانى ، ومحمد بن جابر الحرانى ونبغ فى القرن الرابع والخامس ابو الوفاء ، والبوزجاني ، والبيروني ، وفى القرن السابع ظهر امام الفلكيين نصير الدين الطوسى ، ونبغ فى عصره مؤيد العروضى ، وابنه محمد بن المؤيد والفخر المراغى ، والخلاطى ، ونجم

(١) تاريخ علم الفلك قديم جداً يرجع الى نحو الاف من السنين وقد اولعت به الامم القديمة واختلف فى موطنه الاول فاهل الصين يزعمون ان لديهم ارصاداً عملت قبل الطوفان ، وقد اشتغل به الكلدانيون منذ ٥٠٠ سنة وتقدم عندهم وقد بلغ من تولعهم بالاجرام السماوية انهم اول من قسم النهار الى ١٢ ساعة ولم يقصر المصريون واليونانيون فيه فقد كانت لليونانيين مدارس كبيرة لتدريسه يرجع عهدها الى الفلكى اليونانى « تاليس » الذى عاش فى القرن السادس للمسيح وقد انشأت فى عهد الدولة البطليموسية مراصد عظيمة فى الاسكندرية

(٢) راجع كتاب علم الفلك وتاريخه فى القرون الوسطى للسنيور نللينو

القزين القزو ينى وغيرهم من الفحول .

وقد أجمع المؤرخون على أن الخيام كان بارعاً بعلم الفلك وذكروا أن ملكشاه السلجوقى اعطى الخيام اموالا لبناء رصـــد عظيم فتوفى ملكشاه ولم يتم العمل ، واتفقوا على انه هو الذى تولى ترتيب «الزيج» لملكشاه السلجوقى رتبه بمعونة سبعة من المنجمين منهم ميمون بن نجيب الواسطى ، وابو المظفر الاسفزارى ، وعبدالرحمن الخازن (١)

قال احمد رفيق فى تاريخه العام المفصل :ـــ ان عمر الخيـام أصلح التقويم الفارسى وا كمله على عهدالسلطان ملكشاه ، السلجوقى .

وقال حميد وهبي فى كتابه (مشاهير الاسلام) :ـــ ان هذا الاصلاح وافق اليوم الثامن من رمضان تلك السنة وقد استعملت الكبيسة التى اعتمدت بها الروم ولم يلتفت اليهـــا الفرس فى ذلك الحين وهى ضم يوم واحد الى نهاية كل رابعة اربع سنين وسمى هذا الزيج

---

١ وفى كتب الفلك ان الات الرصد المستعملة فى ذلك العهد هى ١ـــاللبنة ٢ــــ الحلقة الاعتدالية ٣ـــ ذات الاوتار وهى اربع اسطوانات مربعة يعلم بها الميل ٤ـــ ذات الحلق ٥ ـــ ذات السمت والارتفاع وهى نصف حلقة قطرها سطح من اسطوانة متوازية السطوح يعلم بها السمت وارتفاعـــه ٦ـــ ذات الشعبتين وهى ثلاث مساطر على كرسى يعلم بها الارتفاع٧ـــذات الجيب ٨ـــ المشتبهة بالمناطق وهى ثلاث مساطر يعلم بها مابين الكوكبين من البعد ٩ـــ الاسطر لاب وله انواع ١٠ ـــ الارباع ولها اشكال « نقلا عن العالم الجليل السيد عبدالحليم الحافانى وهو من اجلة العلماء فى بغداد وله شغف بعلم الفلك واطلاع واسع به »

بالجلالى اوالملكى وحصل من هذا الحساب فائدة عظيمة لبيت المال لجريانه على محور ثابت .

وقال عبد الرحمن شرف فى كتابه لزبدة القصص) ان التقويم او الزيج الجلالى الذى رتبه عمر الخيام وعبد الرحمن الخازن هو اقل خطأ من التقديم الغريغورى . قال صاحب كشف الظنون فى باب (الزاى) انه وضعه عند ما سافر الى مرو فاكرمه السلطان وامره باصلاح التقويم مع جماعة ثمان فاصلحوه ، قال ابو الفداء : — انه يوافق ١٠٧٩ ميلادية ونسبه الى جلال الدين ملكشاه ودعى الزيج الجلالى .

وقال المؤرخ الانكليزى (كبن) ان الزيج الذى رتبه الخيام يتفوق على التقويم الجوليانى وعلى صحة النمط الغريغورى .

فالظاهر مما تقدم ان الخيام كان اماماً فى علم الفلك وحجة فى الرياضيات

* * *

وقد وردت عنه حوادث يستدل بها انه تعلم الطب و مارسه وتعلم الهندسة والعلوم الطبيعية والكيمياء والجبر ، والف فى هذه المواضيع رسائل جليلة ، ونستدل على درسه الطب ما ذكره الشهرزورى قال :

« ودخل على السلطان سنجر وهو صبي وقد اصابه جدرى فلما خرج سأله الوزير كيف رأيه و بأى شئ عالجته ؟ فقال عمر ، عمر الصبى مخوف فرفع خادم حبشى ذلك الى السلطان فلما برأ السلطان ابغضه وكان لا يحبه (الكتاب ص ١٣) . وكان الخيام شغوفاً بمطالعة كتب (ابن سينا) الفيلسوف الطبيب وقد صرح الخيام بانه تتلمذ له واذا صح انه

درس على ابن سينا فلا اشك فى انه اخذ الطب عنه .

والف فى الهندسة رسالة فى شرح ما اشكل من مصادرات (اقليدس) والرسالة محفوظة فى هولندة فى مكتبة (ليدن) ، والف فى الطبيعيات رسالة مختصرة وفى الكيمياء رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما والرسالة الان فى المانية فى مكتبة (غوتا) و رسالة فى الجبر والمقابلة طبع متنها العربى وترجمتها بالافرنسية المسيو (ويكه) فى باريس سنة ١٨٥١

مؤلفاته

قال صاحب نزهة الارواح — وقد ذكرناه آنفاً — « وله — اى لعمر الخيام — ضنة بالتصنيف والعلم ، وله مختصر فى الطبيعيات ، ورسالة فى الوجود ، ورسالة فى الكون والتكليف ، وكان عالماً باللغة والفقه والتواريخ » .

وقد عدد مصنفاته واضح حواشى المقالات الاربع (ص ٢٢٠ – ٢٢١) والاديب حسين دانش فى كتابه عمر الخيام (ص ٤٨ – ٤٩) والمستشرق الالماني فريدرخ روزن فى كتابه عمر الخيام (ص ٦١—٦٢)

• رسالة فى الجبر والمقابلة طبعها العالم الجليل المسيو ويكه فى باريس سنة ١٨٥١

• رسالة فى شرح ما اشكل من مصادرات كتاب (اقليدس) والرسالة محفوظة فى هولندة فى مكتبة ليدن .

• الزيج الملكشاهى ، كشف الظنون (الزاى المعجمه) .

• رسالة فى الطبيعيات ، ذكرها الشهروزى .

• رسالة فى الوجود كتبها عمر بالفارسية لفخر الملك بن مؤيد ، والنسخة محفوظة فى (بريتش ميوزيوم) وقد كتب فى صدر الكتاب (رسالة بالعجمية لعمر بن الخيام ، كذا ، الكليات الوجود .)

• رسالة فى جواب ثلاث مسائل وفى كشف الحجاب عن ضرورة التضاد فى العالم نشرها محى الدين صبرى مع عدة رسائل بعنوان (جامع البدائع) .

• رسالة فى الكون والتكليف وقد ذكرها الشهروزى وهى رسالة فلسفية كتبها جواباً على سؤال عبد الرحيم النسوى ونشرها محى الدين صبرى .

• رسالة فى الاحتيال لمعرفة مقدارى الذهب والفضة فى جسم مركب منهما محفوظة فى مكتبة (كوتا) فى المانيا .

• رسالة فى لوازم الامكنة بحث فيها عن اختلاف المواسم والفصول والاقاليم .

فلسفته

يقول بعض الباحثين ان رباعيات عمر الخيام تصور الخيام للمطالع رجلا مستهتراً ، ماجناً ، شهوانياً ، فناء فى حب ذاته وشهواته ، زائغاً عن التقاليد ، متمرداً على الاخلاق ، جاعلا هدفه الاسمى فى الحياة اجتلاب السرور والانغماس فى الملذات ، وانه لم يكن مثل سائر الفلاسفة والحكماء ممن جاهدوا فى نشر الفضائل وعملوا لتثبيت دعائم الاخلاق الرفيعة وقدموا عصارة ادمغتهم ونتائج قرائحهم فداء وقرباناً للانسانية المفعمة بالاتراح المليئة بالاوجاع الحافلة بالجور والظلم والبؤس ، وان آراءه فى الحياة غير مستندة الى أسس الخير ولا ذات فائدة للناس ، وان افكاره الفلسفية مبتنية على السلب لا الايجاب وهدم النظام الاجتماعى ، وما هو الا شاعر ليس بالفيلسوف المغرم بالفضيلة .

اجل هذا هو الواقع الذى لا شك فيه والحق الذى لا مراء فيه فان عمر الخيام لم يكلف نفسه قط فى نشر الفضيلة ولم تحدثه نفسه بتدريب الناس على البر وتشويقهم الى الخير وهديهم الى الطرق المستقيمة وانما رباعياته تمثله داعية من دعاة اللذائذ النفسانية وان غلوه واسرافه وولعه بالخمر وحثه الناس على الاقبال عليها صورته ربيب حانات ورفيق سقاة هذا هو ظاهر حاله وهذا هو السبب الذى جعل بعض العلماء ان يشبهوه « بأبيكور ولوقرەجيوس » وغيرهما من الفلاسفة الماديين الذين يقولون

ان غاية الحيــــاة ان يتطلب الانسان الامور التي تولد « اللذة » واجتناب ما يورث الالم ما دام الانسان يشعر بان أســاس حياته هو « الاحساس » !

واذ كان التفتيش عن العلة يدلنا على المعلول ومعرفة السبب تعرفنا بالمسبب وجب علينا ان نبحث في السر الذى حدا بالخيــام أن يظهر بهذا المظهر الشاذ وان نتطلب الدافع الذى دفعه الى ذلك .

ان للسرور سبباً وللالم علة ولابد لمن يشذ عن العادات والتقاليـد ويعتقد اعتقاداً خاصاً لا يلائم اعتقاد الجمهور من علل واسباب اورثته هذ الشذوذ وذلك الاعتقاد ، ولـكل حادث سبب ولـكل حركة عامل فما السبب الذي جعل الخيام ان يظهر بهذا الشكل ، يدعو الى خرق النواميس الادبية والاخلاقية ؟ أنقص في تهذيبه ؟ أم اختلال في تفكيره ؟ أم اضطراب في مزاجه العقلي ؟ ام لا هذا ولا ذاك ولا ذلك وانما هو امرؤ خليع سافل الطباع ذو مزاج شهواني دفعته نفسه المنهومة الى اللذائذ فخاض الموبقات والمنكرات والمهلكات ؟

ان الذين اصدروا على عمر الخيام هذا الحكم الصارم القاسي من هذه الناحية لم يلتفتوا الى تحقيق اشياء اخرى في الناحية الاخرى من رباعياته لقد اكثر الخيام الذم من الحيـاة وصورها ابشع صوره حتى لقد تمنى العدم وود لو انه لم يكن مخلوقاً . قال :

کر آمدنم بمن بدی نامدمی
ورنیز شدن بمن بدی کی شدمی

به زآن نبدی که اندراین دیر خراب
نه آمدمی ، نه شدمي نه بدمي

لو كان بجيئي باختياري لما جئت ولو كانت خلقتي بيدي لما رغبت ان اخلق الافضل انني لم اكن في هذا العالم ولم اجيء اليه ولم ابق فيه .

وقال :-

جون حاصل آدمی دراین جای دو در
جز درد دل ودادن جان نیست دگر
خرم دل آنکه یك نفس زنده بود
وآسوده کسیکه خود نزاد ازمادر

لم يكن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابين غير الم القلب وزهوق الروح . فالمسرور من عاش لحظة ، والمرتاح هو الذى لم يولد من امه !

وقال :

جون حاصل آدمی دراین شورستان
جز خوردن غصه نیست یاکندن جان
خردم دل آنکه از جهان بیرون شد
آسوده کسیکه خود نیامد بجهان

لما لم يكن محصول الانسان في هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب النفس فطوبى لمن خرج منها اولم يجىء اليها !

اليس عجيبا ان يذم الخيام الحياة وان يفيض بالنقمة عليها فيسميها دار الفتن والعذاب ويتمنى العدم فى هذا « الدير الخرب » وان يقول هنيئا لمن عاش لحظة فيها وطوبى لمن لم يولد من امه !

اليس غريباً ان يصب الخيام نقمته على الدنيا ثم يناقض نفسه بدعوة الناس الى الملذات والمسرات واغتنام الفرص فى الحيـــاة والاخذ باللهو والمرح من غير اهتمام بالتقاليد والتفات الى ماهو حرام او حلال اخلاقا او عرفا فما سبب هذا التناقض ؟ ماسبب هذه الابتسامة الحلوة وهـــذا الوجه العبوس ؟ ماعلة هذا الادعاء وما سبب هذا الزعم ؟

***

ماكان الخيام ناقص التهذيب فقد عرفنا سيرته ومكانته العلمية ، وما كان مختل التفكير فان علمه وادبه ومؤلفاته دلتنا على تفكيره الراقى وما كان مضطرب العقل والمزاج فقد عرفنا المؤرخون برجاحة عقله ورزانته وانه كان اية فى العقل والذكاء والفطنة وما كان خليعاً سافل الطبع اذ لايكون الخليع السافل جليس الملوك ونديم الامراء وقد عاش حصوراً عزباً لم يتزوج ولم يذكر احد بانه كان مدمناً للخمرة سكيراً مع كثرة تغزله بها وانما الخيام قد دعى الناس الى اللـذة وحثهم على طلب السرور مدفوعا بعقيدة فلسفية هى وليدة تفكيره وشعوره ومذهبه الفلسفى فان للرجل تفكيرا خاصاً ومسلكا معلوما فى الحياة فلم يكن الخيام عدو النـــاس ولا صديقهم ولم يطلب لهم لاخيراً ولا شراً وقد كان مشغولا بنفسه وروحه الملتهبة المضطربة وقد جاشت فى صدره نفثات هى حقائق ناصعة ومقاصد

عالية ومعاني جليلة البسنها قريحته الوقادة قوالب شعرية جميـــلة ابرزها بصدق واخلاص ونية حسنة.

اذا فلم يكن عمر الخيام شاعراً مستهترا ،ماجناً، شهوانياً، مادياً ،كما ادعى ذلك « فرناندهاترى و فتزجرالد » وغيرهما وانما كان حكيما مفكراً له عقيـدة خاصة تعبر عن مزاجه ومذهبه ورأيه الفلسفي وان لوجود هذه العقيدة الفلسفية وكيفية تكوينها ونضوجها اسبابا سابينها فى بحثى عن عقيدته الفلسفية . ومع ذلك فاني اثبت هنا الان ثلاث رباعيات جوابا على الذين يوصمونه بالاستهتار والسفه ليتبينوا السبب الذى من اجله يدعو الخيام الى معاقرة الخمرة وطلب اللذة : قال:

روزى كه دو مهلتست ميخورمي ناب
كاين عمر دو روزه برنكردد در يـاب!
دانى كه جهـــان روبخرابى دارد
تونيز شب ور وزهمى بـاش خراب!

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فان هذا العمر الذى هو عبارة عن يومين لايعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان مصير الكون آيل الى الخراب فكن انت ايضا خراباً ليلا ونهاراً . وقال :

عمرت تاكي بخود پرستى كذرد؟
يـــادرپى نيستى وهستى كذرد؟
مي نوش كه عمرى كه اجل درپي اوست
آن به كه بخراب يابمستى كذرد

حتى يمر عمرك فى عبادة نفسك او فى الافتكار فى الوجود والعدم، اشرب المدامة فان العمر الذى وراءه المنية يحسن ان ينقضى فى النوم، او السكر وقال :

ای انکه نتیجهٔ جهار وهفتی
در هفت وجـــهار دائم اندرتفتی
مي خورکه هزار بار بيشت کفتم
باز آمدنت نيست جور فتی رفتی

يامن هو نتيجة اربعة عناصر وسبع سموات الى متى انت تتألم بالتفكر فيها اشرب الخمرة فقد قلت لك الف مرة مالك من اوبـــة فاذا ذهبت ذهبت اى — ذهابك ذهاباً ابدياً —

اظن الان قد بان السبب الذى من اجله كان يدعوا الخيام الى الخمر بان عريان صريحاً كالشمس وسوف احلل هذا السبب ا لخ من ذلك فيما بعـد والان ابحث فى مصادر فلسفته

مصادر فلسفته

نشأ عمر الخيام فى القرن الخامس الهجرى وكـتب الفلسفة اليونانية شائعة ومؤلفات ارسطاطاليس ، وافلاطون ، واقليدس ، و بطلتيموس ، وجالينوس ، وفيثاغور وزه نون وايبكور فى الفلسفة الطبيعية والالهية والرياضية وما يتفرع من ذلك من المنطق والطب والهندسة والاخلاق والسياسة والهيئة منتشرة بين الناس والجدل محتدم حول اراء السوفسطائيين

والكلبيين والمشائين والرواقين وغيرهم من المذاهب الفلسفية هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الخيام قد وجد فى عهد نضج فيه علم الكلام واشتد النزاع العلمى بين الاشاعرة والحنابلة والمعتزلة والجبرية وشاعت آراء الباطنية وكثر الاقبال على التأليف فى مختلف العلوم والفنون واحتشدت المدارس بطلاب العلم وظهرت رسائل اخوان الصفا الجمعية السرية وتعددت الفرق والطوائف وتعصبت كل فرقة لمذهبها وكثر الاطباء والفلاسفة فالف ابن القفطى وابن ابى اصيبعة كتباً فى تراجمهم ووضع الشهرستانى كتاب الملل والنحل واحصى فيه عـــدد الفرق مبينا حججهم وادلتهم العلمية وظهر ابو نصر الفارابى وابو على بن سينـا واشتد النزاع بين الدين والفلسفة فوضع الامام الغزالى حجة الاسلام كتبا فى الرد على الفلسفة وعظم امر التصوف وكثر القائلون بالحلول ووحدة الوجود وتفرد عدد عظيم من المفكرين بارائهم الحـــرة التى لا تلائم ذوق الجمهور فاتهموا بالزندقة وكان نصيبهم السيف والنطع وصفوة القول فان حظ الخيام اوجده فى عصر زاهر عظيم من الوجهة العلمية !

وقد دلت مؤلفات الخيام فى العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية على اقباله واهتمامه ودرسه الفلسفة والعلوم اليونانية درساً متقناً واعتقـد بان الخيام قد استقى علومه واراءه الفلسفية من المصادر الاتية :

الفلسفة اليونانية

قلنا فيما تقدم ان المسلمين قـد اقبلوا على درس العلوم والمذاهب

الفلسفية اليونانية اقبالا عظيما وان رسائل اخوان الصفا اسطع دليل على على رغبتهم فيها وكان الجدل حامي الوطيس حول آراء الفلاسفة اليونانيين وكان الخيام ممن شغف بها فدرسها وتولع بها وقد اخبرنا القفطي عن ذلك بقوله «يعلم علم يونان...» وهذا لرواية تدلنا على اضطلاعه منها واتقانه اياها . وقد اشار القفطي بان له اراء خاصة بها بقوله «ويأمر بالتزام السياسة المدنية حسب القواعد اليونانية» وماالقواعد اليونانية الانظريات الفلاسفة اليونانيين وارائهم في الكون والحياة والاجتماع والاخلاق الى غـــير ذلك ولكن عدم رغبة الخيام في التاليف وضنه بالتصنيف حال ويالاسف دون اطلاعنا على افكاره ونظره فيما درسه واتقنه وعلى كل حال فان عمر الخيام قد تاثر مزاجه بالفلسفة اليونانية خصوصاً بفلسفة (ابيكور) ورأيه في « اللذة » كما نطقت بذلك رباعياته .

رسائل اخوان الصفا

اخوان الصفا جماعة من الفضلاء اجتمعوا في منتصف القرن الرابع في البصرة على مايروى والفوا جمعية علمية سرية ووضعوا رسائل عظيمة الشان وهي احدى وخمسون رسالة احتوت خلاصة العلوم الشائعة في عصرهم وكان غرضهم من ذلك كما زعموا غرضاً نزيهاً وهو انقاذ الشريعة من الاوهام والاباطيل والضلالات اذكانوا يرون« ان الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ولا سبيل الى غســـلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية » وذكروا

فى اول هذه الرسائل « ان الحكما. والفلاسفة الذين كانوا قبل الاسلام تكلموا فى علم النفس ولكنهم لما طولوا الخطب فيها ، ونقلها من لغة الى لغة من لم يكن قد فهم معانيها ، حرفها و غيرها، حتى انغلق على الناظر فيها فهم معانيها ونحن قد أخذنا لب معانيها و أقصى اغراضهم فيهـا وأوردناها بأوجز ما يمكن من الالفاظ في احدى وخمسين رسالة » والحق ان هذه الرسائل تعبر عن فضل منشئها وتوغلهم بالعلوم المعروفة فى عهدهم وقد ذكر لنا القفطى حديث ابي حيان التوحيدى المتوفى نحو سنه ٣٨٩ هـ عن اخوان الصفا وامتداحه اياهم حتى ظن — وقد يكون ذلك — انه هو احدهم لقوله « ان الشريعة لم تكن كاملة بل فيها غلطات وجب اصلاحها بواسطة الفلسفة » وقد اضرت رسائل اخوان الصفا بقدر ما نفعت .

و يعتقد شيخنا الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ان اخوان الصفا جماعة من الباطنية المعتدلة كما يعتقد ان كلا من ابي العلاء المعرى وعمر الخيام كان باطنياً .

واجزم بان عمر الخيام قد امعن النظر فى رسائل اخوان الصفا امعاناً دقيقاً، لان لهجته و تقريره فى رسالته كشف الحجاب عن ضرورة التضاد فى العالم وجوابه عن ما اورده اصحاب مذهب الجبر ورأيه فى رسالته الكون والتكليف تكاد تكون عين لهجة اخوان الصفا فى رسائلهم بل يكاد يصعب التفريق بين رسائله المتقدم ذكرها وبين رسائل اخوان الصفا لتقارب الفكر واللهجة والتقرير و بسط الحجة ولولا ضيق المجال لقارنت بين رسائله و رسائل

اخوان الصفا مستخرجاً ما اخذه الخيام منها .

ابن سينا

صرح الخيام مرة انه تتلمذ لابى على بن سينا بقوله « ولعلى ومعلمى افضل المتأخرين الشيخ الرئيس ابو على بن سينا . . . . » ص ٩٦ الكتاب » وسواء صح هذا الخبر او لم يصح فان عمر الخيام قد تهافت على مؤلفات ابن سينا القيمة وقتلها درساً وامعاناً واحاط بجميع آرائه وافكاره فى الفلسفة وعلم الكلام والمنطق خصوصاً كتبه الشهيرة (كالقانون، والشفاء والنجاة) وكتابه الثانى خاص بالفلسفة .

وقد روى لنا البيهقى نقلا عن ختن الخيام الامام محمد البغدادى عند ما قص عليه خبر وفاته انه كان يتأمل فى كتاب (الشفاء) » ص ٩ الكتاب » وقد ايد هذه الرواية الشهرزورى بقوله وكان يتأمل الالهيات من (الشفاء) « ص ١٣ الكتاب »

ولابن سينا شعر جميل بالفارسية والعربية يدل على قوة بيانه بهما وقد عثرت له على رباعية بالفارسية يرد بهـا على الذين كانوا يطعنون فى عقيدته منزهاً نفسه عما كانوا يلصقونه به .

قال : كفر چومنى گزاف وآسان نشود
محكمتر أز ايمان من ايمان نشود
در دهر چومن يكى وآن هم كافر
بس درهمه دهر يك مسلمان نبود

. ليس من الجزاف والسهل جحودى وكفرى اذ لا يوجد ايمان احكم

واقوى من ايمانى فى الدنيا نظيرى واحد وذلك كافر ايضاً ؟ اذاً فلا مسلم فى هذه الدنيا .

وقد اشتهرت قصيدته العينية بالعربية اشتهاراً عظيما وفيها من المعانى الجليلة والمقاصد العالية والآراء الحكمية ما تستحق لاجله الخلود .

هبطت اليك من المحل الارفع
ورقاء ذات تعزز وتمنـــع
محجوبة عن كل مقـــلة عارف
وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات تفجع

الباطنية

ذكر صاحب كتاب « روضة الصفا » الشيخ مير خنده بان عمر الخيام قد تتلمذ فى عنفوان شبابه مع نظام الملك الوزير والحسن بن الصباح فى نيسابور فى مدرسة الموفق النيسابورى وذكرنا الاسباب التى جعلت بعض الباحثين ان يحجموا عن قبول هذه الرواية وقد ناقشناها فى كتابنا ص ٢٥ وقلنا باننا قد وقفنا ازاء هذه الرواية وقفة المتردد الذى يشك تارة ويجزم أخرى لكننا لم نشك قط فى ان عمر الخيام قد عاصر الحسن بن الصباح لان الحسن قد توفى سنة ٥١٨ هـ ولان الخيام قد توفى بين سنة ٥١٧ هـ

و ٥٣٠هـ وبناء على ذلك فليس هناك من ريب فى ان الخيام كان معاصراً للحسن .

* * *

بيد ان هناك مشكلة لم يحلها احد بعد وهى ما اذا كان قد اجتمع ابن الصباح بعمر الخيام بعد ايابه من مصر وانخراطه فى سلك المحفل السرى واخذه المبادئ الاسماعيلية ام لا ؟

اننا لم نهتد الى الان الى حل هذه المشكلة ولم نعثر على نص او وثيقة تأريخية تؤيد لنا وقوع اجتماعهما بعد رجوع الحسن من مصر وليس المهم فى نظرنا اجتماعهما اثناء دراستهما وانما المهم هو الاجتماع الاخير . لان التطور الفكرى الذى حصل مع الحسن الصباح كان بعد ايابه من مصر .

وفى اليوم الذى تنحل فيه هذه المعضلة الدقيقة ، يرتفع الستار الذى كان يحول بين الباحثين وبين عقيدة الخيام وينتهى تباهل آراء العلماء فى عقيدته فلا يبقى أقل شك فى كونه كان باطنياً محضاً .

* * *

اما الان وليس عندى اية حجة تؤيد وقوع اجتماعهما فانى اجزم بصورة قطعية بان الخيام قد تأثر بالعقائد الباطنية تأثراً قوياً وتكاد رباعياته تسوقنى الى الاعتقاد بانه كان من اعظم المبشرين بتلك المبادئ الهدامة ومن اشد المناصرين لها ولعله كان من دعاتهم على انى لا أريد ان انهم الخيام دون ان آتى بالبرهان ولا احب ان ادعى بهذا الادعاء الذى انفردت به وحدى دون غيرى من غير تدليل يؤيده واليك برهانى على ما ادعيه :

لقد تضمنت الرسالة التي بعث بها الداعية الباطني عبيد الله بن الحسن القيرواني الى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي اشياء كثيرة كان اهمها:

(١) اباحة شرب الخمر وجميع الملذات

(٢) انكار النبوات والمعجزات والوحي

(٣) القول بقدم العالم

(٤) ابطال القول في المعاد والنشر من القبور

(٥) كون الجنة نعيم الدنيا

(٦) ووصايا اخرى وكلها ترمي الى هدم الشرائع وتثبيت دعائم الالحاد «الكتاب ٤٩ — ٥٠»

هذه هي المبادئ التي كانت تسير عليها الباطنية ومن يدقق النظر في رباعيات الخيام يجد انها تتضمن جميع هذه المبادئ الا ماكان من امر انكار النبوات والمعجزات والوحي والظاهر ان الخيـــام كان يتجنب مهاجمتها خوفا على حياته وابتعاداً من تعريض نفسه للمخاطر اما اجتراؤه على اباحة شرب الخمر وجميع الملذات والقول بقدم العالم من طرف خفي وابطال القول في المعاد والنشر وانكار الجنة والنار فلانه يحتمل التأويل على الطريقة الصوفية خصوصا التغزل بالخمرة فانه مباح لاضير فيه عنـد ارباب هـذا المذهب اذ كانوا يريدون به «خمرة الحب الالهي» و «لذة السكر المقدس» وفعلا قد اول الصوفية رباعيات الخيام وقلبوا هذه المعاني الى معاني عرفانية — كما اصطلحوا — على ذلك وقد اخبرنا القفطي بما وقع اذ قال «وقد وقف متأخرو الصوفية على شـــيء من ظواهر شعره

فنقلوها الى طريقتهم وتحاضروا بها فى مجالسهم وخلواتهم . . .»

على ان القفطى قد ادرك بذكائه ظاهر معانيه وما كان ينزع اليه الخيام فلم يتردد فى الرد عليها بقوله « وبواطنها حيات للشريعة لواسع ، ومجامع للاغلال جوامع» — الكتاب ١٤ — وفيما يلى اورد بعض رباعياته المتضمنة لبعض المبادىء الباطنية التى استطاع الخيام ان يبثها غير هياب ولا وجل قال :

يك جام شـــراب صد دل ودين ارزد
يك جرعه مى مملكت جـــين ارزد
جز باده ناب نيست در روى زمـــين
تلخى كه هزار بار شـــيرين ارزد

ان كاسا من الخمرة تعدل الف قلب ودين وان جرعة منها تســـاوى مملكة الصين ليس على وجه الارض غير الخمرة الصافية وهى المرة التى تفضل الحلو الف مرة

وقال :

تا زهره ومه در آسمـــان كشت پديد
بهـــتر زمى ناب كسى هيج نديد
من در عجبم زمى فروشان كايشان
به زانجه فروشـــند جه خواهند خريد

منذ ظهرت الزهرة والقمر فى السماء مارأى احـد احسن من الخمرة الصافية ياعجبى من بائعى الخمر اى شىء سيشترون احسن مما يبيعون؟

وقال :

ای دل تو باسرار معمی نرسی
در نکتهٔ زیرکان دانا نرسی
اینجا بمی وجام بهشتی میساز
کانجاکه بهشت است رسی یانرسی

ایها القلب انت لاتصل الی الاسرار المعماة ولا تفقه نكات الالباء الفاهمين اجعل لنفسك فی هذه الدنيا جنة من الخمر والكاس فانك لاتعلم اتنالها فی تلك ام لا ؟

وقال :

جامی ومی وساقی برلب کشت
بهتر زبهشتی که خبر بودشت رشت
مشنو سخن بهشت ودوزخ از کس
که رفته بدوزخ وکه آمد زبهشت

كأس وخمرة وساق فی جنب روضة خير من الجنة التی وعدتها لا تسمعن من احد حديث الجنة والنار ! من ذا ذهب الی الجحيم ومن ذا جاء من الجنة ؟

وقال :

ما لعبتکا نیم وفلك لعبتباز
از روی حقیقتی نه از روی مجاز
بازیچه کنان بدیم بر نطع وجود

رفتیم بصندوق عدم یك یك باز

نحن الاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقى غير مجازى لقد لعبنا مدة فى ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد ·

* * *

وقال :

در دائرهٔ کامدن ورفتن ماست

آنرانه بدایت نه نهـــایت بیداست

کس می نزند دمی درین عالم راست

کاین آمدن از کجا ورفتن بکجاست

لا بداءة ولا نهاية للدائرة التى جئنا منها ونذهب اليها لا أحد يستطيع ان يقول من أين هذا المجئ والى أين هذا الذهاب .

* * *

أرأيت كيف يحض الخيام على الخمر والملذات وينكر الجنة والنار والمعاد و يصرح بقدم العالم بقوله « لابداءة ولا نهاية » لهذا العالم وانما المصير الى العدم ؟ الا ترى معى ان فى هذه الرباعيات مسحة من العقائد الباطنية ؟ والان الا تعتقد معى بان الخيام متأثر بهذه المبادئ على الاقل ؟!

موضوع فلسفته

درس الخيام مواضيع كثيرة وبحث فى مو اضيع شتى وقــــد تناول بفلسفته ماتناول غيره من المفكرين فتطرق فى بحثه عن الحياة وما فيها وخاض المواضيع الطبيعية والرياضية والالهية والعمليــة وتكلم عن المادة والزمن والفلك والاله والجبر والتناسخ والبعث والدنيا والعدم ومصير الجسم بعدالموت .

المادة والزمان

رأى الخيام فى المادة والزمان كرأى سائر الفلاسفة الذين كانــــوا يقولون فى قدم المادة والزمان وقد اكثر القول غير مرة بأن لاابتداء ولا نهاية لهذه الدنيا التى جئنا منها ونذهب اليها و رأيه هذا صريح فى قدم المادة وخلودها وهو يذهب الى ان الاجسام متألفة من مادة واحدة واشكال وصور تختلف عليها والقائل بقدم المادة قائل بقدم الزمان ايضا .

قال : آنها كه كهن شدند وآنها كه نونــــد
هريك پس ازآمدن يكا يك بروند
اين كهنه جهان به كس نماندجاو يـد
رفتند وروند وديگر آينـد ور ونـد

اولئك الذين هرموا والذين لايزالون احداثا سيذهب كل منهم فرداً فردا بعد مجيئه . لايخلد فى هذه الدنيا القديمة احدذهبوا و يذهبون ويأتي غيرهم ويذهبون

وقال

این کهنه سراکه عالم او رانام است
وآرامکه ابلق صبح وشام است
بزیست که وامانده صد جمشید ست
قصریست که تکیه کاه صد بهرام است

هذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقر الصباح الوضاء والليل الدامس مجلس فتح بابه لمئة جمشيدوقصرا تكأ على الارائك فيه مائة بهرام

ا و ر د

كان بعض علماء المسلمين يكفرون القائل بقدم العالم ويوصمونه بالعقيدة الدهرية وكانوا يستدلون على واجب الوجود بالاستدلال على كون العالم حادثاً غير قديم لان الشريعة الاسلامية جاءت بعقيدة التنزيه وتقوم هذه العقيدة على ان الله ازلى ليس له ابتداء وانه اوجد العالم من العدم فهو لذلك — اى العالم — حادث اما القول فى قدم المادة —اى قدم العالم — لا يناقض وجود الله لان الله واجب بذاته ولان لهذه الموجودات علة وهى ملازمة له كما يلازم المعلول علته وحيث قد ثبت بان الاشياء صدرت عنه صدور المعلول عن علته وجب القول بقدم الاشياء ولما كان واجب الوجود ازلياً بالعلة فالاشياء ازلية بالمعلول وقد سلك الخيام طريق الفلاسفة اليونانيين فى الفلسفة الالهية وهو معتقد بأن الله هو الخير المحض الذى لا يصدر منه الشر وقد نفى وقوع العذاب والعقاب مدفوعا بعقيدة الجبريين لذلك قال :

قال : كفتى كه ترا عذاب خواهم فرمود
هركز من از ين خبر هر اسم نفزود
جاى كه توئى عذاب نبود آنجا
وانجا كه تو نيستى كجا خواهدبود

تفضلت قائلا : انى سوف أعذبك وانا لم اخش قط هذا الخبر فان المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذى انت لست فيه .

قال : من بنده عاصيم رضاى توكجاست
تاريك دلم نور وصفاى توكجاست
ماراتوبهشت اكر بطاعت بخشى
اين بيع بود لطف وعطاى توكجاست

انا العبد العاصى فاين رضاؤك انا المظلم قلبه فاين نورك وصفاؤك ان كنت تهبنا الفردوس لطاعتنا لك فذاك بيع فاين فضلك وعطاؤك

قال : نا كرده كنه درجهان كيست بكو
وانكس كه كنه نكرد جون زيست بكو
من بدكنم وتو بد مكافات دهى
بس فرق ميان من وتو جيست بكو

قل لى من هو الذى لم يرتكب ذنباً فى الحياة ومن ذا استطاع ان يعيش من غير ذنب ياتيه اذا كنت تجزينى السيئة بالسيئة فما هو الفرق بينى وبينك .

قال : يارب خردم درخور اثبـات تونيست
واندیشـه من بجز مناجات تونيست
من ذات ترا بواجـبى کى دانم
داننـده ذات تو بجز ذات تونيسـت

ليس لعقلى من السعة لاثباتك . انا لاافـكر الا فى مناجاتك انا لا اعرف ذاتك كما هى ولا يعرف ذاتك الا ذاتك .

قال : کر کو هر طاعتت نسفتم هر کز
کرد کنه از چهره نرفتم هر کز
نو میـد نيم زبـارکاه کر مت
زيرا که يـکيرا دونکفتم هر کز

ولو انى لم اثقب جوهر طاعتك ولم انفض غبار الاثم عن وجهى لست قانطاً من باب كرمك لاننى لم اقل قط عوض الواحد اثنين

* * *

فالظاهر من الرباعيات التى ادرجناها ان الخيـام كان معتقداً مؤمناً بوجود الله رحيم غفور لطيف غير منتقم ولا حقود ولا حانق.

ورب معترض يقول : اننـا عرفنا الخيام جاحداً للبعث والنشر منكراً وجود حياة اخرى وقد نطقت بذلك رباعياته فكيف نوفق بين اعتقاده بالله وبين انكاره البعث والنشر وغير ذلك مما صرحت به الشرائع السماوية فالجواب على ذلك هو :قد ينكر الانسان الشرائع والنبوات والوحى ولا ينكر وجود الاله. والعقل مهتد بذاته الى الاعتراف بواجب الوجود .

الجبر

صرح الخيام فى رباعياته بعقيدته فى الجبر مؤمناً بسيطرته وسلطانه على الكون وما فى الكون من افراد وجماعات وقال غير مرة بانه دخل هذه الدنيا مضطراً كارهاً وخرج منها مرغماً كارهاً ولو استشير ماارادولو خير ما اختار فهو لذلك لا يطمئن الى الاختيار وبناء عليه فهو جبرى بحت

* * *

ومذهب الجبر قديم جداً وقد اثبتته الشرائع كما فرغت الفلسفةمن اثباته والقرآن طافح بالايات التى نصت على عقيدة الجبر (ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين) (انك لاتهدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء) (وما تشاؤون الا ان يشاء الله) (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي)

* * *

والجبرية فرقة ينفون الفعل والقدرة على الفعل عند العبد ويثبتون القدر ويقولون ان الله تعالى يخلق الفعل ويخلق فى الانسان مقدرة متعلقة فى ذلك الفعل ولا تأثير لتلك المقدرة على الفعل ومنهم من يثبت للعبد قدرة ذات اثر فى الفعل ويقولون ان الله مالك فى خلقه يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل فلو ادخل الخلائق اجمعين الجنة لم يكن حيفا ولو ادخلهم النار لم يكن جوراً بل هو فى كل ذلك عادل لان العدل على رأيهم هو التصرف فيما يملكه المتصرف .

واول من صرح بهذا الرأى هو جهم بن صفوان (١) وهو من الجبرية الخالصة . قلنا ان الفلسفة قد فرغت من اثبات الجبر وذلك لان الاختيار (٢) اما ان يكون متصلا بما قبله وما بعده اتصال العلة بمعلولها والنتيجة بمقدمتها اولا ، فان تكن الاولى فهو الجبر . اولا يمكن ان يتخلف المعلول عن علته . ولا ان تحول النتيجة عن مقدمتها واذاً فادعاء الاختيار ليس الاغروراً ، وان تكن الثانية فقد بطلت القضية التى قدمناها ، واصبح العالم ملعباً تختلف فيه المصادفات وهو ما لا شك فى بطلانه . اذاً فليس عن الجبر ، محيد ، ولا عن الاضطرار مزحل . ومن مصادر الجبر الايمان بشمول القدرة والعلم الالهيين فان شمول القدرة يقتضى ان لا يكون فى هذا العالم شئ الا اذا تعلقت به قدرة الله . فاذا فعل الانسان شيئا فاما ان يكون مختاراً فيه ، او غير مختار فان يكن مختاراً فهذا الفعل واجب . وان لم تتعلق به قدرة الله وهو باطل لانه يهدم اصل القدرة ، وان يكن غير مختار فهو الجبر الذى لا شك فيه ، اذاً فالدين والفلسفة يتظاهران اثبات الجبر واقامة الادلة عليه .

واليك بعض رباعياته التى تضمنت عقيدة الجبر

قال : من مى خورم وهركه جو من اهل بود
مى خوردن او نزد خرد سهل بود

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ص ٦٠ طبع ليبسيك

(٢) هذا رأى العلامة الكبير الدكتور طه حسين « ذكرى ابى العلاء » ص ٣٥٢ »

می خوردن من حق زازل میدانست
کرمی نخورم علم خدا جهل بود

انا اشرب الخمرة ويشربها كل من هو اهل لها مثلى فان شربه لها ليس بصعب فى نظر العقل لأن الله كان يعلم منذ الازل بانى ساشربها فانا ان لم اشربها فعلمه اذاً يكون جهلا — خطأ —

قال: برر همکذرم هزار جا دام نهی
کوئی که بکیرمت اکر کام نهی
یك ذره زحکم توجهان خالی نیست
حکم توکنی وعاصیم نام نهی؟

تضع الاشراك فى الف مكان فى سبيلى وتقول اذا وقعت فيها فانى مبيدك لا تخلو ذرة فى العالم من سلطانك انت تقدر على الحكم وانت تنعتنى بالعاصى ؟.

قال: از آب وگلم سر شته من جه کنم
وین پشم مرا تو رشته من جه کنم
هرنیك وبدی که ازمن آید بوجود
تو بر سر من نوشته من جه کنم

ماذا افعل يا الهى وانت الذى جبلتنى من ماء وطين وانت الذى غزلت صوفي انت كتبت على كل ما يصدر منى من خير وشر فى هذا الوجود فماذا افعل ؟

يزدان جو گل وجود ما ی آراست
دانست ز فعل ماجه بر خواهدخواست
بی حکمش نیست هر گناهی که مراست
بس سوختن قیامت از بهر جه خواست

لما كون الله وجودنا من الطين كان يعلم بالافعال التى ستصدر منا ليس خارجا من حكمه كل ذنب نقترفه اذاً فلماذا يصلينا فى السعير يوم القيامة ؟

قال : آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم از جهان جيزى نفزود
رفتيم بالراه وندانيم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بي على الرغم منى الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة ذهبنا مكرهين ولم نعلم الغرض من مجيئنا وبقائنا وذهابنا

***

وقد عثرت على تصريح صريح لعمر الخيام فى الجبر بصورة لايحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل فى عصره عن ثلاث مسائل كان احداها : (١) اى الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق : الجبرية القائلون بنفى الاخبار عن الممكن ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله ؟

وقد اجاب الخيام بكلام طويل حلل فيه الاسئلة الثلاث تحليلا علمياً فلسفياً دقيقاً وكان جوابه عن الجبر عرياناً صريحاً فقد قال :ـ

---

(١) جامع البدائع ص ١٧٥ـ ١٨٠

ولعل الجبرى اقرب الى الحق فى بادى النظر وظاهر الحال من غير ان يتلجلج فى هـذيانه ويتغافل فى خرافاته فانه حينئذ يبعد عن الحق.

وتصريحه هذا كاف للتدليل على انه كان جبرياً معتدلا.

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية وظهر فى صدر الاسلام وكانت بعض الفرق من الغلاة تدين به كاصحاب عبد الله بن سبا الذى قال بالوهية على عليه السلام ومثل هؤلاء اصحاب ابى كامل الذى كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ منتقلا من شخص الى شخص وذلك النور يكون فى شخص نبوة وفى شخص امامة وربما تناسخت الامامة وصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت.

ومذهبهم هو ان الله قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر. وفى كتب الملل والنحل تفاصيل كثيرة عن سخافاتهم وترهاتهم.

وقد عثر المستشرق البروفسور «زوكوفسكى» فى تاريخ الالفى لمؤلفه «احمد بن نصر الله تتوى» على رواية استدل بها على رسوخ عقيـــدة التناسخ فى نفس عمر الخيام.

وتتلخص الرواية فى انه كانت فى نيشابور مدرســـة قديمة وكانت المدرسة فى حاجة الى ترميم واصلاح وكان سرب من الحمير يحمل الآجر الى المدرسة وبينما كان الحكيم عمر الخيام يتمشى فى فناء المدرسة مع

جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف فى باب المدرسة محجماً عن الدخول ولما رأى الخيام ذلك ابتسم ثم تقرب من الحمار وقرأ فى اذنه هـــذه الرباعية :ـــ

ای رفته وباز آمده بل هم کشته
نامت زميان نامها کم کشته
ناخن همه جمع آمده وسم کشته
ريش از پس کون در آمده دم کشته

اى : ـــ يا ايها الذى ذهب وعاد مرة اخرى وصار كالأنعام قـد ضاع اسمك بين الاسماء وقـــد اجتمعت اظافيرك وصارت ضلفاً وظهرت لحيتك فى عجزك وصارت ذيلا .

و بعد تلاوة هذه الرباعية دخل الحمار المدرسة ، فسألوا من الحكيم السبب قال ان الروح التى تعلقت بجسم هذا الحمار كانت روح استاذ فى هذه المدرسة لهذا لم يشأ الحمار الدخول ولما علم ان الاصدقاء قد عرفوه دخل . انتهى .

هذه هى الرواية التى وردت فى تاريخ الالفى وقد عثر عليها المستشرق البروفسور ، زوكوفسكى ، وهى ولا شك من الروايات المختلقة التى لا ظل لها من الصحة ابداً ومكذبة من وجوه اولا : لم يذكر لنا احد بان الخيام كان استاذاً فى مدرسة نيسابور . ثانياً : الخيام انكر الحشر وقال بالقدم ومن كانت هذه عقيدته لا يقول بالتناسخ . ثالثاً : اذا صحت هذه الرواية فلا اشك فى ان خياماً اراد بذلك المزاح والسخرية ومفاكهة

تلاميذه وعلى كل فان الخيام برئ من هذه التهمة وعقله الراجح ارفع من ان يؤمن بفكرة الاقوام المنحطة .

البعث

لا يرتاب ارباب الديانات فى البعث بعد الموت والقران نزل حاملا عقيدة حشر الاجسام وقد جاء فيه ذكر يوم القيمة مشفوعاً بالوعيد والوعيد والمسلمون مختلفون فى كيفية وقوع الحشر فقسم يقول بحشر الاجسام وبعض يدعى ببعث الارواح دون الاجسام اما ارباب المذهب المادى فانهم ينكرونه بتاتاً والفلسفة الافلاطونية تنكر حشر الاجسام وبعث الارواح لكنها تنزع الى القول بخلود الروح وانتقالها بعد الموت الى عالم عقلى ، والقدماء من المصريين اعتقدوا بخلود الروح ورجوعها الى الجسد فى الدنيا ولهذا السبب عنوا بالتحنيط لوقاية الاجسام من البلى .

وكان الخيام منكراً للبعث وقد فهمنا ذلك عند بحثنا فى مصادر فلسفته اذ قد برهنا على انه كان متأثراً بالعقائد الباطنية وقد صرح فى كثير من رباعياته بان فكرة البعث والمعاد وهم وخيال لا حقيقة لها والذى يخاطب الناس بقوله : « انت لست ذهباً حتى اذا دفنوك اخرجوك وانت ذهب ايضاً » هو جاحد لعقيدة الحشر والمعاد .

الروح

من المشاكل العظيمة التى لم يهتد الى حلها الناس قديماً وحديثاً

مشكلة الروح والجدل حول الروح قديم جداً وقد كثرت فيه الاقوال والمعتقدات وذهب كل فريق فيه مذهباً خاصاً وكان قد بحث اولا فى ماهيته وهل هو متحيز او حال فى التحيز ام موجود غير متحيز ولا حال فيه ؟ ثانياً أقديم هو أم حادث ؟ ثالثاً أيبقى بعد فناء الاجسام أم يفني ؟ رابعاً ما حقيقة سعادة الارواح وشقاؤها فقيل انه جزؤ لا يتجزأ من اجزاء هوائية فى القلب وقيل هو الدماغ وهو جزؤ لا يتجزأ من الدماغ وقيل قوة فى الدماغ مبدأ للحس والحركة وقيل هو الدم المعتدل اذ بكثرته تقوى الحياة وبفنائه تنعدم .

والامام الغزالى يقول : الروح ليس بجسم يحل البدن حلول الماء فى اناء ولا هو عرض يحل القلب والدماغ حلول العلم فى العالم بل هو جوهر لانه يعرف نفسه وخالقه و يدرك المعقولات وهو باتفاق العقلاء جزء لا يتجزأ وشيء لا ينقسم . والشرائع السماوية لم تعرفه والقرآن لم يبين حقيقته ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا .

وقد ذكر عمر الخيام الروح غير مرة فى رباعياته الامر الذى كان يدل على انه كان يعتقد بوجود الروح لكن الشيء الذى لم نفهمه هو انه هل كان معتقداً بخلود الروح اعتقاد الافلاطيين ام لا : قال

دریاب که ازروح جدا خواهی شد

در پردهٔ اسرار فنا خواهی شد

من نوش ، ندای زکجا آمده‌ٔ

خوش باش ! ندانی بکجا خواهی شد

افق ! انك ستفترق عن روحك وستفنى وراء ستار الاسرار اشرب الخمرة ! انك لاتدرى من اين اتيت واسعد ! انك لاتعلم الى اين تذهب

قال : اوتن جو برفت جان پاك من وتو
خشتى دونهند برمغـــاك من وتو
وانـــكه زبراى خشت كور دكران
در كالبدى كشند خاك بـاك من وتو

حين تخرج من جسدى روحى وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على لحدى ولحدك ثم لاجل لبنتين اقبراخر يضعون ترابى وترابك فى القالب (١)

---

(١) وقد وقع لاستاذنا الشاعر الفيلسوف حادث خطير فى مصر قبل خمس سنوات وشيخنا مادى بحت لا يطمئن الى الاعتقاد بخلود الروح وقد صرح بعقيدته هذه فى كثير من قصائده الخالدة وقد نشر اثناء بقائه فى مصر قصيدة تحت عنوان «الدمع ينطق» احدث بها هزة فى الخواطر فهب بعض الازهريين وعلى رأسهم عالم ازهرى اسمه «الشيخ قطيط» وهاجموا الزهاوى نثراً ونظماً فانتصر له اديب مصر الفذ الاستاذ عباس محمود العقاد الملقى فى ظلمات السجون اليوم ولم تنطفىء لهيب هذه الفتنة الا بعد اياب الاستاذ الى بغداد وهاك بعض ابيات من القصيدة التى انكر فيها الروح انكاراً صريحاً قال :

وسائلة هل بعـــد ان يعبث البلى باجسادنا نحيا طويلا ونرزق
فقلت مجيباً انى لست واثقــاً بغير الذى حسى له يتحقـــق
وهيهـــات لا ترجى حياة لميت اليـــه البلى فى قبره يتـــطرق
تقولين يفنى الجسم والروح خالد فهل بخلود الروح عندك موثق

مقت الخيام الوجود وفضل العدم ووصف الدنيا بدار المحن والمصائب وقد اكثر من ذمها حتى تجاوز الحد والقصد وتشاؤم الخيام هو الذى زهد فى عينه الدنيا وكره اليه الحياة، قال :

جون مردن تو مردن يكبار كى است
يكبار بر اين جه بيجاركى است
خونى ونجاستى ومشتى رك وبوست
انكار بنود اين جه غمخوار كى است

لما كان موتك مرة واحدة · مت مرة واحدة . ماهذه المسكنة ؟ دم ونجاسة وصم من عظم وجلد فما هذه المحنة من اجل شئ تافه حقير .

قال : دنيا بمراد رانده كير اخرجه
وين نامه عمر خوانده كير اخرجه
كيرم بكام دل بماندى صد سال
صد سال دكر بمانده كير اخرجه

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد · وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب اعماله . فلنفرض انك نلت مرامك مائة عام . وعش بعدها مائة اخرى فما هى النتيجة .

قال : دنيا نه مقام تست ، نه جاى نشست
فرزانه در اوخراب اولتير دمست

بر آتش غم زبـــاده ابی میزن
زان بیش که در خاك روی باد بدست

ليست الدنيا بدار قرار ودار اقامة . افضل للحكيم فيها ان يكون ثملا وفانياً اسكب ماء الخمرة على نار الغموم قبل ان تـــذهب الى القبر صفر اليدين .

ولعل من اسباب كراهية الخيـــام للحياة انه كا يرى ان وضع الخليقة غير صحيح ولا مستند الى اسس جيدة وان نظام الحياة الحـــاضر لا يجلب السعادة والسلام . وقد تمنى في احدى رباعياته ان تكون له قدرة كقدرة الله على الفلك ليهدمه ويبني فلكا جديداً يبلغ فيه الأحرار مرامهم بسهولة .

قال : گر برفلکم دست بدی چون یزدان
بردا شتمی من این فلکرا زمیان
از نو فلك دگر چنان ساختمی
کآزاده به کام دل رسیدی آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك هيمنة خالق لقضيت على هذا الفلك وخلقت فلكا غيره على ان يبلغ المرء فيه مرامه بدون عناء .

تكريم الجسم بعد الموت

وكم عاتب الخيام الخزاف على جبله الطين باعتساف وكم اوصى الكواز بالرفق وكم صاح بالناس ان يخففوا الوطأ في مشيهم على الارض قائلا ان الجام الذي تشربون به الخمر والكوز الذي تشربون منه الماء والتراب الذي تطأونه باقدامكم هو من طين احوز اغن

وخد مليحة عذراء ورأس كيخسرو وكف افريدون وهو فى كل ذلك يقدم موعظة للمغرورين فى الحياة مبيناً لهم مصيرهم وهو فى اثناء ذلك ينعى جسده ويبكى جثمانه بحرقة وألم : قال

اين كوزه‌چو من عاشق زارى بودست
در بنــــد سر زلف نكارى بودست
اين دسته كه در كردن او ميبينى
دسيست كه در كردن يـارى بودست

كان هذا الكواز مثلى صباً قد علق بفرع مليحة هيفاء وهذه العروة التى تراها فى جيدها كانت يداً تعتنق احدى الحسان

اين كوزه كران كه دست در كل دارند
عقل وخرد وهوش بران بكمارنـــد
بر كل لـكد وتبانجـــه تاجند زنند
خاك بدنست تـاجـه ميبندارنـــد

هلا الكوازون الذين ايديهم فى الطين . منحصرة عقولهم وافكارهم فيه الى متى يركلون ويصفعون الطين ، هذه اجسام حتى م هذه الظنون ؟

هان كوزه كرا بپاى اكر هشيارى
تاجنـــد كنى بركل ادم خوارى
انكشت فريدون وكـف كيخسرو
برجرخ نهاده جه ميبنـــدارى

ايها الكواز ان كنت واعياً حتى م تهين طينة الانسان . ان الذى وضعته على الدوار هو انملة فريدون وكف كيخسرو ماذا تظن ؟

مذهبه الفلسفي

اما وقد فرغنا من البحث في موضوع فلسفته فلم يبق سوى ان نقول كلمتنا في مذهبه الفلسفي ونعني بذلك نوع عقيدته واتجاه نظره في الحياة او بالاحرى تحقيق الغاية التي كان يستهدفها والمقصد الذي كان يرمي اليه وهذا الموضوع يضطرنا الى ان نقف موقف الحكم للبت في عقيدته والانصاف يحملنا على التصريح بانه من الصعب جداً اصدار حكم عادل فيه اذ ليس هناك من ادلة قوية وقرائن قطعية تخولنا ان نحكم على حكيم مفكر سلخ اعواما طوالا في البحث والتفكير في شؤون الحياة غير صحائف صفراء بالية تعرضت لشخصه ورباعيات هي نفثات جاشت في صدره ففاض بها لسانه وقد طواه الردى فهرع الى احضان الابدية قبل تسعة عصور .

قبل تسعة عصور رقد الخيام في لحده في نيسابور ولم يترك بعد رحلته الابدية غير بضع رسائل ورباعيات تناولها الباحثون في حياته وادبه واتخذوها حجة عليه ومداراً للحكم على عقيدته ومذهبه الفلسفي .

ومنذ قرنين قام نفر من الفرنجة يبحثون في ادب الخيام وذهبوا في عقيدته مذاهب شتى ورجموه بالظنون فمن منكر لشخصه ومن مدع انه كان ماديا ملحدا شهوانيا مستهترا ومن زاعم انه كان صوفيا يتغنى بجمال الله ثملا بخمرة الحب الالهي المقدس وقائل انه كان مرتابا متشائماً الى غير ذلك من الاقوال والمدعيات وكل ما لديهم من سند للحكم عليه فهو اقواله ورباعياته .

ولكن ماقيمة هذه الرباعيات فى اصدار الحكم عليه ، وليس لنا من العلم مايحقق ان الرباعيات المتداولة الان بتمامها هى لعمر الخيام. وانها نتاج قريحته وحدها وانها بريئة من شوائب الدس والانتحال

وقد بينا عند بحثنا فى رباعياته اختلاف العلماء الباحثين فى عددها « راجع ص٨٩ من الكتاب ».

ولنسلم جدلا بان لا اثر لاقل شبهة فى كون هذه الرباعيات كلها له من غير شائبة فيها للدس والانتحال فهل يصح ان تعتبر حجة على الخيام جريا على القاعدة العلمية القائلة « يؤخذ المرء باقراره » ؟!

الجواب على ذلك : كلا ؟! واليك السبب

***

سمعت الشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى ينشد :

عبدتك لاادرى ولا احد درى ... اسرك ام صدر الطبيعة اوسع
عبدت اسمك المحمود فى الليل والضحى ... اذ الشمس تستخفى اذا الشمس تطلع
فايقنت ان الكون بالله قائم ... وايقنت ان الله للكون مبدع
وانك معنى والخليقة لفظه ... وانك نور والخليقة برقع

—•—

ثم اشتهر عنه بيتان وقد سمعناه يقرأهما متحذراً محتاطاً والبيتان لا يشم منهما الاعتقاد بالله والايمان به .

لما جهلت من الطبيعة سرها ... واقمت نفسك فى مقام معلل

اثبت رباً تبتغي حـــلا به　　للمشكلات فكان اكبر مشكل

—•—

والان فباى القولين نأخذ وبأيهما نحتج على عقيدة الزهاوى وايمانه بالله وكيف نستطيع ان ندعى بان الزهاوى مؤمن او نقول انه غير مؤمن وبين ايدينا شعران متناقضان وباى شيء نتوسل لحل هذه للمعضلة انقول ان الزهاوى ملحد لايؤمن بالله وقد اراد ان يتقى الاخطار بالابيات المتقدمة ام نقول انه مؤمن ولـكنه احب ان يتعمد الـكفر لاسباب لانعلمها لاندرى؛ والعلم لم يتوصل الى الان الى قراءة ماتـكنه الضمائر وتخفيه الصدور.

•••

لنرجع الى البحث فى الرباعيات كى نرى ما اذا كان فى الامكان اعتبارها حجة عليه او لا؟

ان الشكوك التى تعترينا فى هذا الصدد فتصدنا عن اصدار الحكم عليه كـثيرة واهمها انه لم يثبت الى الان بالبرهان القوى ان الرباعيات الموجودة فى ايدينا كلها لعمر الخيام ثم اننا نجهل الوقت الذى نظمها فيه

أنظمها فى عنفوان شبابه وللشباب بدوات ونزوات وهواجس وخطرات كـثيرة ام فى عهد كهولته وفى الـكهولة نضوج العقل وتوازن الفكر واستقامة الرأى ام فى دور شيخوخته وفى الشيخوخة ضعف الاعصاب وارتباك الخواطر ام نظمها خـــلال حياته جميعها . كل اولئك مجهول لدينا اذ ليس لـكل رباعية تاريخ يعرفنا الزمن الذى نظمت فيه.

هبنا اننا عثرنا على رباعيات خطها الخيام بيراعته وهبنا اننا علمنا بانه قد

نظمها فى عهد نضج فيه عقله واستقام فيه رأيه وفكره وقوى فيه منطقه وتوازنت محاكمته فهل يصح ان نستدل ونحتج بها على نوع العقيدة او المذهب الذى يدين به الخيام ؟

الجواب على ذلك : كلا . . .

ليس فى هذه الحياة شيء ثابت ، فالكون والانسان والحيوان والنبات والمذاهب والاراء والمعتقدات كل اولئك عرضة للتطور على الدوام والاستمرار وليس فى الكون حقيقة ثابتة الا الشك وقد اشتبه فى الاحكام التى يصدرها العقل واتهم بالضلال والشعور متهم اكثر منه لكونه عرضاً للاندفاعات والخلاف موجود بين الناس حتى فى المحسوس .

اذاً فما قيمة التصريح والانسان عرضة فى كل وقت للتطور وما قيمة القول والمرء يتقلب بين عشية وضحاها وفق ميوله وعواطفه واهوائه وما قيمة الرأى اذا كان الرأى وليد انفعالات نفسية عاطفية وما قيمة العقيدة اذا كان ماتراه حسناً اراه قبيحاً وماتراه فضيلة اراه رذيلة وماتراه شرا اراه خيرا .؟! وليس فى ايدينا مقاييس وقواعد قطعية نستطيع ان نميز بين الحسن والقبح والفضيلة والرذيلة والشر والخير ولذلك يتعذر البت فى عقيدة اى كان فضلا عن الخيام المحاط بالغموض والابهام

وانا اتهيب من ان اسند اليه امراً وكل مالديه من الحجج هو بعض قطع من شعره ور باعياته خشية ان اسيء الى الرجل باسناد امر ليس له ضلع فيه

واذا كان لابد من ابداء الرأى فى هذا الصدد فاني احمل نفسى على ابداء رأيي وانا شاك مرتاب كل الارتياب فيما اقوله وازعمه واستغفر الخيام

فى لحده ! استغفر روحه من كل هفوة ومن كل ماانسبه اليه وهو برآءمنه.

اقول : — ان الذى بدى لى من رباعيات الخيام — انه كان جم الشكوك كثير الارتياب، عظيم الاضطراب ، ذا روح قلقة محاطة بالهواجس والخطرات ونفس متألمة مكتنفة بالوساوس والخيالات وقدظهرت شخصيته فى رباعياته بمظهر الشاك المرتاب القلق مما يدفع الباحث الى الاعتقاد بانه كان « لاادرياً » .

اللاادرية

واللاادرية مذهب فلسفى يقوم على الاعتراف بعجز العقل البشرى عن ادراك المجردات وفهم جوهرها وخواصها وبعجز العلم اللدنى عن الوصول الى فهم هذه المجردات وكان الخيام كما قد ظهر لى من رباعياته لاادرياً يدين بهذا المذهب وقد اتهم العقل والعلم فى كثير من رباعياته بعجزهما عن ادراك سر الحياة ومن ذلك قوله :

آنانكه به كار عقل در ميكوشند
هيهات كه جمله كاو نرميدوشند
آن به كه لباس ابلهى در پوشند
كامروز به عقل تره مي نفروشند

اولئك الذين همهم الجهد من طريق العقل هيهات انهم يحلبون ثور الاجدر بهم ان يتقمصوا البلاهة اذ لايشترى اليوم بالعقل باقة من حشيش

آنانکه محیط فضل وآداب شدند
واز جمع کمال شمع اصحاب شدند
ره زین شب تاریك نبردند برون
گفتند فسانهٔ ودرخواب شدند

اولئك الذين احاطوا بالفضل والادب ومن جمع الكمالات اصبحوا شموع المجالس والاصحاب لم يهتدوا الى الطريق فى هذا الليل الدامس وانما فاهوا ببعض الاساطير وناموا.

دل سر حیات اگر کماهی دانست
در مرگ هم اسرار الهی دانست
امروز که باخودی ندانستی هیچ
فردا که زخود روی جه خواهی دانست

لو عرف القلب سر الحياة كما هى لعرف ايضاً فى الموت الاسرار الالهية انت لاتعلم شيئاً وانت مع نفسك فماذا تعلم غداً اذا تجردت عنها!

قومی متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند درشك ویقین
ناگاه منادی در آید زکمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

قوم يتفكرون فى المذهب والدين ، وجماعة محتارة بين الشك واليقين واذا بالمنادى يهتف بهم من عالم الغيب ايها الغافلون الطريق لاهذا ولا ذاك .

يظهر مما قدمنا ان عمر الخيام كان « لاادرياً » كما نطقت بذلك رباعياته وانه قد اعترف بعجز العقل البشري والعلم اللدني عن ادراك المجردات غير ان لاادريته القت في نفسه اثراً سيئاً بعث فيه روح التشاؤم وجعله ينظر الى الحياة نظر قانط و بغض الى قلبه الدنيا وما فيها فتمنى العدم وآثره على الوجود وما تمنى العدم والفناء الا لانه كان يخافها.

***

كلنا نشعر بدافع الغريزة باننا مفطورون على حب البقاء وحب البقاء يدفعنا الى ان نحب الحياة . لما كان « الموت » آفة الحياة فكلنا نشعر باننا نخاف الموت ونفر منه واذا ذكر احدنا الموت ارتعدت فرائصه واصابته هزة عنيفة في شعوره ووجدانه فلا ادرية الخيام وجهله الخليقة والحياة والعدم وخوفه من « الموت — الفناء » كل ذلك ولد فيه التشاؤم

اذاً فالتشاؤم هو وليد حب الحياة والبقاء ، لهذا نرى الخيام يتمنى لو انه يعود مرة اخرى الى الحياة ولو بعد مآت الالوف من السنين كما يعود العشب .

ايكاش كه جاى آرميدن بودى
ياابن ره دوررا رسيدن بودى
كاش ازپي صد هزار سال از دل خاك
جون سبزه اميد بر دميدن بودى

ياحبذا لو كان للراحة محل وياحبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل وياحبذا لو كان هناك امل في العودة الى الحياة بعد مات الالوف من السنين كما يعود العشب من قلب التراب

التشاؤم

والتشاؤم مذهب قديم ظهر في ديانة البوذيين ويقوم على ان العقل يرتأى ان كل شيء في الدنيا سيء ورديء بل اردأ ما يمكن ان يكون وان مجموعة الشرور في الحياة تتعدى مجموعة الخيرات وقد شملت هذا العقيدة الحياة كلها وكان اساس موضوعها صلة الانسان بالخير والشر وعلاقته باللذة والالم (١) على انه يجب التفريق بين المتشائم و بين المعتقد بفلسفة التشاؤم فالخيام لم يكن متشائما ماقتاً للحياة كابي العلاء المعري الذي انزوى في عقر داره وسمى نفسه « رهين المحبسين » ولا اشك في ان الخيام قد متع نفسه باللذات ولم يقصر في اقتناص ساعات السرور لكني اعتقد انه كان معتقدا بفلسفة التشاؤم والفرق بين المعري والخيام في هذا المطلب هو ان المعري كان متشائما بنفسه ومعتقداً بفلسفة التشاؤم ايضا فتسميته لنفسه « رهين المحبسين » وانزواءه عن الناس دليل على انه يحمل روحا متألمة متشائمة وقوله بان الشر طبع وان جذوره متأصلة في قلوب الناس دليل على اعتقاده بفلسفة التشاؤم لكن تشاؤم الخيام يختلف عن ذلك لان الخيام اندفع الى التشاؤم بسبب « لاادريته » .

---

(١) ونقيض مذهب التشاؤم مذهب التفاؤل الذي نشأ على يد الحكميين اليونانيين سقراط وافلاطون و يقوم على ان الحياة جميلة في جميع وجوهها او على الاقل ان الخير في هذه الحياة غالب على الشر وقد نظمت الامور بحيث ان الانسان يرى في هذه الحياة سعادة اكثر مما يرى فيها شقاء .

وهناك من يرى ان التشاؤم والمعتقد بفلسفة التشاؤم مريض اصيب بامراض عصبية روحية عقلية او لم يكن له نصيب من التهذيب ومن التربية الصحيحة المستقيمة او انه سليل ابوين احدهما مصاب بمرض ارثي والتشاؤم ينشأ ويتفشى في المناطق الحارة الموبوءة والمفعمة بالاساطير والخرافات (١)

ولعل الفقر والمرض من اهم الاسباب والعوامل فى تكوين التشاؤم وفيما يلي تثبت بعض رباعيات تفصح عن تشاؤمه قال :

مائيم درلو فتاده جون مرغ بدام
دلخستهٔ روزكار وآشفته مدام
سر كشته درين دائرهٔ بى در وبام
ناآمده برمراد ونار فته به كام

وقعنا فى هذه الحياة وقوع الطير فى الفخ مفؤدين من الدهر طائشين على الدوام تائهين فى هذه الدائرة التى لاسطح لها ولا باب لاجئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا !

قال :

جون حاصل آدمي دراين شورستان
جز خوردن غصه نيست باكندن جان

رأى المربي الكبير ساطع بك الحصرى

خرم دل انكه از جهان بيرون شد
آسوده كسى كه خود نيامد بجهان

لما لم يكن محصول الانسان فى هذه الحياة ذات الفتن الا الالم وعذاب النفس فطوبى لمن خرج منها او لم يجئ اليها !

روزى كه دو مهلتست ميخور مى ناب
كاين عمر دو روزه بر نكردد درياب
دانى كه جهـــان رو بخرابى دارد
تو نيز شب وروز همى باش خراب

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم فان هذا العمر الذى هو عبارة عن يومين لا يعود اليك مرة اخرى انت تعلم ان مصير الكون آيل الى الخراب فكن انت خراباً ليلا ونهاراً.

* * *

ولما رأى الخيام ان عقله قاصر عن ادراك سر الحياة وان عمر الانسان قصير وعرضة للالام والشرور ارتأى ان خير وسيلة تنقذ نفسه من هذه الهواجس والخطرات الاليمة والشكوك المضنية ان ينتهز الفرص وان يتمتع ما استطاع بملذات الحياة وان لا يحزن لما يلاقيه فى غد وان لا يتحسر على ما خسره بالامس وان يقطع صلته من الماضى والمستقبل وان يهتم بالساعة التى هو فيها.

وصفوة القول ان شكوك الخيام ويأسه وآلامه دفعته الى الاخذ

بالفلسفة السلبية وهي اشد خطراً من غيرها على البشرية

قال :

روزی که کذشته است ازو یادمکن
فردا که نیامده است فریاد مکن
برنامده وکذشته فریاد منه
حالی خوش باش وعمر بر باد مکن

لاتذكر اليوم الذى مضى ولا تجزع من غد لم يأت بعد ولا تفزع عما لم يات وعما مضى طب نفساً ولا تنغص عيشك

قال :

می نوش که عمر جا ودانی این است
خود خاصیت دور جهانی این است
هنكام كل ومل است و ياران سرمست
خوش باش دمي که زندكاني اين است

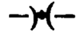
اشرب الخمرة لانها الحياة الدائمة هى وحدهامزية الدنيا . الوقت وقت ورد وطرب والاخلاء سكارى اسعد لحظة هذه هى الحياة

قال: این عقل که در راه سعادت پوید
روزی صد بار خود ترا میکوید

در یاب تو این یکدمه فرصت که نه
آن تره که بد روند ودیگر روید

هذا العقل الذی یطوی طریق السعادة یقول لك فی الیوم مایة مرة افق انت فی هذه الفرصة لست كالنبات الذی كلما حصدوه نبت

هذا هو رأیی فی الخیام ومنه یفهم أنه كان — علیماأظن — لا ادریا متشائماً سلبیاً ولست ادری اكان الخیام كما بینت او لم یكن علی انی لاازال شاكا مرتابا فیما قلته وانی اعود فاستغفر روح الخیام اذا كنت قدهفوت او اسندت الیه مالیس فیه .



نظـــــــــراؤه

ابن الشبلي البغدادي

ومن الذين يضارعون الخيام في التفكير ويشابهونه في الاحساس والشعور ويشاركونه في التذمر والشك حذو القذة بالقذة حكيمان عربيان هما الشاعران محمد بن الحسن بن عبدالله الشبلي ابو علي الشاعر الحكيم البغدادي وابو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف الكبير

وكان ابن الشبلي معاصراً لعمر الخيام ، وقد ولد وتعلم ومات في بغداد الا ان المؤرخين لم يكتبوا وياللاسف ترجمة مفصلة له . وقد بذلت جهداً عظيما لاقف على ترجمته فلم اظفر بطائل وكل ماورد عنه في كتب المترجمين مثل ابن ابي اصيبعة وابن خلكان انه توفي في محرم سنة ثلاث وسبعين واربعمائة ٤٧٣ هـ ودفن بباب حرب وكان شاعراً جيداً وله ديوان شعر وكان ظريفاً نديماً مطبوعا .

وقد وجدت لابن الشبلي شعرا عربيا عليه مسحة من روح الخيام وتفكيره ونفحة من شعره وفيه نفس التذمر والشك والتشاؤم الموجود في رباعيات الخيام فكان ابن الشبلي ترجم الرباعيات او كأن الخيام ترجم شعر ابن الشبلي وكأنهما شربا هذه المعاني من معين واحد واخذا هذه الاراء من منهل واحد .

وفيما يلي ندرج بعض قطع شعرية لابن الشبلي تدل على وجود مقاربة ومشابهة في الشعور والتفكير بين الحكيمين الفارسي والعربي.

غاية الحزن والسرور انقضاء ... مالحي من بعد ميت بقاء
لا لبيد باربد مات حزنا ... وسلت عن شقيقها الخنساء
مثل مافي التراب يبلى الفتى فالحزن يبلى من بعده والبكاء
غيران الاموات مروا وابقوا ... غصصا لاتسيغها الاحياء
انما نحن بين ظفر وناب ... من خطوب اسودهن ضراء
تتمنى وفي المنى قصر العمر فنغدو كما تسر نساء
صحة المرء للسقام طريق ... وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نقتدي نموت ونحيا ... اقتل الداء للنفوس الدواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كا ... نت ولا كان اخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب ... كرهت فيه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فمهما ... تهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلما تمر بنا الايام ام ليس تعقل الاشياء
من فساد يكون في عالم الكو ... ن فما للنفوس منه اتقاء
وقليلا مايصحب المهجة الجسم ففيم الشقاء وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا ... نالها الامهات والاباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقد فايجادنا علينا بلاء

* * *

وله :

بربك ايها الفلك المدار ... أقصد ذا المسير ام اضطرار
مدارك قل لنا في اى شيء ... ففي افهامنا عنك انبهار

فطوق فى المجرة ام لآل ... هلالك ام يد فيها سوار
وفيك الشمس رافعة شعاعا ... باجنحة قوادمها قصار
ودنيا كلما وضعت جنيناً ... عراه من نوائبها طوار
هى العشراء ما خبطت هشيم ... هى العجماء ما جرحت جبار
فكم من بعده عفر وعقر ... يضير وما بلا ليل نهار
لقد بلغ العدو بنا مناه ... وحل بآدم وبنا الصغار
وتهنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل اضل ولا خوار
فيالك أكلة ما زال فيها ... علينا نقمة وعليه عار
نعاقب فى الظهور وما ولدنا ... ويذبح فى حشا الام الحوار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب اخرجه الوجار
وكانت انعماً لو ان كوناً ... نشاور قبله او نستشار
ولا ارض عصته ولا سماء ... ففيم يقول انجمها انكدار

* * *

وله:

وكأنما الانسان فيه غيرة ... متلوناً والحسن فيه معار
متصرف وله القضاء مصرف ... ومكلف وكأنه مختار
طوراً به تصبو الحظوظ وتارة ... حظ تحيل صوابه الاقدار
تعمى بصيرته وتبصر بعدما ... لا يسترد الفائت استبصار
فتراه يؤخذ قلبه من صدره ... ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يضرب بالملامة نفسه ... ندماً اذا لعبت به الافكار
لا يعرف التفريط فى ايراده ... حتى يبينه له الاصدار

كنت فى اثناء درسى لرباعيات الخيام اشعر بوجود نسب متين وقرابة فكرية بين عمر الخيام وابي العلاء المعرى وكنت كلما امعنت النظر فى اقوال الخيام ازددت يقيناً بوجود شبه عظيم بين هذين الفذين ، ولو ان توأمين نشآ فى حضن أب وام وتعلما فى مدرسة واحدة وتربيا فى بيئة واحدة وطرأ عليهما من شؤون الحياة فى الصغر والكبر ما يكونان به شريكين فتماثلت اخلاقهما وطباعهما وتقاربت اراؤهما ونظراتهما فى الكون ، لقلنا ان المعرى والخيام اخوان شقيقان وفرعان من غصن واحد فكان المشيئة الالهية قد قدتهما من اديم واحد وجبلت طينتهما فى آنية واحدة وفى آن واحد وحبتهما طبعين وفكرين متقاربين متشابهين

* * *

ان من غريب الاتفاق ان يكون الحكيمان متماثلين فى الاخلاق فكلاهما كان منقبض النفس ضيق الصدر منزوياً عن الناس زاهداً فيما بايديهم ماقتاً لهم مستهزءاً بهم مستخفاً بعقائدهم ومبادئهم وكلاهما مبغض للدنيا متطال لامور غامضة اجل شأناً واعظم قدراً من حطامها وكلاهما متطلع تائق الى اسرار الحياة معنى بها ، وكلاهما ابي النفس صادق القول مطلق الرأى جرىء على البوح بمذهبه ، الا فترات كانا كلاهما يراعى فيها خواطر الناس خشية الاذى والضرر وكلاهما فقير لم يملك شيئاً من حطام الدنيا ، ولو ارادا لنالا وفراً وذهباً وفضة ، وكلاهما عاش عزباً لم

يتزوج و كلاهما نشا فى عصر حافل بالعلوم والمعارف فائض بالاراء الفلسفية ، اذ فى عصرهما ظهر مذهب الاسماعيلية والباطنية وفى عصرهما اجتمع اخوان الصفاء خفية وابرزوا رسائلهم الشهيرة . واقوال الفيلسوفين على تقارب فى العلوم والمعارف . اما تآليفهما فقليلة ايضاً وأما السياسة فى زمانهما فمتشابهة فقد كانت نار الفتنة مشتعلة فى سورية فى عصر المعرى . واما فارس فقد كانت رحى الحرب فيها دائرة كل المدة التى عاش فيها الخيام فانه نشأ فى اكناف الدولة السلجوقية التركية التى قامت مقام الدولة الغزنوية ولم تقم الا بالسيف وكان الخيام يشهد ذلك وقد اتسم سلطان هذه الحكومة فى ايام ملكشاه ٤٦٥—٤٨٥ الذى كان يجل عمر الخيام اجلالا عظيما حتى عهد اليه بناء الرصد وترتيب الزيج . و فى عهده اسس زميله وشريكه فى الدرس (حسن الصباح) مذهب الباطنية وفى ايامه ارتكب الباطنية المنكرات والموبقات وفيها اغتيل زميله وشريكه الاخر (نظام الملك) بطعنة باطنى .

ولادتهما ووفاتهما

تضاربت آراء الباحثين فى السنة التى ولد فيها عمر الخيام كما اختلفت فى السنة التى توفى بها فالمؤلفون الغربيون يرجحون ان وفاته كانت سنة ٥١٧ هجرية وهو القول المشهور وقد ذكرت اقوال عديدة فى وفاته وكلها بين سنة ٥٠٨ — و ٥٣٠ وعلى كل حال فانه توفى فى اوائل القرن السادس للهجرة وذكر عن النظام — وهو تلميذ خيام — انه زار قبره فى نيسابور سنة ٥٣٠ وقيل له ان الخيام توفى منذ سنوات

اتهامهما بالزندقة

كان كل واحد من الشيخين موصوماً بضعف العقيدة الاسلامية متهما بالزندقة وكانت لفظة « الزنديق » في عصرهما تطلق على الاحرار المفكرين بل كانت الزندقة صفة من يخالف ما كان عليه الجمهور وقد اودت هذه التهمة بحياة الكثيرين من الفضلاء امثال صالح بن عبدالقدوس وبشار بن برد ومنصور الحلاج والسهروردي قتيل حلب وغيرهم.

اما ابو العلاء المعري فقد ذكروا انه دخل عليه ذات يوم رجل من قراء المعرة يعرف بابي القاسم فطلب منه بعض الناس ان يقرأ بعضاً من الآي الكريم فقرأ « ومن كان في هـذه اعمى فهو في الاخرة أعمى واضل سبيلا » يريد بذلك اهانة الشيخ والتعريض به ، وقد تألم ابو العلاء من ذلك الوقح فهجاه ببيتين.

ودخل عليه الوزير المشهور بالمنازي فسأله ما هذا الذى يرويه عنك الناس ؟ قال : قوم حسدوني فكذبوا علي وقد تركت لهم الدنيا قال المنازي : « والاخرة » فقال ابو العلاء « والاخرة ؟ » ثم اطرق ولم يكلمه حتى قام عنه المنازي.

وزاره بعض القضاة فجرى بينهما حديث فقال له ابو العلاء لم اهج احداً ، قال صدقت الا الانبياء وقال فتغير لونه.

وقد وصم عمر الخيام بما وصم به المعري فقد قال فيه « شيخ نجم الدين الرازي » في كتابه « مرصاد العباد » انه ممن يدين بدين الفلاسفة الدهريين

الطبيعيين وقد احتج نجم الدين على زندقة الخيام بالرباعيتين التاليتين :

در دائرهٔ كامدن ورفتن ماست
آنرانه بدايت نه نهايت بيداست
كس مي نزند دمي درين عالم راست
كاين آمدن ازكجا ورفتن بكجاست

لا بدأ ولا انتهاء لهذه الدائرة التى جئنا منها لا احد يستطيع ان يعلم من أين هذا المجئ والى اين هذا الذهاب .

* * *

دارنده كه تركيب طبائع آراست
باز ازجه سبب فكندش اندركم وكاست
كرز آنكه بد آمد اين صور عيب كراست
ورنيك امد خرابي از بهرجه خواست

لاى سبب يهدم الله الحياة والانسان بعد ان كان هو الذى ركب الطبائع فاذا جاءت رديئة فالعاب يعود عليه واذا كانت جيدة فلماذا يخربها ؟

* * *

وقد ايد هــذه الرواية (القفطى) فى كتابه تأريخ الحكماء بقوله : (ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما اسره من مكنونه خشى على دمه وامسك قلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية . الخ) وهذا القول يدل على ان الناس كانوا يناوئونه ويتناوشونه بالكلام القارص . وفيما يلى نثبت رباعيتين لعمر الخيام فى الرد عليهم قال :

ای مفتی شهر از تو پرکار تریم
با این همـــه مستی ز تو هشیار تریم
ما خون رزان خوریم و تو خون کسان
انصاف بده کدام خونخوار تریم

يا مفتي المدينة انا احسن منك عملا ومع كثرة سكرنا فانا اصحى منك انا اشرب دم العنقود وانت تشرب دم الناس فاينا شراب الدماء ؟

شیخی بزنی فاحشه گفتا مستی
هر لحظه بدام دیگری پا بستی
گفتا شیخا هر آنچه گوئی هستم
امـــا تو چنانچـــه مینمائی هستی

قال شيخ معمم لفاحشة انت سكرى . وفى كل ساعة مربوطة بحبائل فقالت له الفاحشة يا شيخ ان الذى قلته صحيح لكنك أأنت انت كما تظهر للناس ؟

اعتقادهما بالجبر

كان كلا الحكيمين معتقداً بمذهب الجبر دائناً به . فقد نص ابو العلاء المعرى فى مقدمة اللزوميات على انه لم يؤلف هذا الكتاب مختاراً وانما الفه بقضاء خفى لا يعرف كنهه وحقيقته . وقد ذكر الجبر فى اللزوميات مراراً كثيرة مثبتاً اياه ومناضلا عنه فمن قوله فيه :

خرجت الى ذى الدار كرهاً ورحلتى الى غيرها بالرغم والله شاهد
فهل انا فيما بين ذلك مجبر على عمل ام مستطيع لجاهد

* * *

ما باختيارى ميلادى ولا هرمى ولا حياتى فهل لى بعد تخيير

* * *

جئنا على كره ونرحل رغماً ولعلنا ما بين ذلك نجبر

* * *

وردت الى دار المصائب مجبراً واصبحت فيها ليس يعجبنى النقل

* * *

ولم نحلل بدنيانا اختياراً ولكن جاء ذاك على اضطرار

اما عمر الخيام فكان رأيه صريحاً فى الجبر بصورة لا تحتمل الشك ولا التأويل فقد سئل فى عصره عن ثلاث مسائل (احداها) كيف صدر ملازم التضاد والشر عن الواجب مع البت بانه عز وجل يتعالى عن ان يكون مصدر شر او ظلم وجور ومع القول بامتناع تعدد الواجب . (الثانية) اى الفريقين اقرب الى الصواب وقوله اشبه بالتحقيق : الجبرية القائلون بالجبر ونفى الاختيار عن الممكن . ام القدرية الناسبون الى العبد خلق افعاله (الثالثة) ان قوماً يقولون بان البقاء من صفات المعانى اى انه صفة زائدة على ذات الباقى فى الخارج فكيف يصح قولهم وما سبيل المناقشه معهم ؟

فاجاب عمر الخيام بكلام طويل حلل فيه هذه الابحاث تحليلا دقيقاً

وكان جوابه على السؤال الثالث صريحاً فى الجبر فقد قال — واما سؤاله عن اى الفريقين اقرب الى الصواب فلعل الجبرى اقرب الى الحق فى بادئ الرأى وظاهر النظر من غير ان يتلجلج فى هـذيانه ويتغلغل فى خرفاته فانه حينئذ يبعد عن الحق جداً .

اما رباعيـاته فقد دلت على اعتقاده بالجبر قال :

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حيرتم ازجهان جيزى نفزود
رفتيم باكراه وندانيم جه بود
زين آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بى مضطراً الى الوجود ولم ازدد غير الحيرة فى هذه الحياة . ذهبنا مكرهين . ولم نعلم المقصود من مجيئنا و بقائنا وذهابنا .

بر رهكذرم هزار جاد ام نهى
كوئى كه بكيرمت اكر كام نهى
يك ذره زحكم توجهان خالى نيست
حكم تو ركنى وعاصيم نام نهى

تضع الاشراك يا الهى فى الف مكان من سبيلى وتقول انك اذا وطأتها فانا نهلكك . لا تخلو ذرة فى العالم من حكمك ، انت تحكم وتقدر علىّ وانت تسمينى بالعاصى ؟

*

البعث بعد الموت

كان قدماء المصريين يعتقدون بعودة الروح الى الجسد فى الدنيا، وكان فلاسفة اليونان الالهيون ولاسيما اتباع افلاطون يعتقدون بخلود الروح الا انهم ما كانوا يؤمنون ببعث الارواح كما نصت عليه الشرائع المنزلة وكانوا ينكرون حشر الاجساد التى لا تلبث ان يتطرق اليها البلى بعد دفنها، وزعموا ان الروح تنتقل بعد خروجها من الجسد الى عالم ملكوتى قدسى عقلى وهناك تحي حياة اما شقية واما سعيدة لقاء ما اتته فى الحياة من آثام او اعمال مبرورة اما ارباب الديانات فرأيهم صريح فى البعث والمسلمون يعتقدون بخلود الارواح وحشر الاجساد ومن ينكر البعث بعد الموت يكفر وعقابه القتل، والقرآن طافح بالايات التى يستدل بها المسلمون على البعث وللمفسرين من علماء المسلمين اقوال كثيرة وآراء عجيبة فى هذا البحث.

وقد انعمنا النظر فى رباعيات عمر الخيام فوجدناه منكراً للبعث انكاراً صريحاً مسفهاً رأى القائلين بحشر الاجساد ومستهزئاً باقوالهم قال :

زآن بيش كه غمهات شبيخون آرند
فرماى كه تاباده‌ء گلگون آرند
تو زرنه‌ء اى غافل نادان كه ترا
درخاك نهند وباز بيرون آرند

صاح قبل ان تهجم عليك غموك على غرة مر ليأتوك بالخمرة اللازوردية ايها الغافل الجاهل انت لست ذهبا حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة أخرى .

ما لعبتكا نيم وفلك لعبتباز
از روى حقيقتي نه از روى مجاز
بازيچه لذان بديم بر نطع وجود
رفتيم بصندوق عدم يك يك باز

نحن ألاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا وذلك امر حقيقي غير مجازي لقد لعبنا مدة في ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً اثر واحد .

فقوله « انت لست ذهبـــاً حتى اذا واروك التراب اخرجوك مرة أخرى ، وقد ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد » دليل على انه لم يكن معتقداً بالحشر كما يعتقد به المسلمون .

اما ابو العلاء المعري فقـد اضطرب رأيه في البعث اضطراباً عظيماً فـكان تارة مؤمناً به وتارة منكراً له فمن قوله الذى أثبت فيه البعث :

واني لارجو منه يوم تجاوز فيأمر بي ذات اليمين الى اليسرى
اذا را لب نالت به الشأو فاقة فما ينقى الا الظلوالم والحسرى
وان أنف بعد الموت مما يريبني فما حظى الادنى والايدى الخسرى

ومن قوله الذى انـكر فيه البعث انكاراً صريحاً :

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحق لسكان البسيطة ان يبكوا
تحطمنا الايام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

وقوله :

اما الجسوم فللتراب مآلها وعييت بالارواح انى تسلك

على انى ارتأى انه كان منكراً للبعث غير معتقد بحشر الاجسام وخلود الارواح ، واما الابيات التى نظمها فى اثبات البعث فقد نظمها تقية وخوفاً من الناس وسخط الجمهور عليه ·

اخذهما بالتقية

وكان ابو العلاء المعرى يرى التقية ومداراة الناس ويحتاط فى اظهار ارائه و يعول على المجاز كثيراً اذ كان يخشى الاذى والاضطهاد وفى لزومياته شعر كثير نستدل به على ذلك فمن قوله :

اصدق الى ان ترى فى الصدق مهلكة وبعد ذلك فاكذب قاعداً وقم

وقوله :

فاصمت فان كلام المرء يهلكه وان نطقت فافصاح وايجاز

وقوله :

اهوى الحياة وحسبي من معايبها انى اعيش بتمويه وتدليس
اكتم حديثك لا يشعر به احد من رهط جبريل اومن رهط ابليس

فهذه الابيات تدل على ان ابا العلاء كان سيء الظن بالناس كثير الحذر منهم وقد اتخذ (التقية) جنة له ·

وقد حذا عمر الخيام حذو ابي العلاء المعرى وسلك طريقه فى دفع الاذى والضرر عن نفسه فقد ذكر «الوزير جمال الدين ابي الحسن على بن القاضى الاشرف يوسف القفطى» ما نصه : «ولما قدح اهل زمانه فى دينه واظهروا ما أسره من مكنونه خشى على دمه وأمسك عن عنان لسانه وقلمه وحج متاقاة لا تقية وابدى اسراراً من السرار غير نقية» .

ومما يؤيد قول القفطى الصراحة البارزة فى بعض رباعياته التى يصح الاستدلال بها على حذره وتكتمه وعدم افشاء ما يكنه ضميره خوف البله من صغار العقول وضعفاء الحلوم .

باهر بد ونيك راز نتوانم كفت كوته سخنم دراز نتوانم كفت

حالى درام كه شرح نتوانم داد رازى دارم كه باز نتوانم كفت

لا استطيع ان ابوح بسري لكل طيب وخبيث انا قصير الكلام لا استطيع ان اطيله لى حال لا استطيع ان اشرحها وسر لا استطيع ان اقوله .

ولا سيما ان عصر الخيام كان طافحاً بجماعات من المتصوفة العمى الابصار والقلوب وزمر عظيمة من المتزهدين الناسكين الذين اعمى التعصب الممقوت افئدتهم واطفأ سراج عقولهم فكان من حقه ان يتكتم وان لا يبوح بآرائه اقتداء بزميله شيخ المعرة خشية هؤلاء الكذابين الذين كانوا يلعبون بعقول العوام كما يشاؤون ويقودونهم كما يرغبون .

وقد اتعظ الشيخان بالفجائع والرزايا التى انزلت بزملائهم وانسبائهم

فى الرأى من الاحرار الذين جبلوا على الصراحة وفطروا على البوح بما تجيش به صدورهم فذاقوا من اجل ذلك عذاباً اليما .

والنطع الذى اضجع عليه صالح بن عبدالقدوس ، والسياط التى الهبت جسد الحكيم الشهيد بشار بن برد الشاعر ، والجذع الذى صلب عليه الصوفى الشهير ابو منصور الحلاج ، والسيف الذى بتر عنق الفيلسوف السهر وردى وغيرهم من الفطاحل الافذاذ الى غيرذلك من الفجائع والوقائع الاليمة — كانت عبراً ودروساً .

التناسخ

التناسخ مذهب قديم عرف بين الهنود وشاع بين عرب الجاهلية فقد زعموا ان الانسان اذا مات او قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته وانتصب هامة فيرجع الى رأس القبر على رأس كل مائة سنة . وقد دمغهم الرسول (ص) ورد زعمهم فقال (لاهامة ولا عدوى ولا صفر) ثم كثر علم العرب بهذا المذهب فى صدر الاسلام وذلك منذ اواخر القرن الاول وكانت بعض الفرق من غلاة الشيعة تدين به كاصحاب عبدالله بن سبا (١) الذى قال لعلى عليه السلام (أنت أنت) اى انت الاله فنفاه الى المدائن فادعى بتناسخ الجزء الالهى فى الائمة بعد على . ومثل هؤلاء اصحاب ابى كامل (٢) الذى كان يدعى ان الامامة نور يتناسخ متنقلا من

---

(١) وتسمى هذه الفرقة السبئية .(٢) وتسمى هذه الفرقة الكاملية راجع ١٣٢ و١٣٣ من كتاب الملل والنحل .

شخص الى شخص وذلك النور يكون فى شخص نبوة وفى شخص يكون امامة ور بما تناسخت الامامة فصارت نبوة وقال بتناسخ الارواح وقت الموت . والغلاة على اصنافهم متفقون على التناسخ والحلول ولقد كان التناسخ مقالة لفرقة فى كل امة تلقوها من المجوس المزدكية والهند البرهمية ومن الفلاسفة والصابئة . ومذهبهم ان الله تعالى قائم بكل مكان ناطق بكل لسان ظاهر بشخص من اشخاص البشر وذلك هو معنى الحلول وقد يكون الحلول بجزء كاشراق الشمس فى كوة او كاشراقها على البلور واما الحلول بالكل فهو كظهور ملك بشخص او كشيطان بحيوان ومراتب التناسخ اربع النسخ والمسخ والفسخ والرسخ .

وقد اتخذ بعض الدعاة هذا المذهب وسيلة لنشر الدعاية لآل البيت ومن اولئك الشاعر السيد الحميرى الذى اعماه التعصب فاخرجه عن طريق الصواب وليس بين المطلعين على الاداب العربية من ينكر ما كان من ترهات الحميرى وسخافاته .

وقد عثر المستشرق (Zokovski) زوقوفسكى فى تاريخ الالفى على حكاية استدل بها بعض الباحثين على رسوخ عقيدة التناسخ فى نفس عمر الخيام فقد ذكروا انه كان أستاذاً فى مدرسة (نيسابور) وكانت المدرسة فى حاجة الى ترميم واصلاح فكان سرب من الحمير يحمل الاجر الى المدرسة وبينما كان عمر الخيام يتمشى مع جماعة من التلاميذ شاهد حماراً وقف عند باب المدرسة ولم يشأ الدخول اليها فجاء عمر الخيام وتقرب من الحمار وقرأ فى أذنه هذه الرباعية :

ای رفته وباز آمده بل هم گشته
نامت زمیان نا مها گم گشته
ناخن همه جمع آمـــده وسم گشته
ریش از بس کون در آمده دم گشته

يا ايها الذى ذهب وعاد مرة أخرى وصار كالانعام قد ضاع اسمك بين الاسماء لقد اجتمعت اضافيرك وصارت ظلفاً وظهرت لحيتك فى عجزك فصارت ذيلا .

فدخل الحمار المدرسة فسأله تلاميذه عن سر ذلك فاجابهم ان الروح التى حلت فى جسد هذا الحمار كانت روح تلميذ عاش وتعلم فيها لذلك لم يرغب الحمار فى الدخول اليها غير انه لما شـــاهد اصحابه الاقدمين رضى بالدخول .

والذى ينعم النظر فى هذه الحكاية المضحكة لا يتردد طويلا ان يعتقد بانها من القصص الملفقة المصطنعة وانها من نوع الاحاديث التى يختلقها العوام لان هذا الرجل الذى دلت حياته وآراؤه الفلسفية ومؤلفاته الجليلة ومكانته العالية بين ملوك عصره — على رجاحة عقله وسعة علمه لا يمكن ان يسف هذا الاسفاف وان يتفوه بهذا الرأى المبتذل المأفون . هذا من جهة ومن جهة أخرى ان رباعياته التى اشتهر بها والتى اودعها آراءه الفلسفية تكاد تسوق الباحث الى الاعتقاد بالحاده ونكرانه البعث والحشر والنشر ويقينه بالعدم المحض . لذلك يغلب على الظن براءة هذا الحكيم الكامل من هذه العقيدة .

وقد كان ابو العلاء المعري ممن ذم هذا الرأي وهزئ به وشنعه في رسالة الغفران وفي لزومياته فقال :

يقولون ان الجسم ينقل روحه　　الى غيره حتى يهذبه النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة　　اذا لم يؤيد ما اتوك به العقل

تشاؤمهما

ان سيرة المعري والخيام وشعرهما وآراءهما في الكون تدل على انهما كانا (متشائمين) متألمين ماقتين للحياة لما فيها من شرور وآثام معتقدين ان كل ما فيها خطب وبلاء فالوجود خطب والحياة خطب والموت خطب والناس اشرار ذوو غدر وخبث وطباع فاسدة وان كل شيء في الكون خبيث رديء وان جملة الشرور فيه تفوق جملة الخيرات وان الام الحياة وبؤسها وشقاءها اكثر من مسراتها وافراحها .

والتشاؤم (مرض روحي) ابتلي به كثير من الفلاسفة والمفكرين من ذوي الامزجة العصبية وهو مذهب قديم نشأ في ديانة البوذيين وشاع في الشرق ودان به كثير من الحكماء فكان علة آلامهم وعلة ارجاعهم بهذا المرض يتغلغل غالباً في نفوس سكان البلاد الحارة الموبوءة القليلة الارزاق الفقيرة التي ما فيها عمل ولا كسب وكثيراً ما يحصل من الوراثة هذا عند عوام الناس وهو وقتي لا يلبث ان ينقلب الى تفاؤل وفرح وسرور ان تحسنت الحالة فهو اذاً عند عامة الجمهور ضرب من الشكوى الوقتية المتولدة من (الحاجة) ومتى زالت

الحاجة زال التشاؤم سريعاً .

اما عند الحكماء المفكرين فامره عظيم شأنه كبير فانه يتولد فى نفوسهم من سلسلة التفكرات العميقة والتأملات الطويلة فى شؤون غامضة وامور مبهمة لم يتوصل العقل البشرى الى حل معضلاتها كالوجود والواجب وسر الوجود والخليقة وعللها ووضعها ونواميسها والكون وهل هو حادث او قديم وهل هو محدود ومتناه او غير محدود وغير متناه والازلية والسببية والمبدأ والمنتهى والمعاد والروح والخلود الى غير ذلك من الاسرار والالغاز التى ما تأمل فيها احد الا رجعت تأملاته على اعقابها وتسرب اليه الريب ومال الى الشك قسراً لا اختياراً والشك الذى هو نتيجة عدم ادراك هذه المعميات هو الذى يولد (التشاؤم) ويورث الالم واليأس . وفى الحقيقة اذا فكر الانسان فى علة وجود هذا الكون وفى سبب هذه الخليقة والايجاد والبقاء والانتقال الى جهة لا تعرف غايتها وعاقبتها وفى موته الذى يتخلى به عن رجائه وامله وامانيه يشعر ولا ريب بهزات عنيفة فى وجدانه وصدمات قوية فى شعوره واحساسه واستيلاء يأس ظالم مخيف وخيالات مريعة واحلام محزنة والانسان مفطور على حب البقاء فى الحياة على ما فيها من وجع وكدر وافة البقاء العدم وفكرة العدم والفناء والاضمحلال هى التى تورث التشاؤم الذى لا مندوحة عنه ما دام موقناً بها .

وقد اعدت الراحة الكبرى لمن كان معتقداً بكون له ابتداء وانتهاء اوجده خالق قدير من العدم وسيورده العدم كما اوجده . وان هناك

حشراً ونشراً وحساباً وعقابا وانهناك جنة عرضها السموات والارض فيها حور عين واباريق وكأس من معين وفاكهة ولحم طير مما يشتهون اعدت للمؤمنين الصالحين وان هناك ناراً ملتهبة فيها الوان من العذاب اعدت للمجرمين الآثمين .

فهذا الامل الرائع يمنح المعتقدين راحة وسلاماً واماناً فى الحيـــاة فطوبى للمعتقد المؤمن وويل للشاك المرتاب .

وان ابا العلاء المعرى الذى تدل كلماته واقواله على انه كان عنادياً بحتاً مرتاباً فى وجود خالق صانع مدبر ، حائراً فى سبب الخليقة والايجاد والفناء ، شاكا فى العقائد التى من ضمنها الحشر والمعاد والخلود — يجب ان يكون بطبيعة الحال (متشائماً) وهذا هوالواقع . وانك لتجدعند قراءة (لزومياته) صيحاته الاليمة وصرخاته الحزينة وكأنك تكاد تلمس يأسه وقنوطه فى شعره من اسئلته الدالة على تحيره الكثير وارتيابه العظيم .

وهذه الاراء التى ضاق بها صدر هذا الحكيم والمصائب والنكبات التى المت به بفقدان بصره وموت ابيه وامه وفقره ووهنه هى التى اشعلت فى قلب الشيخ جذوة اليأس والألم فراح يكيل للاديان السباب وللانبياء الشتم وللناس القذع ، ماقتاً الحياة وسكانها مرسلا خراطيم من نار غضبه على طبائعهم وسجاياهم ، معتزلا عن الناس ، قابعاً فى كسر داره تتقاذفه أمواج الشكوك حتى صيرته حليف الضنى واليأس والبؤس وهل هناك برهان اقوى على مقته الحياة من ايصائه ان يكتب على قبره :

هـــذا جناه ابى عـــــلى وما جنيت على احد

وقوله:

اراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسال عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي ... وكون النفس في الجسد الخبيث

وقوله:

* * *

تعب كلها الحياة فما اعـ ... جب الا من راغب في ازدياد

وقوله وهو دليل على مقته الناس:

مسخ المعاشر فالغضنفر ثعلب ... في لؤمه والناس كالنسناس
وتفكرت نفس اللبيب وقد رأت ... أشخوص جن أم شخوص أناس
عرب وعجم داثلون وكلنا ... في الظلم اهل تعابه وجناس

وقوله:

* * *

والشر طبع وقد بثت غريزته ... مقسومة بين انواع واجناس

* * *

سجايا كلها غـــدر وخبث ... توارثها أناس عن أناس

وقد تزاحمت هذه الافكار في رأس عمر الخيام كما تزاحمت في رأس صاحبه المعري وكان الشؤم واليأس ملازمين لروحه مسيطرين على احساسه وشعوره حتى بلغ من كراهيته للحياة وتشاؤمه منها انه تمنى انه لولم يكن مخلوقاً في الدنيا.

گر آمـــد نم بمن بدی نامدی
ورنيز شدن بمن بدی کی شدمی

به زآن نبدى كه اندرين عالم خاك
نه امـــدى نه شـــدمى نه بدمى

لو كان مجيئ باختيارى لما جئت ولو كانت خلقتى بيدى لما رغبت ان اخلق . الافضل انى لم أ كن فى هذا العالم ولم أجئ اليه ولم أخلق ولم ابق فيه .

لقد علمنا مما تقدم ذ كره ان كلا الحكيمين اتفقا على ان الحياة خطب وبلاء فقد اتحدا واتفقا على تشخيص الداء الا انهما اختلفا فى الدواء :

الخمرة ـــ المنية

كان عمر الخيام يرى ان الوسيلة الوحيدة الى النجاة من آلام الحياة السلافة وكان المعرى يرى ان المنية هى الوسيلة الى ذلك وقد وصف الخيام الخمر بما وصف به ابو العلاء الموت . وفى طاقتنا ان نقول ان نفس المعانى التى ذ كرها المعرى فى الموت جعلها الخيام فى الخمر فقد ذهب فى المغالاة بمدحها والاسراف فى حبها والولوع بها وحث الناس على شربها ما جعل بعض الباحثين ان يسيئوا به الظنون ويعتبروا اقواله ضرباً من الجنون ونزعة من السفه وقد ذهب الخيام فى الخمرة مذهب ا كثر الشعراء والحكماء الذين كانوا يرون ان فيها راحة للنفوس وتسكيناً للاوجاع وتخفيفا للالام والا كدار ومما ينسب الى الحكيم الفارابى فى هذا المعنى قوله :

بزجاجتين قطعت عمرى وعليها عولت امرى
فزجاجـــة ملئت بحبر وزجاجـــة ملئت بخمر
فبذى أدون حكمى وبذى أزيل هموم صدرى

وتدل رباعياته على انه لم يشرب لمجرد اللهو والعبث وانما اتخـــذها دواء كما يتخذ المريض الدواء لمرضه وانه كان يرى السلافة هى الوسـيلة الوحيـــدة الى تبديد الهموم وتفريج الكروب عن الصدور فمن ذلك قوله:

مي خوردن من نه از براى طرب است
ني بهر فساد وترك دين وادب است
خواهم كه ببيخورى بر آرم نفسى
ميخوردن ومست بودنم زين سبب است

ليس شرب الخمرة من اجل الطرب والفساد وترك الدين والأدب .
انما اريد ان اتنفس الصعداء وانا ذاهل عن نفسى فشربي الخمرة وسكرى لهذا السبب .

از امدن بهـــار واز رفتن دى
اوراق وجـود مـاهمى كردد طى
مي خور مخور اندوه كه كفتست حكيم
غمهاى جهان جوز هرو ترياكش مى

بين مجيء الربيع وذهابه تنطوي اوراق وجودنا . اشرب الخمرة ولا تتألم فقد قال الحكيم ان الالام الحية سم ودرياقها الخمر .

وقد ظن بعض الباحثين ان السلافة التي يتغنى بها الخيام في رباعياته هي (سلافة الحب) او (خمرة الحقيقية) او (السكر المقدس) وهي الخمرة الخيالية التي ينشدها شعراء الصوفية في قصائدهم مثل ابن الفارض وجلال الدين الرومي وغيرهم وفي الحقيقة ان هذا الظن باطل غير صحيح فان عمر الخيام لم يتغزل بخمرة وهمية وانمــــا تغزل بالمشعشة الحمراء بنت الكروم لابادة الألم الرابض في صدره والرباعيتان اللتان تقدم ذكرهما كافيتان في دحض هذا الزعم.

وقد وصف الخيام المدامة باوصاف دقيقة بديعة تدل على انه كان ممن دارس الخمرة ومارس شربها دهراً طويلا فهو في وصفه الرائع اشبه بابي نواس في وصفه لها حتى لقد سن للسكارى قانوناً في كيفية تعاطيها قال :

گر باده خوری تو با خرد مندان خور
يا با صنمی لاله رخی خندان خور
بسيار مخور ورد مكن فاش مساز
اندك خور وگه گاه خور و پنهان خور

اذا شئت شرب الخمرة فاشربها مع العقلاء او مع مليح ضحوك ذي محيا منير ولا تشرب كثيراً ولا تفحش في الكلام واشرب قليلا وبين آونة واخرى وفي الخفاء :

اما شيخ المعرة فقد خالف صاحبه فى هذا المعنى وا كثر من ذم الخمرة وقبحها وندد بشار بها و زعم انها سالبة العقول هاتكة الوقار مفرقة الاحباب وقد اجهز على السلافة فى لزومياته فمن ذلك قوله .

وحاذر من الصهباء فهى عدوة من الصهب مشت فى مفاصلك السكرا

وقوله :

* * *

البابليـــة باب كل بلية فتوقين هجوم ذاك الباب
جرت ملاحاة الصديق وهجره واذى النديم وفرقة الاحباب
أم الحباب وان أميت لهيبها بمزاجها وافت كأم حباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت مهن العبيد تهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف انهم لبسوا على كبر برود شباب
واذا تأملت الحوادث ألفيت صهب الدنان اعادى الالباب

وقوله :

* * *

دبيب نمال من عقار تخالها بجسمك شر من دبيب العقارب
ولو انها كالماء طلق لاوجبت قلاها اصيلات والنهى والتجارب

* * *

تجرع موت لا تجرع لذة من الخمر فى كاساتهم والاباريق

* * *

قلنا غير مرة ان الخيام والمعرى كانا يريان الحياة خطباً وشراً يجب التخلص منها اما الخيام فقد رأى ان احسن وسيلة تنجيه منها هى (الخمرة) واما المعرى فقد ذمها وكان يرى ان الموت هو الدواء الشافى وكان يتطلب الفرج على يد المنية وقد تمناها فى كثير من شعره فمن قوله :

اما حياتي فمالى عندها فرج ... فليت شعرى عن موتى اذا قدما
صحبت عيشاً اعانيه ويغلبنى ... مثل الوليد يقود المصعب السدما
وقد مللت زمـــاناً شره لحب ... اذا دنا لخبو عاد فاحتـدما
من باعنى بحيــاتى ميتـة سرحا ... بايعته واهـان الله من ندما

وقوله :

* * *

رب متى ارحل عن هذه الـ ... دنيا فاني قد اطلت المقام
لم ادر ما نجمى ولـكنه ... فى النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقى يترجى يدى ... ولا عدوى يتخشى انتقام
والعيش سقم للفتى منصب ... والموت يأتي بشفاء السقام
والترب مثواى ومثواهم ... وما رأينا احداً منه قام

وقوله :

* * *

مللت عيشى فعوجى يا منية بى ... وذقت فنين من بؤس ومن رغد
غدى سيوجد امسى لا ينازعنى ... فى ذاك خلق وامسى لا يصير غدى

مصير الجسم بعد الموت

وقد اختلف الحـكيمان ايضاً فى قضية مصير الجسم بعد موته فكان ابو العلاء تارة يحفل بجسم الانسان بعد موته وتارة لا يرغب فى تكريمه ولا يهتم بما يفعل به لانه لا يحس ولا يتألم فمن قوله فى تـكريم الجسم :

خفف الوطأ ما اظن اديم الـ ... أرض الا من هذه الاجساد
سر ان اسطعت فى الهواء رويداً ... لا اختيالا على رفات العبـــاد

ومن قوله في عدم تكريمه :

تكرم اوصال الفتى بعد موته ... وهن اذا طال الزمان هباء

وقد غالى المعري في عدم الاعتناء بالجسد حتى استحسن من عادات الهنود حرق اموتهم .

فاعجب لتحريق اهل الهند ميتهم ... وذاك اروح من طول التباريح
ان احرقوه فما يخشوه من ضبع ... تسرى اليه ولا خفى وتطريح
والنار اطيب من كافور ميتنا ... غبأ واذهب للنكراء والريح

وقد خالف الخيام شيخ المعرة في هذا المعنى فكان مبالغا في تكريم الجسد موصياً الخزاف بالرفق عند جبله الطين قائلا انها اجسام بشرية يجب ان تعامل بالحسنى .

ای کوزه گران نکوش اگر هشیاری
تا چند کنی بر گل آدم خواری
انگشت فریدون وکف کیخسرو
بر چرخ نهاده‌ چه می پنداری

ايها الخزافون اسمعوني ان كنتم منتبهين : حتى م تظلمون طينة ابن آدم . انكم قد وضعتم اصبع فريدون و كف كيخسرو على الدولاب فماذا تظنون ؟ .

دی کوزه گری بدیدم اندر بازار
برپاره گلی لگد همی زد بسیار

وآن كل بريان حال باوى ميكفت
من همجو تو بوده ام مرانيكو دار

رأيت امس خزافا فى السوق وكان بركل قطعة من الطين وكان لسان حالها يقول للخزاف لقد كنت ياهذا مثلك فعاملنى بالحسنى.

وقد عاش الشيخين عزبين ولم يتزوجا وكان رأى المعرى فى المرأة سيئاً وكان يكره النسل ويرى الزواج اثماً وجرماً عظيمين فلم يشأ ان يجنى على غيره كما جنى ابوه وفى ذلك يقول :

وارحت اولادى فهم فى نعمة العـ ـدم التى فضلت نعيم العاجل
ولو انهم ظهروا لعانوا شـــدة ترمي بهم فى موبقات الآجـــل

* * *

فالبث وحيداً لا وصيـــ ـفة فى ذراك ولا وصيف

ومع ان الخيام عاش بلا ريب اعزب فلم نطلع على رأيه فى الزواج والمرأة والنسل ...

القســـــــــم الثاني

رباعيات



— ١ —

قومی متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند درشک ویقین
ناگاه منادیٔ در آید ز کمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

قوم يتفكرون فى المذهب والدين ، وآخرون محتارون بين الشك واليقين
واذا بمناد يهتف بهم من عالم الغيب ، ايها الغافلون الطريق لا هذا ولا ذاك .

— ۲ —

ای مفتیٔ شهر ازتو پرکار تریم
با این همه مستی زتو هشیار تریم
ماخون رزان خوریم وتوخون کسان
انصاف بده کدام خونخوارتریم؟

نحن يامفتى المدينة اصلح منك عملا ، ومع كل هذا السكر اصحى منك ، انا نشرب دم العنب ، وانت تشرب دما الناس فانصف ! اينا اشد سفكا للدماء ؟

*

*

— ۳ —

شیخی بزن فاحشه گفتا مستی
هر لحظه بدام دگری پابستی
گفتا شیخا هر آنچه گویی هستم
اما تو چنانچه منمائی هستی؟

قال شيخ لفاحشة انت سكرى وفى كل لحظة متعلقة بشخص فقالت ايها الشيخ ! ان الذى قلته صحيح لكنك هل انت كما تظهر للناس ؟.

— ٤ —

آنانکه به کار عقل در میکوشند
هیهات که جمله گاو نر میدوشند
آن به که لباس ابلهی درپوشند
کامروز به عقل تره می نفروشند

اولئك الذين همّهم الجهد من طريق العقل ، هيهات انهم يحلبون ثوراً ، الاجدر بهم ان يتقمصوا البلاهة ، اذ لايشترى اليوم بالعقل باقة من حشيش .

*

— ٥ —

ایکاش که جای آرمیدن بودی
یا این ره دوررا رسیدن بودی
کاش ازپی صد هزار سال از دل خاك
چون سبزه امید بر دمیدن بودی

ياحبّذا لو كان للراحة محل ، وياحبذا لو بلغنا آخر هذا الطريق الطويل ، وياحبذا لو كان هنالك امل فى العودة الى الحياة بعد مآت الألوف من السنين ، كما يعود العشب من قلب التراب .

— ٦ —

دل سر حیات اگر کماهی دانست
در مرگ هم اسرار آلهی دانست
امروز که باخودی ندانستی هیچ
فردا که زخود روی چه خواهی دانست ؟

لو عرف القلب سر الحياة كما هى ، لعرف ايضاً فى الموت الاسرار الآلهية ، انت لاتعلم شيئاً اليوم وانت مع نفسك ، فماذا تعلم غداً اذا تجردت عنها ؟

*　　　　*

— ٧ —

قومی متفکرند در مذهب ودین
جمعی متحیرند درشک ویقین
ناگاه منادیی در آید ز کمین
کای بیخبران راه نه آنست ونه این

قوم يتفكرون فى المذهب والدين ، وأخرون محتارون بين الشك واليقين ، واذا بمناد يهتف بهم من عالم الغيب ، ايها الغافلون ، الطريق لاهذا ولاذاك .

— ٨ —

چون مردن تومردن یکبارگی است
یکبار بمیر این چه بیچارگی است
خونی ونجاستی ومشتی رك وپوست
انگار نبود این چه غمخوارگی است

لما كان موتك مرة واحدة ، مت مرة واحدة ! ما هذه المسكنة ؟ دمٌ ونجاسة وصم من عظم وجلد ، فما هذه المحنة من اجل شيءٍ تافه حقير .

*   *

— ٩ —

گر برفلکم دست بدی چون یزدان
برداشتمی من این فلکرا زمیان
ازنو فلك دگر چنان ساختمی
کآزاده به کام دل رسیدی آسان

لو كنت مهيمناً على الفلك ، هيمنة خالق ، لقضيت على هذاالفلك ، وخلقت فلكا غيره ، على ان يبلغ المرء فيه مرامه بدون عناء .

— ۱۰ —

آورد باضطرارم اول بوجود
جز حیرتم از جهان چیزی نفزود
رفتیم باکراه رندانیم چه بود
زین آمدن وماندن ورفتن مقصود

جاء بی علی الرغم منی الی الوجود، ولم ازدد غیر الحیرة فی هذه الحیاة، ذهبنا مکرهین، ولم نعلم الغرض من مجیئنا وبقائنا وذهابنا.

*

*

— ۱۱ —

یزدان جو گل وجو دما می‌آراست
دانست زفعل ماچه بر خواهد خواست
بی حکمش نیست هر گناهی که مراست
پس سوختن قیامت از بهرچه خواست؟

لما کوّن الله وجودنا من الطین، کان یعلم بالافعال التی ستصدر منا، لیس خارجا من حکمه کل ذنب نقترفه، اذاً فلماذا یصلینا فی السعیر یوم القیامة؟

— ۱۲ —

در رهگذرم هزار جا دام نهی
گویی که بگیرمت اگر گام نهی
یك ذره زحکم توجهان خالی نیست
حکم تو کنی وعاصیم نام نهی ؟

تضع الاشراك فی الف مكان فی سبیلی ، وتقول اذا وقعت فیها فانی مبیدك ، لا تخلو ذرة فی العالم من سلطانك ، انت تقدر علیّ الحكم وانت تنعتنی بالعاصی ؟ .

— ۱۳ —

* *

از آب وگلم سرشتهٔ من چه کنم
وین پشم مرا تورشتهٔ من چه کنم
هر نیك وبدی که از من آید بوجود
تو بر سر من نوشتهٔ من چه کنم ؟

ماذا أصنع یا الٓهی وانت الذی جبلتنی من ماء وطین ، وانت الذی غزلت صوفتی ، انت كتبت علیّ كل مایصدر منی من خیر وشر فی هذا الوجود ، فماذا اصنع ؟

— ١٤ —

عمرت تا کی بخود پرستی گذرد ؟
یا در پی نیستی وهستی گذرد ؟
می نوش که عمری که اجل در پی اوست
آن به که بخواب یا بمستی گذرد

حتى مَ يمرّ عمرك فى عبادة نفسك ، او فى الافتكار فى الوجود والعدم ، اشرب الخمر فان العمر الذى يعقبه الموت يحسن ان ينقضي فى النوم او السُكر .

— ١٥ —

* *

تا زهره ومه در آسمان گشت پدید
بهتر زمی ناب کسی هیچ ندید
من در عجبم زمی فروشان کایشان
به زانچه فروشند چه خواهند خرید

منذ ظهرت الزهرة والقمر فى السماء ، ما رأى احد احسن من الخمرة الصافية ، يا عجبى من بائعى الخمر اى شيء سيشترون احسن مما يبيعون !

— ١٦ —

گر من زمی مغانه مستم ، مستم ؛
گر کافر و گبر و بتپرستم هستم
هر طایفهٔ بمن گمانی دارند ؛
من زان خودم ، چنانکه هستم ، هستم

انا ان كنت ثملاً بخمرة المجوس فانا ذاك ، وان كنت كافراً او مجوسياً او وثنياً فانا ذاك ، لكل طائفة ظنٌّ فيّ ، اما انا فملك نفسي اكون كما اريد .

*

— ١٧ —

*

این قافلهٔ عمر عجب میگذرد
در یاب دمی که باطرب میگذرد
ساقی غم فردای قیامت چه خوری ؟
پیش آر پیالهٔ که شب میگذرد

تسير قافلة العمر سيراً عجيباً ، فاغتنم وقتاً تطرب فيه ، ايها الساقي ! مالك مهموماً من القيامة في غد ؟ هات الزجاجة فان الليل على وشك الفناء .

— ١٨ —

روزی که گذشته است ازو یاد مکن
فردا که نیامده است فریاد مکن
برنا مده وگذشته فریاد منه
حالی خوش باش وعمر برباد مکن

لا تذكر اليوم الذى مضى ، ولا تجزع من غدٍ لم يأت بعد ، ولا تفزع مما لم يأت ومما مضى ، طب نفساً ولا تنغص عيشك .

— ١٩ —

مائیم دراو فتاده چون مرغ بدام
دلخستهٔ روزگار وآشفته مدام
سرگشته درین دائرهٔ بی در وبام
نا آمده بر مراد ونارفته به کام

وقعنا فى هذه الحياة وقوع الطير فى الفخ ، مفؤدين من الدهر ، طائشين على الدوام . تائهين فى هذه الدائرة التى لاسطح لها ولاباب ، لاجئنا باختيارنا ولا ذهبنا بارادتنا .

— ٢٠ —

تاهُشیارم طرب زمن پنهانست
چون مست شوم در خردم نقصانست
حالیست میان مستی وهُشیاری
من شادم از آن که زندگانی آنست

ما دمتُ صاحياً فالطرب خاف عنى ، واذا ثملت نقص عقلى ، انما بين الصحو والسكر ، حالة هى وجدها لذة الحياة .

— ٢١ —

* *

گویند بمن بهشت باحور خوشست
من میگویم که آب انگور خوشست
این نقد بگیر ودست از ان نسیه بدار
کاواز دهل شنیدن از دور خوشست

يقولون لى الجنة طيبة بالحور وانا اقول ماء العنب ـ الخمر ـ هو الطيب ، خذ هذا النقد وذر ذلك الوعد ، فان صوت الطبل من البعيد حسن .

— ٢٢ —

گر باده بکوه در دمی رقص کند
ناقص بود آنکه باده‌را نقص کند
از باده مرا توبه چه میفرمایی ؟
روحیست که او تربیت شخص کند

ان سقيت الجبلَ خمراً رقص الجبل ، ناقص من ينتقص من قدرها — يذمها — اتطلب اليّ ان اتوب من شرب الخمرة ، وهي تلك الروح التي تربي الانسان .

*

— ٢٣ —

*

می نوش که عمر جاودانی اینست
خود خاصیت دور جهانی اینست
هنگام گل و مل است و یاران سرمست
خوش باش دمی که زندگانی اینست

اشرب الخمرة لانها الحياة الدائمة ، وهي وحدها مزية الدنيا ، الوقت وقت ورد وطرب ، والاخلاء سكارى ، اسعد لحظة ! هذه هي الحياة .

—٢٤—

زان پیش که غمهات شبیخون آرند
فرمای که تا بادهٔ گلگون آرند
تو زر نهٔ ای غافل نادان که ترا
در خاك نهند وباز بیرون آرند

قبل ان تهلكك همومك، مرهم ان يأتوك بمدامة وردية. ايها الجاهل الغر! انت لست ذهباً ليدفنوك في التراب ثم يخرجوك.

*　—٢٥—　*

من بندهٔ عاصیم رضای تو کجاست
تاریك دلم نور وصفای تو کجاست
مارا تو بهشت اگر بطاعت بخشی
آن بیع بود لطف وعطای تو کجاست

انا عبدك العاصي، فاين رضاؤك، انا المظلم قلبه فاين نورك وصفاؤك، ان كنت تهبنا الجنة بالطاعة لك كان ذلك بيعاً، فاين لطفك وعطاؤك؟

— ٢٦ —

این چرخ چو طاسیست نگون افتاده
دروی همه زیرکان زبون افتاده
بر دوستیء شیشه وساغر نگرید
لب بر لب ودر میانه خون افتاده

ان هذه السماء كطاس مقلوبة وفيها كل الاذكياء إذلاّء . انظروا الى الصداقة بين الابريق والكأس ، الشفاه فوق الشفاه وبينهما الدم .

*　　　　　　　　*

— ٢٧ —

تاچند اسير رنك وبو خواهى شُد
چند از پى هر زشت ونكو خواهى شد
گر چشمهٔ زمزمى وگر آب حيات
آخر بدل خاك فرو خواهى شد

الى كم انت تصبو الى اللون والرائحة، وتركض وراء كل طيب وخبيث ، ستغور فى باطن الارض ، حتى لو كنت ماء زمزم او ماء الحياة .

—٢٨—

چون میگذرد عمر چه شیرین وچه تلخ
پیمانه چو پر شود چه بغداد چه بلخ
می نوش که بعد از من وتو ماه بسی
از سلخ بغره آید از غره بسلخ

مادام العمر ينقضي ، فسيان عندي حُلوه ومرّه ، واذا امتلأت الكأس « مت » فسيان عندي امت في بغداد ام في بلخ ، احس ياصاح كئوس الحميا ، فان القمر سينتقل من بعدي وبعدك من السلخ الى الغرّة ومن الغرّة الى السلخ كثيراً

*

*

—٢٩—

دشمن بغلط گفت که من فلسفیم
ایزد داند که آنچه او گفت نیم
لیکن چو در این غم آشیان آمده ام
آخر کم از آنکه من بدانم که کیم ؟

اخطأ العدوّ بقوله اني فلسفي ، وقد علم الله اني لست كما قال ، ولكني اذ وجدت نفسي في دار الغم « الدنيا » فلا اقلّ ان اعرف من انا ؟



جز راه قلندران میخانه مپوی ،
جز باده وجز سماع وجز یار مجوی ،
بر کف قدح باده وبر دوش سبوی ؛
می نوش کن ای نگار وبیهوده مگوی.

لا تسلك غير سبيل قلندرية الحانة ، ولا تتطلب غير الخمرة والسماع والحبيب ، ضع القدح على كفك والدن على متنك واشرب ايها الجميل ولا تقل هجرا .

— ٣١ —

سیم ارچه نه مایهٔ خرد مندانست ،
بی سیمان را باغ جهان زندانست ؛
ازدست تهی بنفشه سر بر زانوست ؛
در کیسهٔ زر دهان گل خندانست .

ولو ان الفضة لا تكون ذخيرة العقلاء ، لكن روض الحياة سجن المفلسين ها هي البنفسجة نكست رأسها لخلو . . وفها ، وها هي الوردة باسمة الثغر في كيسها الذهبي .

— ٣٢ —

در چشم محققان چه زیبا وچه زشت ،
منزلگه عاشقان چه دوزخ چه بهشت ؛
پوشیدن بیدلان چه اطلس چه پلاس ،
زیر سر عاشقان چه بالین وچه خشت ،

سواء في نظر المحققين — العقلآء — الجميل والقبيح وسواء في نظر العاشقين مثوى الجنة والنار ، وسوآء لدى المسلوب قلبه ، الحرير والمنسوج الخشن ، وسوآء لدى العاشقين توسد الريش والحجارة .

— ٣٣ —

دنیا نه مقام تست نه جای نشست ،
فر زانه در او خراب، او لیتر ومست ؛
بر آتش غم زباده آبی میزن ،
زآن پیشس که درخاک روی باد بدست .

ليست الدنيا بدار قرار ودار اقامة ، افضل للحكيم فيها ان يكون ثملاً ومصروعاً ، اسكب ماء الخمرة على نار الغموم ، قبل ان تذهب الى القبر صفر اليدين .

— ٣٤ —

* *

دنیا بمراد رانده گیر آخر چه ؟
وین نامهٔ عمر خوانده گیر آخر چه ؟
گیرم که بکام دل بماندی صد سال ،
صد سال دگر بمانده گیر آخر چه ؟

ما العقبى اذا بلغ المرء من الدنيا المراد ؟ وما الغاية اذا قرأ الانسان كتاب اعماله ؟ فلنفرض انك نلت مرامك مائة عام ، وعش بعدها مائة عام فما هي النتيجة ؟ !

— ٣٥ —

از تن چو برفت جان پاك من وتو ،
خشتی دو نهند بر مغاك من وتو ؛
وآنگه زبرای خشت گور دگران ،
درکالبدی کشند خاك پاك من وتو .

حين تخرج من الجسد روحي وروحك الطاهرة يضعون لبنتين على لحدي ولحدك ، ثم لاجل لبنتين لقبر آخر يضعون ترابي وترابك في القالب .

— ٣٦ —

* *

دریاب ! کهاز روح جدا خواهی شُد ،
در پردهٔ اسرار فنا خواهی شد ؛
می نوش ! ندانی زکجا آمدهٔ ،
خوش باش ! ندانی بکجاخواهی شد .

انتبه — اعلم — ! انك ستفترق عن روحك وستفنى وراء ستار الاسرار ، اشرب الخمرة ! انك لا تدرى من اين اتيت ، واسعد ! انك لا تعلم الى اين تذهب .

— ٣٧ —

سیر آمدم ای خدای از هستی خویش ،
از تنك دلی واز تهی دستی خویش ؛
از نیست چو هست میکنی بیرون آر ،
زین نیستیم بحرمت هستی خویش .

مللت يا الٓهي وجودي وضيق صدري وفراغ يدي ، يامن يجعل من العدم وجوداً اخرجني من عدمي بحرمة وجودك .

* — ٣٨ — *

خیام که خیمه های حکمت میدوخت ،
در کورهٔ غم فتاد وناگاه بسوخت ؛
مقراض اجل طناب عمرش ببرید ،
دلاّل امل برایگانش بفروخت .

وقع الخيام الذي كان يخيط خيم الحكمة في كور الغم واحترق ، وقد قطع مقراض الاجل طناب عمره ، وباعه دلاّل الأمل رخيصا .

— ٣٩ —

گر باده خوری توبا خرد مندان خور ،
يابا صنمي لاله رخ وخنـدان خور ؛
بسيار مخور ، فاش مكن ، ورد مساز ،
اندك خور ، وگه گاه خور ، وپنهان خور.

ان تشرب الخمرة . فاشربها مع العقلاء اومع جميلة باسمة موردة الخدين ، لاتشرب كثيراً ، لاتفشي شربك لاحد ، لا تلهج بها ، اشرب قليلا ، وبين آونة واخرى ، وفى الخفا — سراً — .

— ٤٠ —

*

*

گرمى نوشد گدا به ميرى برسد ،
ورروبهكى خورد به شيرى برسـد ،
ور پير خورد جوانى از سر گيرد ،
ورز آنكه جوان خورد به پيرى برسد.

اذا شرب الفقير الخمرة رأى الأمارة فى نفسه ، واذا شربها الثعلب رأى السبعية فى نفسه ، واذا شربها الشيخ جدد لنفسه عهد الشباب ، واذا شربها الفتى رأى عهد الشيخوخة — طال عمره — .

— ٤١ —

سر دفتر عالم معـانی عشق است،
سر بیت قصیدهٔ جوانی عشق است؛
ای آنکه خبر نداری از عالم عشق،
این نکته بدان که زندگانی عشق است.

العشق عنوان عالم المعانی، ومطلع قصیدة الشباب فاعلم ایها الغافل عن عالم العشق هذه النكتة، ان الحیاة هی العشق.

* *

— ٤٢ —

یك نان به دو روز گر شود حاصل مرد،
وز کوزهٔ اشکسته دمی آبی سرد،
مأمور کسی دگر چرا باید بود؟
یاخدمت چون خودی چرا باید کرد؟

اذا وجد المرء رغیفاً فی یومیه. او وجد فی بعض الاحیان فی کوز مکسور جرعة ماء بارد، فلماذا یکون تحت امرة غیره، اوفی خدمة من یضاهیه؟

— ٤٣ —

ابريق مى مرا شكستى ربى !
برمن در عيش راببستى ربى ،
بر خاك فكندى مى كلگون مرا ،
خاكم بدهن مكر تومستى ربى ؟

يا الٓهى حطمت ابريق مدامى ، واوصدت باب الأنس فى وجهى ، سكبت على الارض خمرتى الوردية ، تراب بفمى هل انت سكران ياربى ؟ !

— ٤٤ —

نا كرده گناه در جهان كيست بگو !
وانكس كه گنه نكرد چون زيست بگو !
من بد كنم وتو بد مكافات دهى ؟
پس فرق ميان من وتو چيست بگو ؟ !

يا الٓهى قل من الذى لم يأثم فى الدنيا ، وكيف يلبث فيها من لا يأثم فاذا كنت تقابلنى على سيئتى بسيئة مثلها اذاً فما الفرق بينى وبينك ؟ !

— ٤٥ —

نازم به خرابات که اهلش اهلست ،
چون نیك نظر کنی بدش هم سهلست ؛
از مدرسه بر نخاست یك اهل دلی ،
ویران شود این خرابه دار الجهلست .

انباهى بحانات الخمر فان اهلها اكفاء واذا انعمت النظر فى طالحهم وجدته لا بأس به ، لم ينبغ احد من المدرسة من ذوى القلوب النيّرة لتنهدم هذه الخرابة فانها دار الجهل.

* — ٤٦ — *

خیام تنت بخیمهٔ ماند راست ،
جان سلطانیکه منزلش دار بقاست ؛
فراش ازل زبهر دیگر منزل
نه‌خیمه بیفکند چو سلطان برخاست .

اى خيام ! ان جسدك يماثل الخيمة حقاً والروح التى منزلها دار البقاء تشبه السلطان . فاذا ارتحل السلطان الا يقوض الخيمة فراش الازل .

— ٤٧ —

می خور که مدام راحت روح تو اوست ،
آسایش جان و دل مجروح تو اوست ؛
طوفان غم ار در آید از پیش وپست
در باده گریز ، کشتیء نوح تو اوست .

اشرب الصهباء فانها راحة روحك وامان لنفسك وقلبك المجروحين ، واذا داهمك طوفان الغم من ورائك وامامك . فالجأ ولذ بالخمرة فانها سفينة النجاة .

* — ٤٨ — *

خورشید کمند صبح بربام افکند ؛
کیخسرو روز باده در جام افکند ،
می خور که منادیء سحرگه خیزان ؛
آوازهء « اشربوا » در ایام افکند .

ارسلت الشمس اشعتها الذهبية على السطح وقد صب ملك النهار صهبائه فی الجام ، اشرب المدامة فقد نادى مؤذن السَحَر ان « اشربوا » .

— ٤٩ —

یارب خردم در خور اثبات تو نیست ،
واندیشهٔ من بجز مناجات تو نیست ؛
من ذات ترا بواجبی کی دانم ،
دانندهٔ ذات تو بجز ذات تو نیست .

ربي ! ليس لعقلي من السعة لاثباتك ، انا لا افتكر الا في مناجاتك انا لا اعرف ذاتك حق المعرفة ولا يعرف ذاتك الا ذاتك .

*

— ٥٠ —

*

بر مفرش خاك خفتگان می بینم ؛
در زیر زمین نهفتگان می بینم ؛
چندانکه به صحرای عدم می نگرم ،
ناآمدگان ورفتگان می بینم .

ارى فوق فراش الارض أناساً غارقين في سباتهم وارى تحت اطباق الثرى اناساً مختفين ، انا كلما انظر الى بيداء العدم . ارى اناساً لم يأتوا بعد ولم يذهبوا .

— ٥١ —

کس خلد وجحیم را ندیدست ای دل ؛
کو آن که از آن جهان رسیدست ای دل؟
امید وهراس ما بچیزیست کز آن ،
خود نام ونشانی نه پدیدست ای دل .

یاقلب ! لم یر احد الخلد والجحیم ، یاقلب این الذی جاء من ذلك العالم ؟ ان رجائنا وخوفنا من شي لم نجـد اسمه ولا رسمه .

*

— ٥٢ —

*

از آمدن ورفتن ما سودی کو ؟
وزتار امیـد عمر ماپودی کو ؟
در چنبر چرخ جان چندین پاکان .
میسوزد وخاك میشود ، دودی کو ؟

ای نفع من مجیئنا وذهابنا ، لم نجد سدی لحمة الأمل من عمرنا . فی دائرة الفلك تشتعل ارواح الکثیرین من الطیبین وتصیر رماداً فاین دخانها ؟ .

— ٥٣ —

گویند بهشت وحور وکوثر باشد،
جوی می وشیر وشهد وشکر باشد،
یك جام بده بیاد آن ای ساقی!
نقـدی زهزار نسیه بهتر باشـد.

يقولون هناك — في الآخرة — جنّة وحور وكوثر وانهار من خمر ولبن وعسل مصفى، ناولني ايها الساقي كأساً على ذكرها! فان النقد الواحد افضل من الف نسيئة.

— ٥٤ —

* *

برگیر زخود حساب اگر باخبری؛
کاول توچه آوردی وآخر چه بری؛
گویی نخورم باده که میباید مرد.
میباید مرد اگر خوری یا نخوری.

حاسب نفسك ان كنت واعياً ابيباً. ماذا جئت به وماذا ستأخذ معك؟ تقول لا اشرب الخمر لاني سأموت. ياهذا سوف تموت شربتها او لم تشربها.

— ٥٥ —

اين صورت كون جمله نقشست وخيال،
عارف نبود هركه نداند اين حال ؛
بنشين قدحي باده بنوش وخوش باش ،
فارغ شو ازين نقش خيالات محال ،

ان صورة هـذا الكون نقش وخيال . ليس عارفاً من يجهل هذا الحال . اجلس واحس قدحاً من الخمرة واسعد ولا تشغل نفسك بهذه النقوش والخيالات .

*

*

— ٥٦ —

ماخرقهٔ زهد برسر خم كرديم ؟
وزخاك خرابات تيمم كرديم ؛
شايد بدر ميكدها دريابيم ،
آن عمر كه در مدرسه ها گم كرديم .

نحن وضعنا رداء الزهد على دن الخمر وتيممنا بتراب الحانات لعلنا نجد فى ابوابها ذلك العمر الذى اضعناه فى المدارس .

— ٥٧ —

من بی می ناب زیستن نتوانم ،
بی باده کشید بار تن نتوانم ؛
من بندهٔ آن دمم که ساقی گوید ،
یك جام دگر بگیر ومن نتوانم .

لا استطيع العيش بدون خمرة صافية ولا اقدر ان احمل عبء جسدي بدونها . انا عبد تلك اللحظة التي يقول فيها الساقي «خذ كأساً اخرى» وانا لا اقدر من شدة سكري .

*

— ٥٨ —

پیری دیدم بخانهٔ خماری ؛
گفتم نکنی ز رفتگان اخباری ؟
گفتا می خور که همچو ما بسیاری
رفتند وکسی باز نیامد باری .

رأيت شيخاً في دار خمار ، فقلت له الا تخبرني عن الذاهبين . قال اشرب المدامة ! فان كثيرين من امثالنا ذهبوا وما عاد منهم احد مرة .

— ٥٩ —

بر دار پیاله وسبو ای دلجو !
بر گرد بگرد سبزه زار ولب جو !
کین چرخ بسی قد بتان مهرو ؛
صد بار پیاله کرد وصد بار سبو .

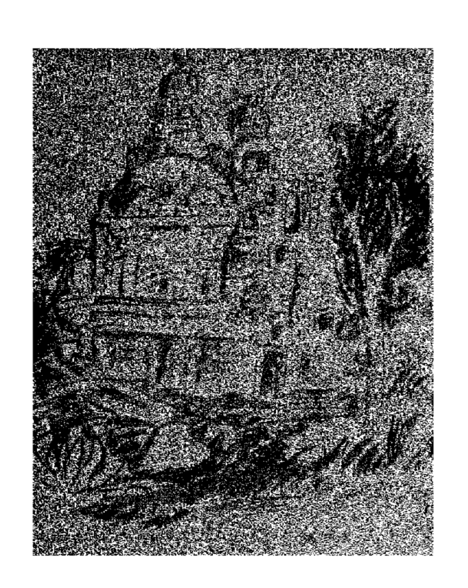
ایها الحبیب ! خذ كأساً وابريقاً ودر حول الروض الاخضر في جانب النهر فان هذا الفلك قد جعل من قدود الفاتنات ماءة مرة كؤوساً وماءة مرة اباريق .

*　　　　　　　　　　*

— ٦٠ —

از گردش روز گار بهری بر گیر !
بر تخت طرب نشین بکف ساغر گیر !
از طاعت ومعصیت خدا مستغنیست ،
باری تو مراد خود زعالم بر گیر .

خذ نصيبك من توالي الايام واجلس على سرير الطرب وخذ كأساً بيدك . ان الله غني عن الطاعة والمعصية فخذ على الاقل لذتك من الحياة .



— ٦١ —

آن قصر که بر چرخ همی زد پهلو،
بر درگه او شهان نهادندی رو؛
دیدیم که بر کنگره‌اش فاخته‌ئی،
بنشسته همی گفت که کو کو کو کو؟

ان القصر الذي كان يتسامى مع الفلك كتفاً الى كتفٍ والذي كان الملوك يضعون على اعتابه الجباه، قد رأينا الفاختة على شرفاته تسجع قائلة «كو كو كو كو» اى «اين اين اين».

— ٦٢ —

گر از پی شهوت وهوا خواهی رفت ؛
از من خبرت که بی نوا خواهی رفت ؛
بنگر چه کسی واز کجا آمده ! ؟
میدان که چه میکنی ، کجا خواهی رفت!

اذا كنت تجري وراء شهوتك وهواك ، فاني مخبرك انك ستذهب يائساً يائساً ، انظر من انت ومن اين اتيت ! ؟ وماذا تعمل والى اين تذهب ؟ .

— ٦٣ —

سرمست به میخانه گذر کردم دوش ،
پیری دیدم مست وسبویی بردوش ؛
گفتم : زخدا شرم نداری ، ای پیر !
گفتا کرم از خداست ، می نوش وخموش!

مررت بالحانة ثملاً ليلة امس فرأيت **شيخاً سكران** حاملاً دنّ خمر على متنه . قلت له **ألا تستحي من الله ياشيخ !** فاجاب « الله كريم » فاشرب واسكت ! .

— ٦٤ —

هين ، صبح دميد ودامن شب شدچاك،
برخيز وصبوح كن ، چرايى غمناك ،
مى نوش دلا ، كه صبح بسيار دمد
او روى به ما كرده وما روى بخاك !

انظر ! لقد طلع الصباح وتمزّق جلباب الليل فقم باكر صبوحك . مالك مغموماً ! اشرب الخمر ياقلبي ! فان الصبح سيطلع كثيراً علينا . وهو يولي وجهه نحونا ونحن نولي وجوهنا نحو التراب .

*　　　　　*

— ٦٥ —

من مى خورم وهركه چو من اهل بود،
مى خوردن او نزد خرد سهل بود ؛
مى خوردن من حق زازل ميدانست ،
گرمى نخورم علم خدا جهل بود .

انا أشرب الخمرة ويشربها كل من هو مثلي اهل لها . فان شربه لها ليس بصعب في نظر العقل ، لأن الله كان يعلم منذ الازل باني سأشربها فانا ان لم اشربها فعلمه اذاً يكون جهلا .

— ٦٦ —

گویند که ماه روزه نزدیك رسید ،
من بعد بگرد باده نتوان گردید ؛
در آخر شعبان بخورم چندان می ،
کاندر رمضان مست بیفتم تا عید .

یقولون قد اتی شهر رمضان ، ولیس لأحد بعد هذا ان یحوم حول المدام ، اما انا فسأشرب منها فی آخر شعبان ما ابقی به سکران طوال شهر رمضان حتی یوم العید .

* — ٦٧ — *

گر آمدنم بمن بدی نامدمی ،
وزنیز شدن بمن بدی کی شدمی ؛
به زآن نبدی که اندراین دیر خراب ،
نه آمدمی ، نه شدمی ، نه بدمی .

لو کان مجیئی باختیاری لما جئت ، ولو کانت خلقتی بیدی لما رغبت عن الخلق ، الافضل اننی لم اکن فی هذا الدیر الخرب ولم اجیء الیه ولم ابق فیه .

—٦٨—

جامی ومی وساقی برلب کشت ،
بهتر زبهشتی که خبر بودش رشت ؛
مشنو سخن بهشت ودوزخ ازکس ،
که رفته بدوزخ وکه آمد زبهشت .

كأس وخمرة وساق فی جنب روضة . خير من الجنّة التی وعدتها ، لا تسمعنّ من احد حديث الجنّة والنار من ذا ذهب الى الجحيم ومن ذا جاء من الجنّة ؟

* *

—٦٩—

مالعبتکانيم وفلك لعبتباز ،
از روی حقيقتی نه از روی مجاز ؛
بازيچه کنان بديم بر نطع وجود ،
رفتيم بصندوق عدم يك يك باز .

نحن ألاعيب اطفال والفلك هو اللاعب بنا . ذاك امر حقيقی غير مجازی ، لقد لعبنا مدة فی ساحة الوجود ثم ذهبنا الى صندوق العدم واحداً بعد واحد .

— ٧٠ —

يك جام شراب صد دل ودين ار زد ،
يك جرعهٔ مى مملكت چين ار زد ؛
جز بادهٔ ناب نيست در روى زمين ،
تلخى كه هزار بار شيرين ار زد .

ان كأساً من الخمرة تعدل الف قلب ودين ، وان جرعة من المشعشعة تساوى مملكة الصين ، ليس على وجه الارض غير الخمرة الصافية وهى المرّة التى تفضل الحلو الف مرّة .

* *

— ٧١ —

اى دل تو باسرار معمى نرسي ،
در نكتهٔ زيركان دانا نرسي ؛
اينجا بمى وجام بهشتى ميساز ،
كاينجا كه بهشت است رسي يانرسى .

أيها القلب ! انت لاتصل الأسرار المعماة ، ولا تفقه نكات الاذكياء ، اجعل لنفسك فى هذه الدنيا جنّة من الخمر والكأس ، فانك لاتعلم أتنالها فى تلك ام لا ؟

— ٧٢ —

روزی که دومهلتست می خور می ناب!
کاین عمر دو روزه بر نگردد در یاب!
دانی که جهان رو بخرابی دارد.
تو نیز شب وروز همی باش خراب!

اشرب الخمرة الصافية مرتين كل يوم، فان هذا العمر القصير لا يعود اليك مرة اخرى، انت تعلم ان الكون متوجه الى الخراب. فكن انت ايضاً خراباً ليلاً ونهاراً.

*

*

— ٧٣ —

ای آنکه نتیجهٔ چهار وهفتی!
در هفت وچهار دائم اندر تفتی؛
می خور که هزار بار پیشت گفتم،
باز آمدنت نیست چو رفتی رفتی.

يامن هو نتيجه اربعة عناصر وسبع سموات. الى متى انت تتألم بالفكر فيها؟ اشرب الخمرة! فقد قلت لك الف مرة. مالك من أوبةٍ فاذا ذهبت ذهبت

— ٧٤ —

اجرام که ساکنان این ایوانند ،
اسباب تردد خردمندانند ؛
هان تاسر رشتهٔ خرد گم نکنی ،
کآنان که مدبرند سرگردانند .

ان هذه الاجرام السماوية قد تركت العقلاء حيارى مترددين ، فاحذر ! ان تضيّع رشدك ، فان المدبّرين هذا العالم حيارى وفى تردد وذهول .

— ٧٥ —

چون حاصل آدمی دراین جای دو در ،
جز درد دل ودادن جان نیست دگر ؛
خرّم دل آنکه یك نفس زنده بود ،
وآسوده کسیکه خود نزاد از مادر .

لما لم يكن محصول الانسان من هذه الدنيا ذات البابين غير الم القلب وزهوق الروح ، فالمسرور من عاش لحظة ، والمرتاح هو الذي لم يولد من امّه .

— ٧٦ —

این کهنه سرا که عالم اورا نامست ،
وآرامگه ابلق صبح وشام است ؛
بزمیست که وامانده صد جمشید ست ،
قصریست که تکیه گاه صد بهرام است .

هـذا البلاط القديم المسمى بالعالم ومستقرّ الصباح الوضّاء والليل الدامس ، مجلس فتح بابه لمئة جمشيد وقصر اتكأ على الارائك فيه مائة بهرام .

*

— ٧٧ —

گفتی که ترا عذاب خواهم فرمود ،
هرگز من ازین خبر هراسم نفزود ؛
جایی که توئی عـذاب نبود آنجا ،
وانجا که تو نیستی کجا خواهد بود ؟

تفضّلتَ قائلاً : انى سوف اعذبك وانا لم اخش قط هذا الخبر . المكان الذى انت فيه لا يكون فيه عذاب واين المكان الذى انت لست فيه ؟

آن به که زجام باده دل شاد کنی ،
وزنا مده وگذشته کم یاد کنی ؛
وین عاریتی روان زندانی را ،
یك لحظه زبند عقل آزاد کنی .

الأحسن ان تسرّ قلبك بكأس المدامة وان لاتتذكر كثيراً ماكان ومايكون — الماضي والآتي — وان تطلق ساعة مهجتك المستعارة السجينة من قيد العقل .

* *

— ٧٩ —

تايار شراب جانفزايم ندهد ،
صد بوسه فلك بدست وپايم ندهد ؛
گويند که توبه کن که وقتش آمد ،
چون توبه کنم تاکه خدايم ندهد .

ان الفلك لايقبّل يديّ وقدميّ مائة مرة مالم يسقني الحبيب صهباء مفرحة . يقولون لي تب من شربها فقد حلّ وقت التوبة ، وكيف اتوب اذا لم يشأ الله ان اتوب ؟ .

— ۸۰ —

تاخاك مرا به قالب آميخته اند،
بس فتنه كه زين خاك بر انگيخته اند؛
من بهتر ازاين نمى توانم بودن،
كز بوته مرا چنين برون ريخته اند.

كم من فتنة اثاروا فى طينتى لما وضعوها فى القالب فلا استطيع ان اكون خيراً مما انا عليه ، فانهم هكذا افرغونى من الكور .

— ۸۱ —

در دائرهٔ كامدن ورفتن ماست،
آنرا نه بدايت نه نهايت پيداست؛
كس مى نزند دمى درين عالم راست،
كاين آمدن از كجا ورفتن بكجاست .

لا بداءة ولا نهاية للدائرة التى جئنا منها والتى نذهب اليها . لا يستطيع احد ان يقول من اين هذا المجئ والى اين هذا الذهاب

— ۸۲ —

تا بتوانی رنجه مگردان کسرا،
برآتش خشم خویش منشان کسرا،
گر راحت جاودان طمع میداری؛
میرنج همیشه ومرنجان کسرا.

لا تؤذ احداً ما استطعت، ولا تجلس احداً على نار غضبك، واذا كنت تطمع في راحة دائمة، فاقبل اذى نفسك ولا تؤذ احداً.

*

— ۸۳ —

نیکی وبدی که در نهاد بشرست،
شادی وغمی که در قضا وقدرست،
باچرخ مکن حواله کاندر ره عقل؛
چرخ از تو هزار بار بیچاره ترست.

لا تعزون الى الفلك الخير والشر اللذين هما من غريزة البشر، والفرح والغم اللذين هما من القضاء والقدر، لان الفلك — من طريق العقل — اعجز منك الف مرة.

— ٨٤ —

چون حاصل آدمی در این شورستان ،
جز خوردن غصّه نیست یا کندن جان ؛
خرّم دل آنکه از جهان بیرون شد ،
آسوده کسیکه خود نیامد بجهان . .

لما لم يكن ما يجتنيه الانسان فى هذه الحياة ذات الفتن غير الألم وعذاب النفس ، فطوبى لمن خرج منها او لم يجئ اليها .

*

— ٨٥ —

بنگر ز صبا دامن گل چاك شده ،
بلبل ز جمال گل طربناك شده ؛
در سایهٔ گل نشین که بسیار این گل ،
از خاك بر آمدست ودر خاك شده

انظر كيف تمزق جلباب الورد بهبوب الصبا ، وكيف طرب العندليب بجماله . اجلس فى ظل الورد فطالما نبت هذا الورد فى التراب وعاد اليه .

— ٨٦ —

امشب می جام یکمنی خواهم کرد ؛
خودرا بەدو جام می غنی خواهم کرد ؛
اول سه‌طلاق عقل و دین خواهم گفت ،
پس دختر رزرا به زنی خواهم کرد .

سأشرب في هذه الليلة مدامة في جام يستوعب « رطلاً » ، واكون غنياً بجامين من الخمر ، وقبل كل شيء اطلّق عقلي وديني ثلاثاً ثم انكح بنت الكرم .

*

*

— ٨٧ —

تا بتوانی خدمت رندان میکن ،
بنیاد نماز وروزه ویران میکن ،
بشنو سخن راست ز « خیام عمر » !
می میخور ، وره‌میزن ، واحسان میکن .

اخدم الندامى — اخوان الشُّرب — ما استطعت ، واهدم اركان الصلوة والصيام ، اسمع القول الصحيح من « عمر الخيام » اشرب الخمر ، واقطع الطرق ، واحسن الى الغير .

— ٨٨ —

تو به مکن از می اگرت می باشد ،
صد توبهٔ تا دمانه درپی باشد ؛
گل جامه دران و بلبلان نعره زنان
در وقت چنین توبه روا کی باشد .

اذا كنت تملك خمراً فلا تتب من شربها ، ان لك متسعاً من الوقت لتتوب مائة مرة توبة الندم . صاح ! لقد تفتحت اكمام الورد وصاحت العنادل فهل تجوز التوبة في مثل هذا الوقت ؟

*

*

— ٨٩ —

ای دل چو زمانه میکند غمناکت ،
ناگه برود زتن روان پاکت ،
برسبزه نشین وخوش بزی روزی چند ،
زان پیش که سبزه بر دمد از خاکت .

ايها القلب قد غمك الدهر ، وسيفارق جسدك روحك الطيب ، فاجلس على العشب الاخضر وعش رغداً بضعة ايام قبل ان ينبت العشب من ترابك

— ٩٠ —

چون مرده شوم به باده شو يید مرا ،
تلقين ز شراب وجام گو يید مرا ؛
خواهيد به روز حشر يا بيد مرا ،
از خاك در ميكده جو يید مرا ،

اغسلونى إن مت بالصهباء ، ولقنونى بالخمرة والجام ، واذا شئتم ان تجدونى يوم الحشر تحرونى فى تراب حانة الخمر .

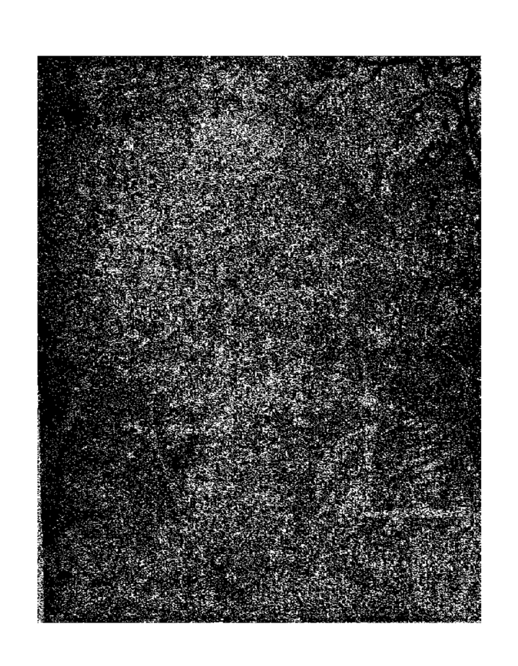
*

*

— ٩١ —

تا چند ز مسجد ونماز وروزه ؟
در ميكدها مست شو ار دريوزه ؛
خيام ، بخور باده كه اين خاك ترا
گه جام كنند وگه سبو ، گه كوزه .

حتىمَ تتحدث عن المسجد والصلاة والصيام ، اسكر فى حانات الخمر ولو بالشحاذة ، يا خيام ! اشرب المدامة فسيصنعون من ترابك مرةً جاماً ، وطوراً دنّاً ، واخرى كوزاً



افسوس که نامهٔ جوانی طی شُد ،
وین تازه بهار شادمانی طی شد ؛
آن مرغ طرب که نام او بود شباب
فریاد ! ندانم که کی آمد ، کی شد .

يا أسفا ! قد انطوى كتاب الشباب ، وانطوى ربيع السرور الغض . اواه ! لا ادرى متى جاء الشباب — ذلك الطائر الطروب — ومتى ذهب ؟!

— ۹۳ —

ای همنفسان مرا به می قوت کنید ،
وین چهرهٔ کهربا چو یاقوت کنید ؛
چون مرده شوم به‌می بشو یید مرا ،
و ز چوب رزم تختهٔ تابوت کنید

یارفقتی ! اقیتونی بالخمرة واجعلوا وجهی المصفر کالورس احمرَ کالیاقوت ، واذا مت فاغسلونی بالمدامة وانحتوا تابوتی من أعواد الکرم .

*

*

— ۹٤ —

آنم که پدید گشتم از قدرت تو ،
پرورده شدم بناز در نعمت تو ؛
صد سال بامتحان گنه خواهم کرد ،
تا جرم منست بیش یا رحمت تو .

انا ذلك الذی ظهرتُ الی عالم الوجود بقدرتك وزبیت بدلال فی نعمتك ، سوف اکثر من الذنوب مائة عام لأعلم ایهما اعظم ذنوبی أم رحمتك ؟ .

— ۹۵ —

آنها که ز پیش رفته اند ای ساقی ،
در خاك غرور خفته اند ای ساقی ؛
رو باده خور وحقیقت از من بشنو :
بادست هر آنچه گفته اند ای ساقی

ای ساقی المدام ! اولئك الذين رحلوا قبلنا قد ناموا في تراب الغرور ، اذهب واشرب الخمر واسمع مني الحقيقة : هواء كل ما قالوا .

* *

— ۹۶ —

تا چند کنم عرضهٔ نادانیٔ خویش ،
بگرفت دل من از پریشانیٔ خویش ؟
زنّار مغانه بر میان خواهم بست ،
دانی زچه ؟ از ننك مسلمانی خویش .

الى متى اعرض جهالة نفسي ، ضاق قلبي من هذا الشتات . اريد ان اشد في وسطي زناراً مجوسية . أ تعلم لماذا ؟ من خزي اسلامي .

— ٩٧ —

افسوس که سرمایه زکف بیرون شد ،
وزدست اجل بسی جگرها خون شد ؛
کس نامد از آن جهان که پرسم ازوی ،
کاحوال مسافران عالم چون شد .

وا أسفاه ! فقد ذهب رأس المال من ايدينا ، وكم من اكباد صارت دامية من يد الموت ؛ لم يرجع أحد من الآخرة . لأسأله عن حال الذين سافروا من الدنيا اليها

* *

— ٩٨ —

ای چرخ ز گردش تو خو رسند نیم ،
آزادم کن که لایق بند نیم ؛
گر میل تو با بیخرد ونا اهلست ،
من نیز چنان اهل وخرد مند نیم .

ايها الفلك ! انا غير مسرور بدورانك ، أطلق سراحى فانى غير قمين بان اقيد وان كنت تميل الى الحمقى والذين ليسوا اهلاً للفضل . فانا ايضاً لست ذلك العاقل الكفء .

— ٩٩ —

آن قصر که جمشید در او جام گرفت ،
آهو بچه کرد وروبه آرام گرفت ؛
بهرام که گور میگرفتی همه عمر ،
دیدی که چه گونه گور بهرام گرفت ؟

ان القصر الذى كان « جمشيد » يتعاطى فيه الأقداح . قد ولدت فيه الظبية واطمأن فيه الثعلب . و « بهرام » الذى كان يصيد حمار الوحش طول عمره ، أرأيت كيف صاد القبر بهراماً ؟

*

— ١٠٠ —

از حادثهٔ جهان زانیده مترس ؛
وز هرچه‌رسد چو نیست پاینده‌مترس ؛
این یکدمه عمرا غنیمت میدان ،
از رفته میندیش وز آینده مترس .

لاتخش من حادث الدنيا ومن كل مايصيبك منه لانه لايدوم ، انتهز هذا العمر القصير . ولا تفكّر فيما مضى ولا تخف من الآتى !

—١٠١—

هر چند که رنك وبوی زیباست مرا ،
چون لاله رخ وچو سرو بالاست مرا ،
معلوم نشد که در طربخانهٔ خاك ؛
نقاش ازل بهر چه آراست مرا .

مهما كان لوني بديعاً . وعرفي ذكيّاً . ومحيّاي كالشقيق . وقامتي كالدانة ، لا اعرف لماذا زانني النقاش الأزليّ في هذه الارض دار السرور « ؟ » .

*

—١٠٢—

گل گفت : به از لقای من روبی نیست ،
چندین ستم گلا بگر باری چیست ،
بلبل بزبان حال با او میگفت ؛
یك روز که خندید که سالی نگریست ؟

قال الزهر : لا وجه انضر من وجهي . يا عجباً لم يجور عليّ كل هذا الجور ـ عاصر الزهر ـ فاجابه البلبل بلسان الحال قائلاً : من ذا ضحك يوماً واحداً ولم يبك عاماً !؟

— ١٠٣ —

رفتیم وزما زمانه آشفته بماند ،
با آنکی ز صد گهر یکی سفته بماند ؛
افسوس که صد هزار معنیٔ دقیق ،
از بیخردی خلق ناگفته بماند .

ذهبنا . و بقي الزمان بعدنا مضطرباً ولم تثقب الا جوهرة واحدة من مائة ، وا أسفا ! فقد بقيت مئات الألوف من المعاني الدقيقة لم تذكر . حذراً من حمق الناس

* *

— ١٠٤ —

مهتاب به نور دامن شب بشکافت ،
می خور که چنین دمی دگر نتوان یافت ؛
خوش باش و بر اندیش که مهتاب بسی
اندر سرخاك یك بیك خواهد یافت

قد فلق القمر بنوره أهداب الليل ، فاشرب اذ ليس في الوسع ان تحضى بعدها بمثل هذه اللحظة ، طب نفساً فان القمر سيسطع كثيراً على حافة قبر كل واحد منا .

— ١٠٥ —

بباده تعين كه ملك محمود اينست ؛
وزچنك شتو ، كه لحن داود اينست ؛
از آمده ورفته دگر ياد مكن ،
حالى خوش باش زآنكه مقصود اينست .

عاشر الخمر، فانها ملك محمود ، واسمع القيثارة فانها لحن داود ، لا تذكرنّ الآتى والماضى ، وطب نفساً فى ساعتك التى انت فيها ، فذلك هو المقصود .

*

*

— ١٠٦ —

اين چرخ كه باكسى نميگويد راز ،
كشته به ستم هزار محمود واياز ،
مى خور كه به كس عمر دو باره ندهند ؛
هر كس كه شد از جهان نمى آيد باز .

ان هذا الفلك الذى لم يطلع احداً على اسراره . قد قتل الف «محمود وأيار» عدواً وعمداً . اشرب الصهباء ! انك لا تُعطى العمر مرّتين . والذى يفارق الحياة لا يعود اليها تارة اخرى .

— ١٠٧ —

کرمی نخوری طعنه مزن مستانرا ،
گردست دهد توبه کنم یزدانرا ؛
تو فخر بدین کنی که من می نخورم ،
صد کار کنی که می غلامست آنرا .

ان كنت لا تشرب الخمر . فلا تطعن فى السكارى ،
لو اتيح لى لتبت الى الله ، انت تفتخر بانك لاتشرب الحميّا
وانت تعمل مئات من الأعمال اشنع منها

* *

— ١٠٨ —

در سر مگذار هیچ سودای محال ،
می خور همه سال ساغر مالا مال ؛
با دختر رز نشین وعیشی میکن ،
دختر بحرام به زما در بحلال .

لا تضع فى رأسك حب المحال واشرب الصهباء كل
العام باكواب مترعة ، عش رغداً مع ابنة العنقود . فان
لقاء الأبنة بحرام . خير من لقاء الام بحلال .

— ۱۰۹ —

امروز که نوبت جوانیٔ منست ،
می نوشم از انکه کامرانیٔ منست ؛
عیبش مکنید اگرچه تلخست خوشت ،
تلخست از انکه زندگانیٔ منست .

فی هذا اليوم الذی هو عهد صِبای . اشرب الخمرة لأن فيها نيل مرامی ، لا تنتقصوها . فهی لذيذة علی مرارتها ، اجل ! هی مرّة لانها حياتی .

*

*

— ۱۱۰ —

آمد سحری ندا ز میخانهٔ ما ،
کی رند خراباتیٔ دیوانهٔ ما ؛
برخیز که پر کنیم پیمانه زمی ،
زان پیش که پر کنند پیمانهٔ ما .

سمعت هاتفاً فی السحر من حانتنا يقول : ای يا أخا الشرب المفتون . قم لنملأ الكأس بالخمرة قبل ان يملأوا كأسنا — قبل ان تداهمنا المنيّة — .

— ۱۱۱ —

آن جسم پیاله بین بجان آبستن ،
همچون سمنی با رغوان آبستن ؛
نی نی غلطم که باده از غایت لطف ،
آبیست بآتش روان آبستن .

انظر الى الكأس فانها حبلى بالروح ، اوانها كياسمين حبل بالأرجوان . لا ، لا ، فقد اخطأت القول . بل انها من شدة لطفها . ماء حبل بنار مائعة .

* *

— ۱۱۲ —

در میکده جز بمی وضو نتوان کرد ،
وین نام کهزشت شد نکو نتوان کرد ؛
می ده که کنون پردهٔ مستوری ما ،
بدریده چنان شد که رفو نتوان کرد .

لا يمكن الوضوء فى الحانة الا بالمدامة ، وهذه السمعة التى تشوهت فلا يتيسر تحسينها ، عاطنيها فان ستار عفافنا قد تمزّق . حتى لقد استحال ترقيعه .

— ١١٣ —

از آمـدنم نبود گردون را سود ،
وز رفتن من جمال وجاهش نفزود ؛
وز هیچ کسی نیز دوگوشم نشنود ،
کاین آمدن ورفتنم از بهرچه بود .

ماكان للـكون نفع من مجيئ . ولم يزدد من ذهابي جماله وجاهه ، ولم تسمع اذناى ايضاً من احد عن الغاية من مجيئ وذهابي .

*   *

— ١١٤ —

بر خیز وبیا بتا برای دل ما ،
حل کن به جمال خویشتن مشکل ما ؛
یك کوزهٔ می بیار تانوش کنم ،
ز آن پیش که کوزه‌ها کنند از گل ما .

قم وتعال ايهـا الصنم . رعاية لقلبنـا . وحلّ بجمالك مشكلنا ، هات كوزاً من الخمرة لنحسوها قبل ان يصنعوا اكوازاً من طينتنا .

— ١١٥ —

بس خون کسان که چرخ بیباك بریخت ،
بس گل که بر آمد ز گل وپاك بریخت ؛
بر حسن وشباب ای جوان غرّه شو ،
بس غنچهٔ ناشکفته بر خاك بریخت .

ياما هدر الفلك دماء الناس ، وياما ذبت الورد وتناثرت اوراقه على الثرى ، ايها الفتى ! لا تغتر بحسنك وشبابك . ياما تساقط الورد على التراب قبل ان تتفتح اكمامه .

* *

— ١١٦ —

تاباز شناختم من این پای زدست ،
این چرخ فرومایه مرا دست ببست ؛
افسوس که در حساب خواهند نهاد ،
عمری که مرا بی می ومعشوقه گذشت .

غلّ هذا الفلك النذل يدىّ . منذ صرت افرّق بين رجلى ويدى . واغمتاه ! فسيحسبون من عمرى زماناً مرّ لى بغير مدامة ومعشوقة .

— ١١٧ —

ابر آمد وباز برسر سبزه گریست ،
بی بادهٔ ارغوان نمیباید زیست ؛
امروز که این سبزه تماشاگه ماست ،
تاسبزهٔ خاك ما تماشاگه کیست .

جاء السحاب وبكى ثانية فوق العشب ، فلا يجوز ان نعيش بدون مدامة ارجوانيّة . ان هذا العشب مسرح لانظارنا اليوم ، ياترى لمن سيصبح عشب ترابنا مسرحاً ؟ .

* *

— ١١٨ —

از درس علوم جمله بگریزی به ،
واندر سر زلف یار آویزی به ؛
زان پیش که روزگار خونت ریزد ،
توخون صراحی بقدح ریزی به .

الأحسن ان تهرب من درس العلوم كلها . وان تتعلق بطرّة الحبيب ، وقبل ان يسفح الدهر دمك . اسفح دم الأبريق فى القدح .

— ١١٩ —

چون عهده نمی شود کسی فردارا ،
خوش دار دمی این دل پرسو دارا ؛
می نوش به ماهتاب ای ماه که ماه ،
بسیار بتابد ونیابد مارا .

لما لم يكن الغد مضموناً . فافرح قلبك المشغوف
واشرب الخمر على ضوء القمر ، لأن القمر يا ايها القمر !
سيطلع كثيراً ولا يجدنا .

* *

— ١٢٠ —

پیش از من‌وتو لیل ونهاری بودست ،
گردنده فلك زبهر کاری بودست ؛
زنهار قدم بخاك آهسته نهی ،
کآن مردمك چشم نگاری بودست .

كان قبلي وقبلك ليل ونهار . وكان الفلك يدور لأجل
غاية ، احذر وخفف الوطء على التراب فانه كان حدقة
عين لحبيب ! .

— ١٢١ —

ای چرخ فلك خرابی از کینهٔ تست ،
بیـداد گری عادت دیرنیهٔ تست ؛
ای خاك اگر سینهٔ تو بشکافند ،
بس گوهر قیمتی که در سینهٔ تست .

ایها الفلك الدوّار ! الخراب من اثر حقدك والظلم عادتك القديمة ، ايتها الأرض ! ان فتحوا صدرك . وجدوا فيه كثيراً من الجواهر الثمينة .

*

*

— ١٢٢ —

من باده خورم ولیك مستی نکنم ،
الا بقدح دراز دستی نکنم ؛
دانی غرضم زمی پرستی چه بود ؟
تا همچو تو خویشتن پرستی نکنم .

أنا اشرب المدامة . ولكنى لا اعربد ، والى غير الكاس لا اطيل يدى ، أتعلم ما هو غرضي من عبادة الخمر ؟ ذلك لئلا اعبد نفسي مثلك .

— ١٢٣ —

حکمی که از و محال باشد پرهیز ،
فرموده از و کناره گیر و بگریز ،
من مانده میان امر و نهیش عاجز ،
این قصد چنان بود که کج دار ومریز .

امرني: ان اتجنّب وافرّ من الأحكام التي لا محيص لي منها وقد بقيت عاجزاً محتاراً بين امره ونهيه ، فهو كمن يقول * اقلب الكأس ولا تسكب مافيها !.

*

— ١٢٤ —

این کوزه چو من عاشق زاری بودست ،
در بند سر زلف نگاری بودست ؛
این دسته که در گردن او میبینی ،
دستیست که در گردن یاری بودست .

كان هذا الكوز مثلي صباً كئيباً مفتوناً بفرع مليحة هيفاء ، وهذه العروة التي تراها في جيده . كانت يداً تعتنق احدى الحسان .

— ۱۲۵ —

بر خیز و مخور غم جهان گذران ،
خوش باش ودمی به شادمانی گذران ؛
در طبع جهان اگر وفایی بودی ،
نوبت بتو خود نیامدی از دگران .

انهض ! ولا تحزن على الدنيا الفانية . وطب نفساً واقض وقتك بسرور ، لو كان الوفاء من شيمة الدنيا . لما انتقلت اليك من الآخرين .

— ۱۲۶ —

دارنده چو ترکیب طبائع آراست ،
از بهرچه اوفکندش اندر کم وکاست ؛
کرز آنکه بد آمد صور عیب کراست ،
ورنیك آمد خرابی از بهرچه خواست .

لما ركّب الخالق الطبائع . لماذا جعلها بين النقص والزيادة ؟ فاذا جاءت رديئة . فالعيب عليه . واذا جاءت جيدة فلماذا يخربها ؟ !

— ١٢٧ —

آنها که بفکرت درّ معنی سفتند ،
در ذات خداوند سخنها گفتند ؛
سر رشتهٔ اسرار ندانست کسی ،
اول زنخی زدند وآخر خفتند .

اولئك الذين ثقبوا درر المعانى بافكارهم تكلموا كثيراً فى ذات البارى . لم يعرف احد منهم مبدأ الأسرار ، انما هرفوا اولاً وناموا اخيراً .

* *

— ١٢٨ —

آغاز روان گشتن این زرّین طاس ،
وانجام خرابیٔ چنین نیك أساس ؛
دانسته نمی شود بمعیار عقول ،
سنجیده نمی شود بمقیاس قیاس .

لايعرف بعيار العقل . ولا يقاس بالمقاييس . مبدأ دوران هذا الكأس ــ الفلك ــ المذهّب ومنتهى خراب هذا الأساس الجيّد .

— ١٢٩ —

ما بيم خريدار مئ كهنه ونو ،
وانگاه فروشندهٔ جنت بدوجو ؛
گفتی كه پس از مرك كجا خواهم رفت ،
می پيش من آر وهر كجا خواهی رو .

انا نحن نشتری كلتا المدامتين المعتقة والحديدة ، ونحن الذين نبيع الفردوس بشعيرتين ، قلت لی : الى اين اذهب بعد الموت ، هات لی الصهباء واذهب الى حيث تشاء .

*

*

— ١٣٠ —

اين عقل كه در راه سعادت پويد ،
روزی صد بار خود ترا ميگويد ؛
درياب تو اين يكدمه فرصت كه نهٔ ،
آن تره كه بدروند وديگر رويد .

هذا العقل الذی يسير فی طريق السعادة ، يقول لك كل يوم مائة مرة : انتهز هذه الفرصة . فلست ذلك «الكراث» الذی اذا حصدوه نبت مرة اخری .



از جرم حضیض خاك تا اوج زحل ،
کردم همه مشکلات گردون‌را حل ؛
بیرون جستم زبند هر مکر وحیل ،
هر بند کشاده شد مگر بند اجل .

لقد حللت جميع مشاكل الكائنات الموجودة بين الارض وزحل ، ونجوت من عقدة كل مكر وحيلة ، وقد انحلّت كل عقدة فى الحياة . سوى عقدة الأجل .

— ١٣٢ —

ای گل تو بروی دلربا میمانی ،
ای مل تو بلعل جانفزا میمانی ؛
ای بخت ستیزه کار هردم بامن ،
بیگانه تری وآشنا میمانی .

یاورد ! انت تحاكی محیا الحسناء ، ویا خمر ! انت كیاقوتة تبهج الروح ، ویا أيتها الحظ المعاكس ، انت فی كل وقت خصم لی . وتظهر بمظهر الصديق .

* *

— ١٣٣ —

پیرانه سرم عشق تو در دام کشید ،
ورنه ز کجا دست من وجام نبید ؛
آن توبه که عقل داد جانان بشکست .
وآن جامه که صبر دوخت ایام درید .

اصطادنی عشقك فی شركه ، ورأسي مشتعل بالشيب والاّ فمن انا وكأس الحميا ، لقد عبث الحبيب بالتوبة التی وهبنی اياها العقل ، ومزقت الأيام . ذلك القميص الذی خاطه الصبر .

— ١٣٤ —

صيّاد ازل كه دا نه در دام نهاد ،
صيدى بگرفت وآدمش نام نهاد ؛
هرنيك وبدى كه ميرود در عالم ،
او ميكند وبهانه بر عام نهاد .

وضع صيادالأزل حبّة فى الشرك واصطاد . وسمّى صيده آدم ، انه هو الذى يعمل كل قبيح وحسن فى العالم . ويحمل الناس تبعة ذلك .

*

— ١٣٥ —

*

فردا علم نفاق طى خواهم كرد ،
باموى سفيد قصد مى خواهم كرد ؛
پيمانهٔ عمر من به هفتاد رسيد ،
اين دم نكنم نشاط ، كى خواهم كرد .

سأطوى غداً علم النفاق . وسأقصد الخمرة ورأسي مشتعل بالشيب ، بلغت من العمر سبعين عاماً ، فاذا لم انشط الآن للطرب ، فمتى اعمل ذلك ؟ .

— ۱۳۶ —

هر ذره که در روی زمینی بودست ،
خورشید رخی زهره جبینی بودست ؛
گرد از رخ آستین بآزرم فشان ،
کان هم رخ وزلف نازنینی بودست .

ان کل ذرة علی وجه الثری ، هی وجه حسناء زهراء الجبین ، یاهذا انفض الغبار من اردانك بلطف ، فانه کان ایضاً وجه حسناء اخری .

*

*

— ۱۳۷ —

برجه ، برجه ، زجامه خواب ای ساقی ،
درده ، درده ، شراب ناب ای ساقی ؛
زآن پیش که از کاسهٔ سر کوزه کنند ،
از کوزه به کاسه کن شراب ، ای ساقی

یاساقی ! قم من فراش النوم واعطنی خمرة صافیة وقبل ان یصنعوا من جماجمنا اکوازاً اسکب الخمرة من الکوز فی الکأس واسقنا یاساقی !

— ١٣٨ —

تا ظن نبری که از جهان میترسم،
وز مردن وز رفتن جان میترسم؛
مردن چو حقیقتیست زان باکم نیست،
چون نیك نزیستم از ان میترسم.

لاتظن انی اخاف الكائنات او اخشى الموت وفراق الروح، الموت حقيقة فلا أعبأ به. ولكننى اخشى ان لا اعيش سعيداً.

* *

— ١٣٩ —

عالم همه محنتست وایام غم است،
گردون همه آفتست وگیتی ستم است؛
فی الجمله، چو درکار جهان مینگرم،
آسوده کسی نیست وگر هست کم است.

العالمَ كله محنة، والأيام غم، والفلك كله آفة، والدنيا ظلم، انى انظر الى اعمال الحياة. فلا اجد فيها مرتاحاً سعيداً واذا وجد. فنزر قليل.

— ١٤٠ —

طبعم به نماز وروزه چون مایل شد ،
گفتم که مرادِ کلّیم حاصل شد ؛
افسوس که آن وضوء به گوزی بشکست ،
وین روزه بنیم جرعه می باطل شد .

عندما مال طبعي الى الصلاة والصوم . قلت لنفسي لقد حصل مرادي ، لكن أسفاً لقد بطل ذلك الوضوء بضرطة وبطل الصوم بنصف جرعة من الخمر .

*　　　　　　　　*

— ١٤١ —

خوش باش که عالم گذران خواهد بود ،
جان در پی تن نعره زنان خواهد بود ؛
این کاسهٔ سرها که تو بینی ، فردا ،
زیر لکد کوزه گران خواهد بود .

اسعد ! فان الدنيا ستنقضي وسوف تنوح الروح خلف الجسد ، وهذه الجماجم التي تراها الآن ستطأها أقدام الكوازين غداً .

— ١٤٢ —

چندين غم مال وحسرت دنيا چيست ،
هركز ديدى كسى كه جاويد بزيست ؛
اين يك دو نفس درتن تو عاريتيست ،
با عاريتى عاريتى بايد زيست .

لِمَ هذا الغم من أجل المال و لِمَ هذه الحسرات من أجل الدنيا . أرأيت أحداً خلدت له الحياة ! هذه انفاسك فى جسمك عارية . فعش مع الحياة العارية كالعارية .

* *

— ١٤٣ —

گاويست در آسمان ونامش پروين ،
يك گاو دگر نهفته در زير زمين ؛
چشم خردت گشاى گز اهل يقين ،
زير وزبر دو گاو چندين خربين .

ثور فى السماء واسمه « الثريا » وثور آخر مخفى تحت الأرض ، فافتح بصيرة عقلك ان كنت من اهل اليقين ، وانظر الى مابين الثورين من الحمير .

—١٤٤—

ساقی ، قدحی که کار عالم نفسیست ،
گرشادی ازو یك نفس آن نیز بسیست ؛
خوش باش بهر چه پیشت آید که جهان ،
هرگز نشود چنانکه دلخواه کسیست .

أيها الساقي ! عاطني كأساً فالعالم « نفس » وحسب الانسان من السرور نفس واحد أيضاً ، طب نفساً من كل ماتلاقيه في الحياة ، لأن الحياة لن تكون وفق رغبة أحد .

*　　　　*

—١٤٥—

آبادیٔ میخانه زمی خوردن ماست ،
خون دو هزار توبه در گردن ماست ؛
گرمن نکنم گناه رحمت چه کند ،
آرایش رحمت از گنه کردن ماست .

تعمرُ الحانة بشربنا الخمرة ، وفي اعناقنا دم الفي توبة . انا ان لم اذنب . فما تصنع الرحمة ؟ انما الرحمة تزدان بآثامنا .

— ١٤٦ —

هر گه كه طلوع صبح ازرق باشد ،
بايد كه بكف جام مروّق باشد ؛
گويند بافواه كه مى تلخ بود ،
بايد به همه حال كه مى حق باشد .

كلما ينفلق الصباح . يجب ان يكون فى الكف كأس خمرة مروّقة ، يقولون ان الخمرة مُرّة فى الفم ، فاذاً على كل حال يجب ان تكون الخمرة هى الحق .

*　　　　*

— ١٤٧ —

آنان كه در آمدند ودر جوش شدند ،
آشفتهٔ ناز وطرب ونوش شدند ؛
خوردند پيالهٔ ومدهوش شدند ،
در خواب عدم جمله هم آغوش شدند .

اولئك الذين ظهروا الى الوجود وفاروا . قد شغفوا بالشرب والغنج والدلال ، وقد حسوا كأساً ودهشوا واحتضن بعضهم بعضاً فى نوم العدم .

— ١٤٨ —

می‌خور که بزیر گل بسی خواهی خفت ،
بی مونس وبی حریف وبی همدم وجفت ؛
زنهار به کس مگو تواین راز نهفت ،
هر لاله که پژمرده نخواهد بشکفت .

اشرب الحميّا انك سترقد طويلا تحت الثرى حيث لا انيس ولا صديق ولا رفيق ولا زوج ، احذر لا تفش هذا السر لأحد : الوردة الذابلة لا تتفتح اى – لا يعود اليها زهوها ورونقها – .

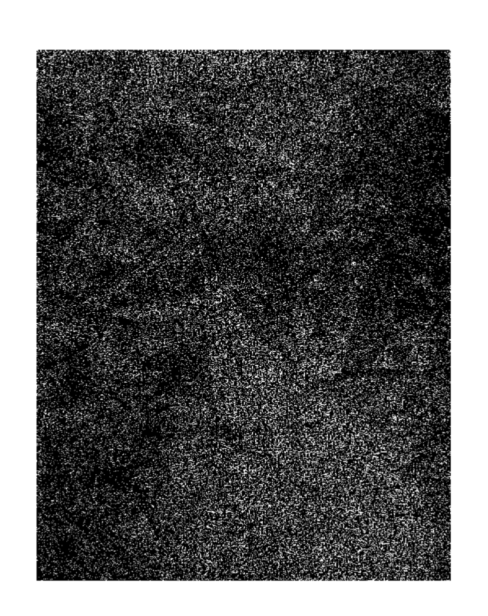
*

*

— ١٤٩ —

در دهر هر آنکه نیم نانی دارد ،
وزبهر نشست آشیانی دارد ؛
نه خادم کس بود نه مخدوم کسی ،
گو شاد بزی که خوش جهانی دارد .

من كان يملك من دنياه نصف رغيف ، وعشاً حقيراً لسكناه ، لايكون خادماً ولا مخدوماً ، فليعش سعيداً فان عيشه رغيد .



زآن پیش که از زمانه تابی بخوریم ،
با یکدگر امروز شرابی بخوریم ؛
کاین چرخ فلك به وقت رفتن ما ،
چندان ندهد امان که آبی بخوریم .

قبل ان یصیبنا من الزمان إلتواء ، تعالوا نشرب الخمرة معاً ، فان هذا الفلك الدوار عند ارتحالنا لایمهلنا ان نشرب جرعة من الماء .

— ١٥١ —

ساقی گل و سبزه بس طربناك شدست ،
دریاب که هفتهٔ دگر خاك شدست ؛
می نوش و گلی بچین که تا در نگری ،
گل خاك شده است و سبزه خاشاك شدست

ایها الساقی ! ان الورد والعشب فی طرب کثیر ، انتبه فسیکونان تراباً بعد اسبوع ، اشرب الصهباء ، واقطف الورد : ففی طرفة عین یستحیل الورد تراباً والعشب غثاء أحوی

* *

— ١٥٢ —

چندین غم بیهوده مخور شاد بزی ،
واندر ره بیداد تو باداد بزی ؛
چون آخر کار این جهان نیستی است ،
انگار که نیستی وآزاد بزی .

لا تحزن فالحزن عبث ، وعش فرحاً ، وفی طریق الظلم کن عادلاً ، مادامت نهایة الحیاة هی العدم . فافرض انك لم تکن . وعش حراً .

این یک دوسه روزه نوبت عمر گذشت ،
چون آب بجو یبار وچون باد بدشت ؛
هرگز غم دو روزه مرایاد نگشت ،
روزی که نیامدست وروزی که گذشت .

ذهبت ايام العمر القليلة كالماء في الوادى او الريح فى البيداء . انا لا أغتمّ ليومين من الأيام . اليوم الذى لم يأت واليوم الذى مضى .

نشرنا فى هذا الكتاب ١٥٣ رباعية مع ترجمتها وقد اعتمدنا نسخة الدكتور فردريخ روزن . ونسخة الأديب حسين دانش وقد عرضنا الترجمة على علامة العراق الاستاذ فهمى بك المدرس الذى يعد فى طليعة المتوغلين فى الأدب الفارسي . فوافق على الترجمة واستحسنها .

تم بحمد الله وعونه

فهرس الكتاب

القسم الاول

* * *

من هو عمر الخيام ؟

* * * *

تحقيق ما جاء فى هذه الوثائق

..ام الخيام فى الاداب الحديثة

* * *

عصر الخيام

* * *

حياته وسيرته

ادبـــه وعلمــــه

* * *

فلسفتـــه

* * *

موضوع فلسفته

مذهبـــه الفلسفى

* * *

نظـــراؤه

* * *

القسم الثانى



جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٤	٢	واخوانها	واخوتها
١١	٢	اظلم	مظالم
١١	٤	خرى	اخرى
٣٨	١٣	بنى	من بنى
٤٣	١٦	حاوان	حلوان
٤٤	٧	طالب	طلب
٤٦	١٠	يقال	قال
٤٩	٥	بقطع من	بقطع يد من
٦٣	٧	وولاتهم	ودلائلهم
٦٣	٩	اشهر	شهر
٦٦	١	تحول	يحول
٦٧	١٤	يعينه	يعنيه
٧٣	١٠	فتا كا	الفتاك
٨١	٢	ابن السمعان	ابن السمعانى
٨٥	١٠	طناب	اطناب
٨٦	٩	يؤديون	يؤيدون
٨٧	٦	البياضه	البياض
٩٦	١٩	كانت منزلة	كانت له منزلة
١٠١	٩	عريان	عريانا

الصفحة	السطر	الخطا	الصواب
١٠٤	١٠	غاية	عناية
١٠٨	٧	ابو المعشر	ابو معشر
١١٠	٣	لزبدة	زبدة
١١٠	٥	القديم	التقديم
١١٠	١٦	رأيه	رأيته
١١٠	١٧	سراء	برىء
١١٣	١٦	يشبهوه	يشبهونه
١١٧	٨	يوصمونه	يصمونه
١١٨	١٥	بطليتموس	بطليموس
١١٩	١	والرواقين	والرواقيين
١٢٠	٤	وهذا	وهذه
١٢٠	٧	واوائهم	وآراؤهم
١٢٥	٦	القود	القول
٣	١٢	لا يناقض	فلا يناقض
١٣٨	٩	ضالفاً	ظالفاً
١٦٨	١٨	والايدى	ولا يدى
١٧٠	٢٠	بزملائهموانسبائهم	بزملائهما وانسبائهما
١٨١	١٤	طلق	طلقاً
١٨٤	٥	الشيخين	الشيخان
٢٠٩	٥	اتباهى	اباهى